الجمهوريـــــة الجزائريـــــة الديمقراطيـــــة الشعبيـــــة

وزارة التـعليـــم العـــالي و البحـــث العلمـــي

جامعـــــة زيـــــان عاشـــــور – الجلفـــــة.

كلية الآداب و اللغات الاجتماعية و الإنسانية

قسم اللغة العربية و آدابها

مذكرة لنيـــل شهـــادة الماجستيـــر فـــي الدراســـات الاستشراقيـــة الأدبيـــة واللغويـــة

بعنوان

تقسيـــم العصـــور الأدبيـــة عند المستشرقيـــن كارل بروكلمان في كتاب ه تاريخ الأدب العربي " نموذجاً "

إعداد الطالبة :فاطمة الزهراء مولاي

نوقشت يوم: الثلاثاء 08 جوان 2010م الموافق لـ 26 جمادي الثانية 1431 هـ

لجنة المناقشة:

• د. حميد ناصر خوجة	رئيسا
• د. عيسى بريهمات	مشرفا و مقرراً
• د.مسعود عامر	مناقشاً
• د.أحمد قنشوبة	مناقشاً

السـنة الجامعية : 2010/2009

رقـم الترتيـب : .....

إهداء

إلى والدي الكريمين اللذين انتظرا بشغف رؤية هذه الرسالة

إلى زوجي الذي حفّزني على الدراسة والبحث .

إلى أبنائي عادل،وحسام ، وأمجد الذين كثيرا ما قلّبوا أوراقي

وعبثوا ببعضها على حين غفلة مني ..

إلى هؤلاء جميعا أهدي هذه الرسالة

شكر

أتقدم بالشكر الوافر للأستاذ المشرف د. عيسى بريهمات على ما قام به من رعاية لهذا البحث منذ أن كان فكرة ، فله جزيل الشكر والعرفان على توجيهاته ،ونصائحه.

و الشكر كله للأساتذة الكرام الذين سهروا على تأطير دفعة الدراسات الاستشراقية في اللغة والأدب :

د.حميد ناصر خوجة

د.محمد خليفة

د.عيسى بريهمات

د.مسعود صحراوي

وفي هذا المقام أقف بخشوع أمام روح الدكتور زرارقة عطاء الله الذي نسأل الله له الرحمة، فقد أفادنا كثيرا، وغادرنا وهو في قمة العطاء .

و أتوجه كذلك بالشكر الخالص لأعضاء اللجنة العلمية الموقرة على ما بذلوه من جهود في سبيل قراءة هذا العمل .

كما أشكر كل من مد لي يد العون في هذا البحث برأي، أو توجيه، أو تقويم أو سهل لي طريق كتاب بتوجيه أو إعارة أو تشجيع .

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ،والصلاة على نبيه الأمين أما بعد :

على الرغم من الأهداف و الأغراض الخفية و المعلنة للاستشراق، و التي قدِم رجالاته لأجلها إلى بلدان الشرق العربي، في محاولاتهم لاستجلاء عقليته وفكره وأدبه، وإعادة استبناء هذا الشرق وفق توقع غربي، إلا أنهم ساهموا في التأسيس لدراسات وبحوث أدبية بمنظور حديث ، وعلى ضوء مناهج تم إرساء دعائمها وتجريبها على تراثهم الأدبي .

وقد قام المستشرقون بنشر الكثير من الدراسات عن تراثنا الأدبي ، وعكفوا قبل ذلك على جمع هذا التراث ، وتحقيقه وترجمة بعضه ،ونشره كخطوة تمهيدية، لإخضاعه في مرحلة تالية إلى تصفيف مادته الضخمة ضمن ما يعرف بتاريخ الأدب .

ومن المؤكد أن علماء الاستشراق قد حاولوا أن يحيطوا بالأدب العربي إحاطة كاملة،وذلك بالتعرض لكل ما يتعلق به ، غير أنهم واجهوا معضلة تأريخه ونشأته وتكوينه و منزلته وتطوره ،و للتغلب على هذه المعضلات عمدوا إلى تقسيمه إلى عصور، وكان هذا الإجراء جديدا لم يُقدم عليه مؤرخوه القدامى، الذين ركزوا جهودهم على وضع الأدباء في إطار تاريخي ،حسب مواليدهم حينا، أو وفاتهم أحيانا ، أو مواضيع أدبهم في أحايين أخرى ، ويعد تأريخ الأدب العربي ،وتقسيمه إلى عصور مختلفة من طرف المستشرقين صدى جديدا فرضه التطورالذي عمّ أوروبا ، فسلك المستشرقون مسالك مؤرخيهم الغربيين ، وبذلك يكونون قد حلوا مشكلة التحقيب في الأدب العربي [1].

ومعروف أن المستشرقين ألّفوا الكثير من كتب تاريخ الأدب العربي التي تتفاوت في قيمتها، لكنها تتفق في أغلبها على التزام مضمار منهجي واحد يعتمد تقسيم الأدب العربي إلى عصور خاضعة لتغيرات السياسة، فرسّخوا تحقيبا خاصا بالأدب العربي .

ويعد هذا المنهج من أقدم المناهج التقليدية التي تقارب النص من الخارج ، مما يجعل الاهتمام بأصل النص ، و الظروف المحيطة به أكثر من الاهتمام بالنص ذاته ، ومن ثم ينظر إلى النص على أنه وثيقة تاريخية مشبعة بالمعلومات، و الأخبار عن العصر الذي تواجد فيه الأديب، و الأحداث التي عاشها ، ومن عاصره من الأدباء و الحكام .

و الثابت أن تقسيم تاريخ الأدب العربي إلى عصور قد انتشر انتشارا واسعا بين المؤلفين من المستشرقين و العرب، و على الرغم من أنهم لم يتفقوا في الكثير من القضايا التي تخص التحقيب غير أنهم يتفقون في اعتبار المستشرق الألماني "

[1] -أحمد سيمايلوفتش ، فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي . ،دار الفكر العربي–القاهرة– د ط ،1998،ص566.

كـــارل بروكلمـــان" صـــاحب كتـــاب تـــاريخ الأدب العربـــي Geschichte der Arabischen litteratur المؤلَّف بالألمانية رائـدا فـي هـذا المجـال، ولاتكـاد تخلـو مقدمة أي مؤرخ للأدب العربي من ذكره وبيان فضله [1].

والحقيقة التي تستغني عن أي توضـيح هـي أن تـأريخ العـرب المحـدثين أدبهـم كان بعد معاينة أعمال المستشرقين في هـذا الحقـل ، وأشـهرهم " بروكلمـان" ، لـذا اعتمدت كتابه"تاريخ الأدب العربي" نموذجا لهذه الدراسة،وبناء علـى هـذا كـان اختيـار العنوان التالي لرسالة الماجستير:

تقسيم العصورالأدبية عند المستشرقين- كـارل بروكلمـان فـي كتابـه تـاريخ الأدب العربي نموذجا-

وتكمن أهمية هذا البحث في أنه:

1-يقف عند قضية هامة تتمثل في التأسيس للدراسات الأدبيـة العربيـة الحديثـة القائمـة على منهج ،بتسليط الضوء على تقليد أرساه المستشرقون ،وتبنـاه العـرب فلقـي رواجـا قلما تهيّأ لأي منهج آخر.

2-يؤكد على ضرورة مراجعة أي ممارسة أدبيـة أونقديـة بموضـوعية ،وبعيـدا عـن التأثيرات التي تفتقد الروح العلمية.

ويمكن القول أن المحفز الأول لاختيـار هـذا الموضـوع هـو إقـدام المستشـرقين عموما و"بروكلمان" بوجه خاص على هذا الحقـل الصـعب ، فـلا يسـتغني أي باحـث عربي أو مستشرق عن كتابه القيم ، إذا أراد الاهتـداء إلـى مظـان البحـوث العربيـة المختلفة في كل فن من فنون المعرفة، من شـعر ونثـر وتـاريخ وجغرافيـه وتفسـير وحديث و فلسفة وفلك.

و قد عدّ الكثير من الدارسين كتاب "بروكلمان" الضـخم جريـدة إحصـاء لكـل مـن كتب ولجميع ماكتب باللغة العربية ، ومـن هنـا سـيظل كتابـه دلـيلا ثمينـا فـي يـد الباحثين في آداب اللغة العربية وفنونها مدة طويلة جدا [2].

أما المحفز الثاني فهو علمي بحت، و يتعلق بمنهج التقسـيم إلـى عصـور الـذي فرضه المستشرقون على الأدب العربي، متخـذين صـفة الوصـي علـى هـذا التـراث

---

[1] -أنظر على سبيل المثال مقدمات كتب : فؤاد سزكين ، تاريخ التراث العربي ،تر فهمي حجازي ، إدارة الثقافة النشر الجامعية ، 1983، .

و كتاب ريجيس بلاشير ،تاريخ الأدب العربي تر إبراهيم الكيلاني ،دار االدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ،دط4 1986 ، وكتاب عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، ج1 دار العلم للملايين ط 4-1981.

[2] -عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي : دارالعلم للملايين ، ط4 ، 1981 ص18 .

الضخم ، الذي أُفرِغ محتواه في قالب صُمِّم في وقت سابق ، على مقاس آداب الغرب ، ليأتي به المستشرقون، و يفرغون فيه المادة النصية العربية الضخمة التي تمتد إلى قرون طويلة ، شهدت فيها أحداثا جساما .

لذا كانت الإشكالية المعالجة في هذا البحث تقوم على أسئلة وهي:

هل وُفّق المستشرقون في التأسيس لمنهج مثمر لدراسة التراث الأدبي العربي؟ وكيف قسّم المستشرقون عصور تاريخ الأدب العربي؟وماهي المشاكل التي اعترضتهم ؟وهل يهدد التاريخ أدبية الأدب ؟وما دور التعليم في تكريس هذا المنهج؟وكيف انتقل التحقيب السياسي إلى مؤرخي الأدب العرب؟وكيف قرئ تاريخ الأدب في ستينيات القرن الماضي وكيف يقرأ الآن؟

وقد اعتمدت حيال هذه الأسئلة المنهج الوصفي الذي تتخلله المقارنة والتحليل

وقد استقرت صورة البحث بصفة نهائية كالتالي :

مقدمة ومدخل و ثلاثة فصول ، وخاتمة ففي المقدمة ذكرت حيثيات الموضوع ومحفزات اختياري له ، أبرزت إشكاليته في عدد من الأسئلة ، ثم تطرقت إلى الصعوبات التي عترضتني و المتعلق أساسا بالمصادر و المراجع .

و في المدخل رأيت أنه من الضروري التعريف بإطار الدراسة المعرفي والتاريخي ، فتناولت الاستشراق من مختلف الزوايا ،وركزت على صعوبة تعريفه ، وأطواره، فكان من الواجب بيان بدايات الظاهرة الاستشراقية ،وأهم الآراء التي تؤسس لانطلاقتها التاريخية ،ثم المراحل التي مرت بها، والتي تلونت حسب الأغراض ؛ اللاهوتية ثم الاستعمارية فالعلمية، وهي مرحلة التي تهمنا باعتبار أنها شهدت إنتاج المعرفة الأدبية .

وبما أن الموضوع المقترح قائم على دعامتين هما التراث الأدبي العربي، والمنهج التاريخي الأوروبي تطلب ذلك مني إطلالة على المشهد المعرفي للقرن التاسع عشر في أوروبا ، والذي هيمنت عليه مقولات التاريخ ، فأخذ بها معظم المستشرقين في كتاباتهم لتاريخ الأدب العربي ،وأتبعت ذلك بالبحث عن مظاهر التاريخ في الأدب العربي، و الدراسات القديمة التي تناولته، كاعتماد المعيار الزمني، وأثر البيئة و العرق على الأدب العربي .

واشتمل الفصل الأول على تمهيد وثلاثة مباحث ،وكان موضوعه: المستشرقون وتاريخ الأدب العربي ، وآثرت الحديث في البداية عن إعداد المستشرقين النص الأدبي ،بجمع المخطوطات ،وتحقيقها وفهرستها ،ونشرها،وذلك قبل إدراجه في منظومة تاريخية قوامها العصور ، وهي سلسلة من الإعدادات من أجل تجهيز المادة الأولية لتكون تحت تصرف تاريخ الأدب وذلك بجمع التراث، وتحقيقه وترجمته ونشره وفهرسته، ثم عرّفت بتاريخ الأدب بالتركيز على الإشكال

الاصطلاحي،لِأصِل إلى صميم الموضوع، وهو تأسيس المستشرقين لتاريخ الأدب العربي، باعتمادهم على تقسيم العصور الأدبية وفق الأحداث السياسية الكبرى .

وقد خصّصت الفصل الثاني لعرض نموذج الدراسة أي كتاب " تاريخ الأدب العربي لِـ " بروكلمان" فضم تمهيدا و ثلاثة مباحث "، وتعرضت في التمهيد لمفهوم النموذج الأدبي والفرق بينه وبين النموذج العلمي ، وعرجت على الحديث عن المستشرقين الألمان للتعرف على الخلفيات الفكرية و العلمية التي استضل " بروكلمان" بضلها، وكان المبحث الأول عن كتاب "بروكلمان"الذي وضع أصلا بالألمانية ثم ترجم إلى اللغة العربية ،وكانت رحلة الترجمة طويلة وشاقة ،ساهم فيها عدد كبير من المترجمين ،ومن أجل ذلك ألمحت إلى بعض المشاكل الترجمية المصاحبة لترجمة هذا الكتاب ، وتلك التي اعترضت "بروكلمان" في تعامله مع النصوص العربية و المترجمة إلى اللغات الأوروبية ، وذكرت طبعات الكتاب وأجزائه الأصلية و الملحقة ومحتوياته .

ثم أخذت في بسط المنهج الذي اعتمده " بروكلمان" في تقسيمه للعصور الأدبية ، وناقشت قضية جوهرية هي مدى التوافق بين التقسيم السياسي وحركية الأدب و اتخذت العصر الأول إلى غاية صدر الإسلام نموذجا .

و أما الفصل الثالث فخصصته لتاريخ الأدب بين" بروكلمان" ومؤرخي الأدب العربي ،وناقشت فيه مشاكل التحقيب عند " بروكلمان" ، فمنها مشاكل يشترك فيما مع بقية مؤرخي الأدب العربي، ومنها ما تخصه وحده ومن ذلك اعتماده مبدأ الملابسات المشابهة في تفسيره لبعض الظواهر الأدبية ، وحتى يكون لهذه الدراسة فائدة أكبر سلطت الضوء على العلاقة التي تجمع بين تأريخ المستشرقين للأدب العربي، وتأريخ الأدباء العرب لأدبهم ، وكان محورها المقايسة التي صرح بها " جرجي زيدان" في كتابه تأريخ آداب اللغة العربية ، وتطلب توضيح هذه القضية تناول القراءة التاريخية للأدب عند العرب ، ومآخذها .

وبما أن تاريخ الأدب تعرض لنقاش طويل ، فقد عرضت بعض الآراء التي تبناها رواد المناهج الحداثية في مراجعتهم للتاريخ الأدبي ، وفي الخاتمة قدمت خلاصة لنتائج البحث مرتبة حسب الفصول و المباحث .

وقد اعترضتني صعوبات جمة أثناء إعداد هذا العمل، وذلك لقلة البحوث التي تُقيِّم تاريخ الأدب العربي ، فإن كان نقاش قضايا تاريخ الأدب أخذ حظا وفيرا في الأوساط الأكاديمية الغربية ، فإن الدارسين العرب في أغلبهم ضربوا صفحا عن هذا الحقل بمجرد أن الغرب قد فرغ منه إلى مناهج أخرى ،وسلّموا بأنّ الزمن قد تجاوز الدراسات التي تقارب النص من الخارج ، ولم يأخذوا وقتهم في تلمس هنات ومآخذ المنهج التاريخي في الأدب العربي، لنرى تسابقا ليس له مثيل في سعي حثيث من أجل تلقف ما أفضت إليه قريحة الغربيين. وليس هذا

عيبا، فالحكمة ضالة المؤمن ، لكن المعروف أن كل جديد يناضل طويلا حتى يفرض نفسه أمام القديم ليكون جديرا بمكانته .

ومن الصعوبات أيضا ترجمات كتاب " تاريخ الأدب العربي لـ "بروكلمان" ؛ فالأجزاء الستة الأولى مبذولة في المكتبات و المواقع أما بقية الأجزاء فهي مفتقدة لدرجة أن الكثير من الدارسين يجهل وجودها ، و أخذت وقتا طويلا- بطّأ تقدم بحثي- للحصول على صور منها .

و قد اعتمدت في هذا البحث على جملة من المصادر و المراجع ، في مقدمتها " تاريخ الأدب العربي" ل "بروكلمان" بأقسامه و أجزائه، وكتب تاريخ الأدب لبعض المستشرقين إضافة لكتب العرب القدامى مثل كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام و كتاب العمدة في محاسن الشعر لابن رشيق .

و من المراجع الهامة في هذا البحث كتاب العرب و تاريخ الأدب ، نموذج كتاب الأغاني لأحمد بوحسن ،و كتاب في تاريخ الأدب مفاهيم و مناهج لحسين الواد ،و كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد و النقد المنهجي عند العرب لمحمد مندور،و الأدب المقارن ،و النقد الأدبي لمحمد غنيمي هلال .

وفي الأخير أسأل الله السداد و التوفيق ، فما وفقنا إليه من صواب فمن الله ، وما قصرنا فيه فمن النفس و الشيطان .

الرموز:

أشرنا إلى بروكلمان بـــــ:"ب" و إلـــى كتابـــة تـــاريخ الأدب العربـــي بـــــ(ت،أ،ع) تجنبا للإطالة وقد أبقينا على إسم الكتاب و مؤلفه كاملا في العناوين و المقدمة.

كما أشرنا في الهوامش إلى:

-المرجع نفسه الصفحة :م ن ص

-مرجع سابق الصفحة :م س ص

-الصفحة نفسها: ص ن

مدخل

1-الاستشراق

2-المنهج التاريخي في دراسة الأدب

1ــ الاستشراق:

يعد الاستشراق من أكبر ميادين البحث التاريخية والمعرفية والسياسية،فهو يجمع الشرق بالغرب،وكلما بدا اللفظ تجاذبته مفاهيم ومدلولات شتى،فهو موضوع دراسات تغوص في أعماق التاريخ الحضاري للشرق والغرب فلا يحيطه التعريف الدارج عن كونه موضوع دراسة الآخر الغربي للأنا الشرقية ،ولايكفيه التوصيف القائل بتعبيره عن التفوق الحضاري للغرب على الشرق فهو يتسع لاجتهادات تحليلية قالت فيه الشيء و نقيضه، فغدا من أكثر المصطلحات الجدلية اختزانا لكثافة دلالية منعت توصيفه السهل،بقدر ما سمحت للرأي فيه أن يتخذ إما صفة الادعاء على افتراءاته،أو الدفاع عن إنجازاته[1]

ومن الصعوبات التي تعترض تحديد مدلول هذا المصطلح :

أولا: ما يتراءى من صعوبة التطابق بين الاسم ،و المسمى فالمصطلح يتعلق بمدلول جغرافي هو الشرق، وقد وجد الشرق كوطن للشرقيين قبل وجود الاستشراق والمستشرقين بآلاف السنين، فكان مهد أولى الحضارات الإنسانية منذ فجر التاريخ و خاصة بلاد ما بين النهرين ،و مصر ،كما كان مهبط الديانات السماوية الإسلام والمسيحية واليهودية .

غيرأن الرقعة الجغرافية التي غطّاها الاستشراق في الواقع هي المنطقة الواقعة مابين أطراف الصين شرقا حتى موريتانيا غربا ، ومن العراق وتركيا شمالا إلى أندونيسيا جنوبا ،وغالبا ما يكون التركيز على الشرق العربي الإسلامي. وهو الاستشراق الذي يعني هذه الدراسة ؛لأن التحديد الجغرافي للشرق ليس كافيا إذا جرد من هويته اللغوية، والثقافية والدينية والحضارية على وجه العموم

ثانيا:في سياق التحديد نجد أيضا أن اختلاف دوافع ، وأغراض الاستشراق التي تلونت تباعا تحول دون ذلك ،غير أن الأمر لا يخلو من التمازج في أحايين غير قليلة ،ولعل أسبقها ظهورا الدافع الديني وذلك لتحقيق أغراض تبشيرية، مع ما صحبه من انبهار بحضارة العرب والمسلمين ،وما اقتضاه فضول المعرفة لهذا العالم الذي انبثقت منه أقدم الحضارات ، والذي ألهبت حكاياته وأساطيره الخيال الأوروبي ،وغير بعيد كانت معالم الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس .

وإلى جانب هذا تضافرت دوافع أخرى تجارية وسياسية ، ترجمت في العصر الحديث إلى مطامع استعمارية تهدف إلى الاستحواذ على أراضي الشرق

---

[1] - نديم نجدي،أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر ،دار الفرابي –بيروت–لبنان ط1 ،2005 ،ص5.

وثرواته ،و مع وجود كل هذه الأغراض، والدوافع لم يعدم الاستشراق علماء قاموا بأعمال جليلة للتنقيب عن الحضارة العربية الإسلامية وتكبدوا في سبيل ذلك مشاق جمة ،غير أن الإنتاج المعرفي الاستشراقي لم يسلم من الأخطاء و الأغاليط ،وذلك بسبب الجهل الكلي أو الجزئي للغة العربية ،والتعصب الديني ودراسة الشرق بمنظار غربي، وعلى أرضية من الأحكام الجزافية ،وبهذه المنطلقات غالبا ما تجافي النتائجُ الحقائقَ.

ثالثا :أما الصعوبة الثالثة فتتمثل في تعدد ميادين الاستشراق، وتخصصاته ،فالمستشرقون يعتبرون كل ما هو منتسب للشرق، أو ما هو من مكوناته صالحا لأن يكون موضوعا للدراسات الاستشراقية؛ من تاريخ ولغة ودين وأدب ،ونقوش.

رابعا:أما الصعوبة الرابعة فتتعلق بالمستشرقين أنفسهم ومناهجهم ، فهم يختلفون في جنسياتهم ولغاتهم،ومشاربهم، فكيف يتأتى جمع المختلفين توصيفا تحت اسم واحد هو المستشرق؟ فمنهم الهولندي ، والنمساوي ،والإيطالي،والماروني،والعلماني،وحتى من اعتنق الإسلام!

1-1-تعريف الاستشراق :

ومع وجود كل هذه المعيقات لم يتوان الدارسون من المهتمين بالظاهرة الاستشراقية عن تدبيج التعاريف، والمفاهيم المحددة لها ؛فلغويا كلمة "استشراق" لم ترد في المعاجم القديمة،وجاء في معجم متن اللغة للشيخ أحمد رضا العاملي: «استشرق:طلب علوم الشرق ولغاتهم "مولدة عصرية " يقال لمن يعنى بذلك من علماء الفرنجة» [1]

وجاء في القاموس الموسوعي الكبير Grand Dictionnaire Encyclopedique

استشراق: علم العالم الشرقي (تاريخ،لغات،آداب ، عادات ،وأديان شعوب الشرق – والشرق الأقصى)[2]

Orientalisme:nm ,science de L'Orient (histoire,langues,literatures

mœurs et religions des peuples de l'Orient et de l'extreme-Orient)

---

[1] -العاملي،معجم متن اللغة،311/3عن أحمد سمايلوفتش،فلسفةالاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر ،دار الفكر العربي–القاهرة–1998،ص22.

[2]- Grand Dictionnaire Ancyclopedique ,p 7637,Larousse

أما قاموس أكسفورد الجديد فيحدد المستشرق (Orientalist) بأنه من تبحر في لغات الشرق وآدابه[1]

و تعريفات الدارسين للاستشراق من جانب العرب والغربيين يحيل إلى قضيتين تتمثلان في:
-الوعي العربي بالظاهرة الاستشراقية .
-ترسيم الاستشراق باعتباره ميدان دراسة، وإنتاج معرفة عن الشرق في الغرب .

فشعوب الشرق ولاسيما العرب والمسلمين كان وعيهم بالاستشراق ومساعيه متأخرا ،ولعل كتاب"الاستشراق" لإدوارد سعيد الصادر سنة 1978م الأكثر تأثيرا؛ فقد هز أركان هذه المؤسسة الضخمة، فالاستشراق ما كاد أن ينغلق كمسألة كبرى-إن صح لنا أن نفترض من التاريخ الوقائعي مما سمي بالمسألة الشرقية- حتى انفتح ثانية إلى أقصاه[2] ويعد هذا الكتاب الأكثر شمولية والأبعد أثرا في الغرب قبل الشرق.[3]

أما الوعي الأدبي العربي بالظاهرة الاستشراقية وآثاره، فقد كان مع قدوم عدد من المستشرقين للتدريس خاصة في الجامعة المصرية ، وسيجري التفصيل فيه لاحقا ،وهومن النتائج المنشودة في هذا البحث .

ويعرف إدوارد سعيد الاستشراق- الذي عاينه عن كثب- بأنه يعني عددا من الأشياء هي جميعا متبادلة الاعتماد "أولاها الدلالة الجامعية الأكاديمية التي تشمل التدريس والكتابة والبحث في شؤون الشرق .
-ثانيا: اعتماد" الاستشراق " على أسلوب من الفكر قائم على تمييز وجودي "أنطولوجي" ومعرفي "ابستمولوجي"،بين الشرق والغرب من طرف كتاب، وشعراء ،وروائيين ،وفلاسفة ،ومنظرين ، وسياسيين، واقتصاديين ،وإداريين استعماريين.
-ثالثا:الاستشراق باعتباره أسلوبا غربيا للسيطرة على الشرق وإعادة بنائه وامتلاك السيادة عليه[4]

وجلي أن الاستشراق ينأى عن الثبات،و الاستقرار إلا بالقدر الذي يتماشى مع الظروف، والملابسات التاريخية في مرحلة من المراحل بجعل الدوافع والأغراض من أهم المحددات لهذه الظاهرة ،التي بتلونها تعطيها مرحلية ، لكنها غير متمايزة

---

[1] - عبد الرحيم الوهّابي ،متى بدأ الاستشراق ،مجلة المشكاة،م 7،ع1418/27،28-1419،ص14.
[2]- Monique Gadant , Parcours d une intelectuelle en Algerie , Harmattan,Paris, 1995,p 18 . -
[3]- Valérie Berty ,Litterature et voyage au 19 eme siecle ,Harmattan,Paris ,2001 ,P28 .
[4] - إدوارد سعيد ،الاستشراق تر كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربي ط4، 1999. ص38\39

تمام التمايز، لتداخُل نسبي بين الدوافع و الأغراض ،ومع ذلك فلامناص من الاعتماد عليها في تحديد مراحل الاستشراق.

2-2-مراحل الاستشراق:

علاقة الشرق بالغرب ضاربة في أعماق التاريخ فقد سجل المؤرخ اليوناني الشهير "هيرودوتس" معلومات عن الشرق بعد رحلته إليه وعلى الرغم من الحقائق التي سطرها أبو التاريخ فيبقى هذا السفر مليء بالأساطير، والخرافات[1]

وفي أواخر القرن الرابع قبل الميلاد بدأ" الإسكندر المقدوني" في اجتياح الشرق، وقام بإرسال ألواح من بابل إلى بلاد اليونان وقام علماؤها بترجمتها[2]

غير أن هذه الوقائع لا تعني الاستشراق بمعناه الحقيقي ، الذي لم ترس أسسه إلا بعد تلك الصدمة، التي تلقاها الغرب المسيحي من التوسع الهائل والسريع للعرب، بعد انتشار دعوة الإسلام بينهم ، فتجاوزوا جزيرتهم إلى الأراضي البعيدة في زمن قياسي ،وقضوا على التواجد الغربي في الشرق ، وبنوا حضارة وقف الغرب منها موقف المتنكر والمتجاهل والمتعالي في أغلب الأحيان.

ويعزو المستشرق "يوهان فوك" سوء الفهم هذا إلى طبيعة العلاقة الاحتدامية بين الشرق العربي المسلم والغرب الأوروبي المسيحي [3]فلم تسمح هذه العلاقة المتوترة بمعرفة حقيقية متبادلة ،إذ أنَ الآراء التي كونها كل طرف عن الآخر تفتقد الدقة ،والموضوعية .

2-1-الاستشراق اللاهوتي:

إن الفشل الذي لحق الحروب الصليبية جعلهم يتوصلون إلى قناعة مفادها أن أسلوب القوة لن يحقق أهدافهم وبالتالي فإنه «لا سبيل إلى مكافحة (هرطقة محمد) بعنف السلاح الأعمى وإنما بقوة الكلمة ودحضها بروح المنطق الحكيم للمحبة المسيحية» [4]فتولى عدد من الرهبان مجتمعين أو متفرقين مهمة محاربة الإسلام والتبشير بالمسيحية ، فأشرف" بطرس المبجل" على أول ترجمة للقرآن الكريم، وقد كلف بها مجموعة من مستعربي الأندلس وكانت هذه الترجمة تزخر بالأخطاء

---

[1] - ساسي سالم الحاج ،الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية،الجامعة المفتوحة ،طرابلس ليبيا،ط3، 1997 ، 28/1.

[2] - م ن،ص ن.

[3] - يوهان فوك ،تاريخ حركة الاستشراق ،ترجمة عمر لطفي العالم ،دار المدار الإسلامي،ط2 ،2001 ،ص15.

[4] - يوهان فوك ،م س ،ص 17 ،الهرطقة،ويطلق عليها أيضا الزندقة أوبالانجليزية Hertic هي تغيير في عقيدة أو منظومة معتقدات مستقرة ،وخاصة الدين،بإدخال معتقدات جديدة عليها أو إنكار أجزاء أساسية منها .وكلمة "هرطقة "ليست وصفا موضوعيا وإنما تطلق من وجهة نظر من يستخدمها.

فالمترجم «لم يكن أمينا إذ أغفل ترجمة العديد من المفردات كما لم يتقيد بأصل السياق ،ولم يقم وزنا لخصوصيات الأسلوب»[1]

ويعتبر إدوارد سعيد أن الغرب المسيحي يؤرخ لبدء الاستشراق الرسمي بصدور قرار "مجمع فينا"الكنسي عام 1312م بتأسيس عدد من الكراسي الأستاذية في العربية ،واليونانية ، والعبرية ،و السريانية في عدد من الجامعات الأوربية.[2]

واستمر الاستشراق اللاهوتي مدة ليست هينة ونشأت تصورات ، ورؤى مشوهة عن الشرق دعمها إحساس جمعي لأحداث، ووقائع ترسبت عبر قرون طويلة ،بدءا بالفتوحات الإسلامية ثم الحروب الصليبية ،وما خلفته انتصارات صلاح الدين من حسرات، لفقد بيت المقدس، وانتهاء بفتح العثمانيين للقسطنطينية ،فلا يمكن تجاهل كل هذا المخزون التاريخي التراكمي في وعي ،أو لا وعي الذاكرة الجماعية الغربية .[3]

1-2-2- الاستشراق الاستعماري:

وتتزامن هذه المرحلة مع ما يعرف في أوروبا بعصر التنوير[4]،فهو عصر العقلانية ،والكشوفات الجغرافية الضخمة ،فبعد ما كانت طرق التجارة عبر المتوسط ثم عبر آسيا وصولا إلى الهند – وهي رحلة طويلة جدا محفوفة بالمخاطر– صارت الطريق بحرية عبر رأس الرجاء الصالح ، وقد كان الغرض من هذه الاستكشافات في البداية تجاريا غير أن أخبار المغامرين والرحالة العائدين خاصة من الشرق أنبأت أوروبا بثراء هذه البلاد ،وبعراقة حضاراتها مما جعلها محط الأطماع.

وتحول بهذا الهدف ليصبح عسكريا استعماريا ،و المعروف أن أية خطوة عسكرية يجب أن تسبق بدراسة مفصلة ، ولم يكن هناك أكفأ من المستشرقين للقيام بهذا الواجب تجاه أوطانهم ! لتبدأ مرحلة جديدة في الاستشراق وهي مرحلة الاستشراق الاستعماري، فقام المستشرقون والمبشرون بأدوارهم على ما يرام فقدموا لأوطانهم ما تحتاج إليه من تراث الشرق لفهم عقليته ،وأمزجته ،وتفاصيل

---

[1] – م ن ،ص19.

[2] –إدوارد سعيد ،م س ،ص 80.

[3] – إ براهيم الطيب، الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه ،خاصة في الجزائر،دار المنابع ،دط،2004 ،ص45.

[4] – أجاب إمانويل كانت عن سؤال ، ما هو التنوير؟ بقوله":إنه خروج الإنسان من مرحلة القصور العقلي ،وبلوغه سن النضج ،أو سن الرشد "كما عرف القصور العقلي أنه التبعية للآخرين وعدم القدرة على التفكير الشخصي أو السلوك في الحياة أو اتخاذي قرار دون استشارة الشخص الوصي علينا ،عن الويكيبيديا الموسوعة الحرة آخر تعديل 26-10-2008.

حياته ،ومواطن ضعفه ولم يتحرج المستشرقون من اتخاذ صفات شتى لإنجاز مهامهم.[1]

وفي هذا الاتجاه قام "نابليون" قبل حملته على مصر بتفحص كتاب الرحالة الفرنسي فولني" volney " "رحلة إلى مصر وسوريا" ،واصطحب "نابليون" جيشا من المستشرقين في تخصصات علمية مختلفة ، وإلى جانب الهدف القومي والمتمثل في إحراز مستعمرة تعادل الهند – التي استطاع الانجليز افتكاكها من الفرنسيين– أراد"نابليون" أيضا أن يخلد صنيعه في هذه الحملة «وكانت فكرته هي أن يؤسس نوعا من سجل للمحفوظات حي (أرشيف) لحملته»[2]

واحتفى الأدباء في فرنسا بما أقدم عليه "نابليون" وفي مقدمتهم "هوجو" الذي أراد تخليد صنيعه،
في قصيدته التي سماها " إليه" فيقول[3]:

على ضفاف النيل وجدته مرة أخرى
وقد أضاء مصر بأنوار فجره
وفي الشرق يسطع نجم سلطانه
منتصر متحمس يتفجر بالمنجزات
عجيب أذهل أرض العجائب
أمير حكيم صغير يجله الشيوخ الكبار
والشعب يخشى أسلحته غير المسبوقة
فبدا في رفعته لعيون القبائل الذاهلة
كأنه محمد أتى من غرب

ويصور"هوجو" إعجاب أهل مصر بنابليون،والذي لايعادله –حسب زعمه–إلا إعجابهم بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم !! وهي صورة وهمية فمبدئيا من يعرف عقيدة المسلمين يدرك بأن مكانة نبيهم لايبلغها أي بشر.

والحقيقة التاريخية هي أن "نابليون" قد سلك أسلوب الخداع لإنجاح حملته فاستغل بريق الثورة الفرنسية ،ومبادئها خاصة المساواة لإيهام علماء الدين المصريين بألا فرق بينهم وبين جنوده ودعاهم إلى مجلسه ليلقي خطبة كلها نفاق ورياء ولم يتردد عن إبداء إعجابه بالقرآن ،والدين الإسلامي ،ونبيه كما امتدح المبادئ الإسلامية [4]

---

[1] – ساسي سالم الحاج ، م س ،63/1..
[2] - ادوارد سعيد ،م س ، ص107.
[3] - إدوارد سعيد ،الاستشراق، تر محمد عناني ،رؤية للنشر والتوزيع ،القاهرة ،ط1 ،2006 ،،ص155-156.
[4] - ساسي سالم الحاج ، م س ،105/1.

ومن الثمار العلمية لهذه الحملة تأليف كتاب ضخم سمي "وصف مصر"،الذي من خلاله تغيرت لغة الاستشراق ذاتها تغيرا جذريا ،فقد ارتقت واقعيتها الوصفية ،ولم تعد مجرد أسلوب للتمثيل ،بل وسيلة للخلق فأعيد بناء الشرق كما في مؤلفات شاتوبريان ،ولامارتين ،وفلوبير « أنجبت حملة نابليون سلسلة كاملة من المولدات النصية من كتاب شاتوبريان المرحلة ،إلى كتاب لامرتين رحلة في الشرق ،وكتاب فلوبير سلامبو...» [1]

ولم تبرأ هذه الأعمال –رغم اعتمادها على ا لمعاينة في أغلب الأحيان–من التشويه وذلك بإعطاء مظاهر فردية، وثانوية قدرا مبالغا فيه من الاهتمام والتعميم، فـ "لامارتين" مقتنع أنه بعدد متواضع من الجنود وبعض المال يمكن اكتساح المشرق العربي، أما الأعراب فيُجرِّدهم "لامارتين"من أي دين أو ولاء أخلاقي[2]

وحماس الأديب الكبير لاكتساح الشرق ،ورغبته في إقناع مواطنيه بسهولة تحقيق هذا المسعى جعلاه ينسى جميل الأعراب نحوه،وذلك أثناء رحلته لبلاد العرب، الذي كثيرا ما نوه به ، كما نوه بأخلاقهم ،فيذكر في موضع أن الأعراب يختارون الحيوان الذي يعقرونه لاستقبال الضيف،و ذلك حسب مكانته ،وقد ضيفوه بدءا بالخروف ،وانتهاءا بالجمل[3] فلو كان هؤلاء لادين لهم إلا المال لما استضافوه ،ولأخذوا أجرة عن كل خدمة يقدمونها له.

و في موضع آخر يصف"لامارتين" شيخ قبيلة عربية بأنه يبلغ الثمانين ،وقد كان شيخا ضعيف البنية لباسه متواضعا ،وسلطته بين قومه مصدرها شهامة قلبه ،وكرمه ،ولأنه ينحدر من أسرة عريقة كثيرة العدد [4]كما يسجل في مذكراته« إن الاضطهاد بعيد عن أخلاقيات الشرق وهو أقرب منه إلى أخلاقيات أوروبا»[5] وبعدكل هذا يدعو أوروبا لغزو الشرق!!وكل هذه الأدلة تدل على تناقضه مع نفسه.

وجدير بالذكر أن تلون الاستشراق بين الدوافع والأغراض لم يكن خالصا لغرض واحد في فترة من الفترات أو بين القوميات ،ولاحتى بين المستشرقين فقد يدخل بعضها على بعض ،وتتكاتف أحيانا ،فلايعني غلبة النزعة الاستعمارية والعسكرية زوال صفة التبشير عن كل المستشرقين.

1- ادوارد سعيد،م س ،ص113

[2] - ساسي سالم الحاج ،م س ،117/1.

[3]- Alphonse de Lamartine , Voyage en Orient ,vol 3, copie de l'exemplaire,bibliotheque Cant,et univ Lausane-vol3،p141

[4]- Ibid, même page

[5] - ساسي سالم الحاج ، نقد الخطاب الاستشراقي ،دار المدار الإسلامي ط1 ،2002 ،ص99.

1-2-3-الاستشراق لأغراض علمية في اللغة والأدب:

لم يعدم الاستشراق أناسا كانت أغراضهم علمية،مع وجوب التفريق هنا بين البحث العلمي والروح العلمية ، فالأول يعني استهداف قضية ما بالدراسة وذلك باتباع منهج واضح ، فيصنف العمل على أنه يعالج موضوعا علميا بصرف النظر عن قيمته، التي تتحدد بمنسوب الروح العلمية ،والتي بفعلها يتجرد الباحث للحقيقة وحدها ،و هذه القضية تعتبر بمثابة الإشكالية في الإنتاج المعرفي الاستشراقي.

وقد كان الاهتمام بتراث الشرق لأغراض علمية مبكرا عند لفيف من المستشرقين، غير أن الانطلاقة الحقيقية لهذا النوع كانت مع المستشرق ذائع الصيت "سلفستر دي ساسي"(1758- 1838م) الذي يعتبره "إدوارد سعيد" مؤسس الاستشراق الأكاديمي[1] وقد تركزت جهوده على اللغة والأدب ،ولم يخض في الدراسات الإسلامية ،فقام بتأليف كتاب في نحو اللغة العربية في مجلدين عنوانه "النحو العربي لاستعمال تلاميذ المدرسة الخاصة باللغات الشرقية"[2]
Grammair Arabe à l'usage des élèves des langues Orientales
وقد سعى الطلاب إليه من كافة بلدان أوروبا متحلقين حوله وبقيت المؤلفات النحوية لِـ "ساسي" بلا منازع مدة نصف قرن، إلى أن حلت محلها الكتب التي ألفها تلامذته الألمان ، ومن أهمهم "فلهلم فرايتغ``(1788-1861) ،و"هاينرش فلايشر" (1801-1888) ،و"غوستاف فليغل" (1802-1870)[3]

وأقبل المستشرقون على تحقيق التراث، والتنقيب عن الكثير من المخطوطات العربية ، ونشرها ،وترجمة بعضها ،ووضع الفهارس لها ،وقد تميزت هذه الأعمال بالوفرة والتنوع،وكان القرآن الكريم في صدارة الكتب التي لم ينقطع عنها الاهتمام الاستشراقي بالترجمة والدراسة ،فلا ينقضي عصر إلا ويخلف ترجمة بل وترجمات بكافة اللغات الأوروبية ،إما ترجمة عن الأصل العربي، أوبنقله من لغة أوروبية إلى لغة أخرى ، وغالبا مالا تكون هذه الترجمات في مستوى قدسية النص القرآني .

كما أن للمستشرقين باع طويل في تأليف المعاجم والقواميس العربية ، وفضلهم لا ينكر ،فمن المعاجم التاريخية مثلا :تكملة المعاجم العربية للهولندي "دوزي"،والمعجم اللغوي التاريخي ل "فيشر" ،ومن معاجم الموضوعات المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب "دوزي" ...[4]

---

[1] - إدوارد سعيد،م س،ص146.
[2] - عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ،دار العلم للملايين ،بيروت ،ط3 ،336،1993.
[3] - رضوان السيد ،نشوء الاستشراق الألماني ،وتطوراته المبكرة ،جريدة الشرق الأوسط ،ع9458، 2004.
[4] - عبد الرحمن بدوي ، م س ،ص259.

أما في مجال التاريخ الأدبي، وفهرسة المصادر، فيُذكر للمستشرقين أيضا بالتقدير تلك المراجع الهامة التي أدت –ولا زالت تؤدي– خدمات جليلة للباحثين في شتى مجالات العلوم العربية ،والإسلامية مثل كتاب "بروكلمان" ´´تاريخ الأدب العربي`` و´´دائرة المعارف الإسلامية``،وإن كان للمسلمين على هذه الدائرة بعض المآخذ[1].

وبهذه الجهود وغيرها يبلغ الاستشراق مرحلة الاكتناز المعرفي في القرن التاسع عشر شأنه كشأن سائر مجالات المعرفة الأخرى،و التي كانت في مجملها استجابة لواقع ابستملوجي (معرفي) طبع هذه المرحلة فألقى بثقله على مناهج المستشرقين ،وفي مقدمتها المنهج التاريخي.

2-المنهج التاريخي في دراسة الأدب:

2-1-عند الغرب:

طبع القرن التاسع عشر بنزعات مبنية أساسا على المركزية الأوربية –التي اصطنعت كل المسوغات لتبرير الاستعمار – و الرومانسية التي تعني في طابعها العام الثورة على التقاليد الكلاسية في جميع أصولها وقواعدها فتهدف إلى تحرير الأدب الغربي من سيطرة الآداب القديمة ، و أصبحت قيودا فنية صارمة تحول بينه وبين الانطلاق على سجيته [2]، أما النزعة الثالثة فهي النزعة العلمية التي ترتبط أساسا بمفهوم التطور التاريخي. وهكذا فقد ظهر في القرن التاسع عشر ثلاثة اتجاهات :

– شعور نفعي إمبريالي بالتفوق الغربي مليء بالازدراء للحضارات الأخرى.

–وميل رومانسي إلى كل ما هو غريب يبتهج بالشرقي السحري [3]الذي كان فقره المتزايد يعطي سحره مذاقا خاصا.

– وتخصص علمي انصب معظم اهتمامه على العصور الماضية، على أن هذه الاتجاهات الثلاثة كانت متكاملة فيما بينها أكثر منها متعارضة ، وذلك بالرغم من أن المظاهر قد توحي بعكس ذلك [4]

و التاريخ في هذا العصر لم يعد مجالا مستقلا بل صار مقولة أساسية لكل ألوان النشاط العقلي، ويعود هذا إلى فلاسفة أمثال "هيجل" (1770–1831 م) الذي

---

[1] - محمود حمدي زقزوق،الإسلام في تصورات الغرب،مكتبة وهبة ،ط1 ،1987 ،ص11.

[2] - إبراهيم عبد الرحمن محمد ،النظرية والتطبيق في الأدب المقارن ، دار العودة لبنان بيروت ،دط ،1982 ،ص27.

[3] - وتتجلى هذه النزعة في شعر غوته (gothe) تاذي يمجد محمدﷺ خصوصا في" أنشودة محمد" Mahomet gesang td 1774 ،وبعد أربعين عاما وفي سنة 1819 كتب غوته "الديوان الشرقي الغربي"West oslichu Diwan

[4] - مكسيم رودنسون، الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية ،من تراث الإسلام،تصنيف جوزيف شاخت وكليفورد بوزورث ،ترجمة لجنة من المترجمين ،عالم المعرفة ،الكويت،1985،ص60.

دعى إلى عقلنة الأحداث والمواءمة بين التاريخ و العقل ،و أن الغاية الفنية مرتبطة بالعصر الذي يعيش فيه الأديب [1]

وبهذا ينسب أي نشاط فكري أو إبداعي إلى محصلة تاريخية كما يقول هيغل «إن كنز العقل الواعي ذاته الذي يعود إلينا يعود إلى الحقبة المعاصرة لم ينتج على نحو فوري ، ولم يخرج من تربة الزمن الحاضر لكنه بالنسبة إليه يمثل إرثا جوهريا، وهو بشكل محصلة عمل وهو في حقيقة القول عمل كل الأجيال السالفة من الجنس البشري» [2] .

وملامح العصر تتبدى على العمل الفني «فلا مناص إذن من أن تكون أفكار الكاتب ووسائله الفنية ذات طابع تاريخي محدد المعالم »[3]. وقد انطلق الفلاسفة الواقعيون من أفكار "هيجل" و أرسوا فيما بعد المادية الجدلية التي تفسر الأدب تفسيرا ماديا تاريخيا.

وتتوضح المعالم الفكرية أكثر في هذا العصر بظهور الفلسفة الوضعية ف «اتجه الفن نحوا الواقع بتأثير الفلسفة الوضعية positisme أو التجريبية Experimental على يد أو جست كونت (1798-1857) وجون ستيوارت ميل john stuart mill (1806-1873)، وتين (1828-1993) وموجز قضاياها : أن المعرفة المثمرة هي معرفة الحقائق وحدها، و أن العلوم التجريبية هي التي تمدنا بالمعارف اليقينية » [4]

وتدعم هذا الاتجاه بمكتشفات تشارلز روبرت داروين (charles robert darwin) (1809-1882) صاحب نظرية النشوء و الارتقاء، و التي توصل إليها بعد دراسة التاريخ الطبيعي للإنسان و الحيوان، وخرج للعالم بنظريته الشهيرة في التطورو طريقة "الانتقاء " في الطبيعة، و أثره في تكوين الأنواع الحيوانية ، ضمن كتابه "نشأة الأنواع بطريق الاختيار الطبيعي ، أو الاحتفاظ بالأجناس المختارة في صراع الحياة " [5]

وعلى الرغم من أن هذه النظرية في مجال الطبيعة و الأحياء ،إلا أن أثرها طال العلوم الإنسانية ،وقد راجت نظريته رواجا منقطع النظير في ظل الفلسفة

---

[1] - محمد غنيمي هلال ،النقد الأدبي الحديث ،دار العودة بيروت،د ط ،1987، ،ص 296

[2] - هيغل ،محاضرات في تاريخ الفلسفة ،ترجمة خليل أحمد خليل ، ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت ط1، 1986. ص21.

[3] - محمد غنيمي هلال ،م س ،ص296،

[4] - م ن ،ص312.

[5] - محمد غنيمي هلال،الأدب المقارن،دار النهضة ،مصر،ط3، 1977 ص56.

الوضعية للعصر، وبها تحدد إدراك النقـاد للإنسـان ، إذ رأوا أن كـل امـرئ معاصـر هو نتيجة تكوين العالم له في مختلف العصور[1].

وقد ألقى هذا الـزخم الفكـري و المعرفـي المتسـارع بظلالـه وارفـة علـى الأدب إبداعا ودراسته، فظهر ما يسمى بالتاريخ الطبيعي لـلأدب لـدى عـدد مـن النقـاد ومؤرخي الآداب ، وفي مقدمتهم "سانت بيـف" و "تـين" و "برونتييـر"فـأنكروا كـل مـا يتصل بالذوق، و أحكامه ، و أخذوا يحـاولون فـي قـوة وضـع قـوانين ثابتـة لـلأدب ثبات قوانين العلوم الطبيعية[2].

ويعتبـر سـانت بيـف Sainte-Benve(1804-1869م) مـن الأوائـل الـذين عززوا هذا الاتجاه في النقد ، فقد دعا فـي دراسـة الأدبـاء إلـى الاهتمـام بمحـيطهم ، وعلاقاتهم القريبة والبعيدة ، ونفسياتهم و أمزجتهم ، وكيـف يفكـرون كمـا ألـح علـى أن تكون هـذه الدراسـة علميـة تبحـث علاقـاتهم بأوطـانهم، و أسـرهم ، وتربيـاتهم وثقافاتهم ، وعلاقاتهم بأصدقائهم ومعارفهم ، وكل ما يتصل بهـم مـن عـادات، وأفكـار ومبادئ ، مع تسليط الضوء على كل نجاح أو إخفاق ، وعلـى جوانـب ضـعفهم، وكـل ما اضطربوا فيه طوال حياتهم ، وكل هذا حتى يتـأتى للمـؤرخ الأدبـي أن يميـز بـين الفردي الذاتي والجماعي المشترك بينـه، وبـين مـن علـى شـاكلته مـن أدبـاء بيئتـه وعصره[3].

فهو يدعو مؤرخ الأدب بأن يحـيط بكـل صـغيرة وكبيـرة مـن حيـاة الأديـب ،ومحيطه الاجتماعي، و الثقافي ، و النفسـي ليُقْـرَأ إبداعـه قـراءة تاريخيـة صـحيحة، تتضح فيها كل هذه المـؤثرات ،وعنـدها يصـنف الأديـب و ضـمن الأسـرة الأدبيـة الخاصة في أمته ، و يوصل علميا بينه وبين فصيلته الأدبية[4].

و الفصيلة الأدبية عند "بيف" لا تختلف عـن الفصـيلة النباتيـة أو الحيوانيـة، فهـي تتشكل بحسب ما يقع عليها من مؤثرات خارجية، أو حسب ما تنـتظم فيـه مـن صـفات وخصائص، على النحو الـذي تتشـكل بـه فصـائل الحيـوان ،و النبـات فـي العلـوم الطبيعية،[5].

فاهتمام"بيف"بما يجمع الأدباء له الأولوية ، ولا يهتم كثيرا بمـا يتفـرد بـه الأديـب ،فنجده يهتم بالفصيلة التي بـين عناصـرها قواسـم مشـتركة لينصـب اهتمامـه علـى المشترك العام .

---

[1] - محمد غنيمي هلال ،الأدب المقارن ،ص77.
[2] - شوقي ضيف ،البحث الأدبي ،طبيعته مناهجه ،وأصوله ،ومصادره،دار المعارف ،مصر،ط6 ،1986ص85.
[3] - م ن ،ص86.
[4] - محمد مندور ،في الأدب والنقد ، نهضة مصر للطباعة والنشر ،د ط ،د ت.ص62
[5] - شوقي ضيف ، م س،ص86

وقد أثارت كتابات "بيف" لغطا كبيرا بالنظر إلى غزارتها وتنوعها ، وحساسيتها ، و إذا كانت أثاره لا تقرأ كلها القراءة التي تستحقها ، فسبب ذلك يرجع إلى أنه لم يناقش – كبعض النقاد الرئيسيين– الأهداف العامة للأدب والمشكلات العامة للتاريخ الأدبي، ،وإنما ركّز "سانت بيف" نشاطه على كُتّاب معينين [1]

قد كان"بيف" معاصرا لـ "فيكتور هوغو" و"بلزاك" و" ألفريد دوموسيه" ، و"فلوبير "... وغيرهم من عمالقة الأدب الفرنسي في القرن التاسع عشر ،و هكذا فإن الأحكام التي يطلقها على الأدباء والشعراء ذائعة الصيت كما أن مرونة عقلية "سانت بيف" غير المعتادة جعلته – إلى حد بعيد – أكثر النقاد الفرنسيين عالمية ، وهو يقرر بنفسه بأن أبرز عيوب العقلية الفرنسية هو صرامتها ، وتعصبها الإقليمي[2].

وبذلك أصبحت أحاديث الإثنين ، و الإثنين الجديدة (1850–1869 م) وهي مجموع مقالات أدبية متنوعة ، تمثل سلسلة من الدراسات بمثابة مقدمة للتاريخ الطبيعي للعقول [3] ويصرح بيف « إنني أحلل و أدرس البيانات دراسة علمية ، أنا عالم العقول الطبيعي ، إن ما أود أن أؤسسه هو التاريخ الطبيعي للأدب ، لذا لاشيء غريب بالنسبة للحياة في حين أن فن الكاتب غريب بالنسبة للناقد»[4].

ويجدر بالناقد إذا اقتحام حياة الكاتب ، والاطلاع على كل تفاصيلها كالعلاقة بين العمل و المؤلف، وما يحيط به من ظروف عائلية ، وقومية ، وحقبة تاريخية ، وارتباط تلك الحقبة بالحقب الأخرى ،يمثلها "سانت بيف" بشكل دوائر ذات مركز واحد ، حتى ينجز الناقد عملية التقييم التي يقوم بها[5].

وعاب بعض النقاد على" بيف" إهماله الجانب الذاتي في عمل الأديب باعتباره غاية ، فينفرد به عن غيره ، وهذا ما جعل أحد النقاد يقول بأنه أسقط أروع ما يمتاز به الأدباء من فردية ، وذاتية محاولا بكل ما استطاع أن يجعلهم يشبهون الكائنات البيولوجية، دون مراعاة للخصائص الذاتية والفردية للأديب [6]

فلكل إنسان كيانه المستقل ،فلا نجد في الحياة من يكرر الآخر؛ لأن الناس مختلفون في قدراتهم و طبائعهم و أمزجتهم ، و انفعالاتهم ،فأولى أن يجري ذلك

---

[1] - ولتر بيت جاكسون ،تعريفات باتجاهات نقدية،ضمن كتاب مقالات في النقد الأدبي ، تر ابراهيم حمادة دار المعارف القاهرة ،د ط د ت،ص90.

[2] - م ن ،ص91.

[3]- G De Plinval ,Histoire de la litterature Française ,librairie Hachette,Paris,p 225.

[4] - ولتر بيت جاكسون ،م س ، ص92/91.

[5] - م ن ،ص92.

[6] - شوقي ضيف م س ،ص87 .

على الأدباء لاختلاف ملكاتهم ومواهبهم، واختلاف ما يقدم كل منهم من نتاج عقلي ،وشعوري يضع فيه أفكاره و أحاسيسه وذكرياته وخواطره وخوالجه[1].

وقد وقع" سانت بيف" في بعض المحاذير الناشئة أساسا من توجهه بالنقد لمعاصريه خاصة في كتابه" شاتوبريان وزمرته الأدبية" Choteaubriand et son groupe litteraire ، فقد تنازعت " سانت بيف" في هذا الكتاب عواطف شخصية؛ من خصومات وصداقات ، لذا يندر أن يظهر رجل ك "سنت بيف "وهو يمارس خلال سنوات طويلة نقد معاصريه من غيرأن ينتقص من صدقه مثل تلك العوامل النفسية ، فقد كان مغرما بتقصي أخبار معاصريه، ولا يقتصر ذلك على حياتهم الأدبية ، بل و حياتهم الخاصة أيضا، وشؤونهم الداخيلة، وذلك بالتجسس عليهم، والتقاط الأخبار عن خفايا أمورهم ، مما يفيض كثيرا بالفضائح والعيوب[2].

لذا وصف ذوق "سانت بيف" النقدي بميله إلى المذكرات ،و السير الذاتية، وصور الشخصيات الأدبية .

ومع هذا فيذكر الفضل لهذا الناقد بأن نظراته حول تصنيف الأدباء إلى فصائل قد أعدّت لظهور فكرة المدارس الأدبية، فكل مدرسة تضم مجموعة من الأدباء تشترك في خصائص معينة ،وعاصر "بيف" المدرسة الرومانسية التي حلت نهائيا محل المدرسة الكلاسيكية ،ولم تلبث أن تلتها المدرسة البرناسية ،وظهرت بعدها المدرسة الرمزية.[3]

لقد حاول "بيف"تفسير العمل الأدبي من خلال شخصية صاحبه ،والأحداث التي عاشها أو مر بها ،ولقد قوبلت آراؤه بالترحاب من خلال الرواج الذي لقيته في زمانه ،كما ووجهت بالهجوم المبطن حينا و الصريح حينا آخر، وخيرمن يمثل هذا المنحى الأخير الروائي الشهير "مارسيل بروست" Marcel Proust (1871-1922م) صاحب الرواية "البحث عن الزمن الضائع"وهو صاحب كتاب "ضد سانت بيف" وقد عاب على "بيف" تفسير العمل الأدبي بتسليط الضوء على مؤلفه وليس على العمل ، وحجة "بروست" أن العمل هو من إبداع ذات أخرى غير ذات المؤلف المعروفة في الحياة[4]

وقد عبر عن هذه الفكرة لاحقا "رامبو" بعبارته الشهيرة "الأنا هي ذات أخرى،فالكاتب الكبير شخص مهوس ،و مسكون من الداخل ،إنه مسكون بالأنا

---

[1] - شوقي ضيف م س ،ص87.

[2] - أحمد أمين ،النقد الأدبي ،دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ،ط4 ،1967. 366/1.

[3] - شوقي ضيف،م س ص62.

[4] - ميشيل تريكس "سانت بيف..بانوراما الأفذاذ" المكتبة العامة الفرنسية باريس 2004،عن البيان ، الإثنين25 ابريل 2005 ،س25،ع9077 .www.aljameah .com,

الإبداعية التي تظهر في الحياة اليومية ،ولا تتحرك إلا عندما يختلي بشيطان الإبداع "[1]

ولكن يحسب ل"سانت بيف"آراؤه المستقلة ،إذ أن إدانة السلطات "فلوبير" صاحب رواية "مدام بوفاري " لم يمنعه من إبداء إعجابه بالرواية ،وفي سبيل هذا الرأي الحر عرض استقالته من منصبه الجامعي على الوزير ،فقد خاطر بمركزه العلمي لكيلا يخون واجبه كناقد موضوعي ،وعلى الرغم من أن النقاد فرغوا منذ أمد بعيد من نقد منهج "سانت بيف" ،غيرأن تراجع البنيوية في فرنسا أعاد الاهتمام ب "سانت بيف " من جديد"[2]

ولن نجد من يمثل روح العصر العلمية أكثر من "هيبوليت تين" (1828-1893 م) في النقد الأدبي ،والذي يعتبر من أكثر نقاد القرن التاسع عشر صرامة، وانتظاما في تطبيق منهج العلم الطبيعي، ومبادئه على دراسة التاريخ الأدبي.[3]
و على الرغم من أن "تين" اعتنى أيضا بالجانب الشخصي من حياة الأدباء ،إلا أنه أكثر انفعالا في اعتبار بحوث العلم مؤثرة على الأدب و الفن، و يبني "تين" نظرياته على مبدأين«أن التأثير متبادل بين العوامل الطبيعية و العوامل النفسية التي تتضافر معا على نمو الجنس البشري و اطراد تقدمه، و أن بحوث العلم لابد أن تؤثر في الأدب و الفن »[4]

وتتجاوب هذه الأفكار مع الفلسفة "الوضعية" السائدة في هذا العصر إذ يرى بأن شخصية الأديب أوجدتها مؤثرات اضطرارية، هذه المؤثرات تتمثل في الجنس و البيئة والعصر [5]

فلكل جنس خصائص تكوينية وفكرية ونفسية تميزه عن غيره من الأجناس،والجنس عند "تين" هو تميز مجموعة من الناس انحدروا من أصل واحد بمجموعة من الاستعدادات الفطرية ،وترتبط هذه الاستعدادات بفروق ملحوظة في مزاج الفرد وتركيبه العضوي ، و من ثمة فإن كل جنس يتميز بخصائص فكرية تظهر في إنتاجه العقلي والفلسفي الفني[6] ويعتقد بأن هذا العامل هو أقوى العوامل الثلاثة لأن مجموعة بشرية خضعت لنفس الظروف البيئية وعاشت تحت أنظمة

---

[1] - ميشيل تريكس ،م س، ولايختلف هذا الرأي عن الاعتقاد الشائع عند شعراء العرب الجاهليين ،"فقد كانوا يزعمون بأن مع كل فحل من الشعراء شيطانا يقول ذلك الفحل على لسانه" الجاحظ،الحيوان،تح عبد السلام محمد هارون،مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ،مصر،ط2 ،1967، 225/6.

[2] - ميشيل تريكس، م س.

[3] - ولتر جاكسون بيت ، م س ،ص93.

[4] - محمد غنيمي هلال ،الأدب المقارن ،ص61/60

[5]- Hippolyte AdolpheTaine ,De l´inteligence ,Introduction de Serge et ettude de Theodule Ribot ,HachetteiraPs, ,tome 2 , pXIV

[6] - محمد غنيمي هلال ،الأدب المقارن ،ص61.

حكم واحدة ولها نفس العادات و التقاليد ، مدة طويلة تكسبها نفس الصفات التي نزلت منه منزلة الغرائز الفطرية التي لاسبيل لمحوها[1]

ويرى "تين" بأن الأجناس التي تنحدر من نفس الأصل لآدابها نفس الخصائص مثل "الأشعار الانجلوسكسونية " التي تتصف بمظاهر القوة في الخيال ، وضعف الاعتقاد في الحياة الأخرى، وفيض من الإحساس أمام الطبيعة، وتظهر في الوقت نفسه قوة الإرادة و الاتجاه العلمي، ومما يذكر أن الشعب الإنجليزي في نزاع من قديم الزمان إلى حب الاستقلال و المشروعات الفردية.[2]

والبيئة عند "تين" هي البيئة الطبيعية و السياسية و الاجتماعية ،والبيئة تؤثر في الجنس من الخارج في حين أن تأثير عامل الجنس من داخل ذات الأفراد[3] ونرى بأنه يشرح عامل الجنس بتأثير البيئة.

و البيئة من جانبها الإقليمي تؤثر بشكل دائم لكن الأوضاع الاجتماعية والسياسية، يمكن أن تتغير، فينشأ عن ذلك عصور مختلفة «فحال الثورات السياسية غير حال الاستقرار، و العصر العلمي الذي وقفنا فيه على كثير من حقائق الكون ،وما يحيط بنا من العوالم يغاير العصور المختلفة في التفكير ، ويؤثر بدوره في إنتاج الجنس الواحد »[4]

أما العامل الثالث فهو العصر[5] أو تأثير الماضي في الحاضر ومناصرته له، وهو عامل ثانوي بالمقارنة مع العاملين الأولين، وحتى يعزز "تين"مذهبه نراه كثيرا ما يسوق أمثلة وحداتها الأولية من الطبيعة، وعالم الأحياء ،كقوله «نستطيع أن نعتبر الإنسان كحيوان من نوع راقي ينتج فلسفات، وينظم أشعارا وهو في ص,نيعه هذا يشبه ديدان القز تنسج شرانقها،ومثل النحل الذي يبني خلاياه »[6]

ويقصد "تين" بأن الوسط الذي تعيش فيه هذه الكائنات البسيطة و الظروف المحيطة بها لا يسعها إلا أن تقوم بالأدوار المؤهلة للقيام بها، كمأأن الإنسان في محيطه وظروفه ومؤهلاته ليس له إلا أن ينتج ما هو أهل لإنتاجه؛ فالحيوانات مهما امتدت سلالاتها في النوع الواحد تبقى تقوم بنفس الدور.

---

[1]- F Baldensperger ,la critique et l´histoire litteraire en France ,p 134/135
عن محمدغنيمي هلال، الأدب المقارن، ص 62

[2] - محمد غنيمي م س ،ص61.

[3] - م ن ،ص،62.

[4] - م ن ،ص ن.

[5] -كلمة "moment" التي ذكرها تين يترجمها البعض ب الزمن أو العصر بينما غنيمي هلال يرى أن معناها الاشتقاقي من اللاتنية momentum هو القوة الموجهة.

[6] - Hippolyte Adolphe Taine,de l´intelligence , p 13.

وبقدر الإثارة التي أحدثتها نظرية "تين" قد لقيت المعارضة الشديدة، لأنها تطرقت لكل ما يتعلق بالعمل الأدبي إلا صاحبه ، فتتكر فردية الأديب، و أصالته ،ولا تعترف إلا بقوانين الجبرية الثلاث .

فحركة التطور على الساحة الأدبية قد تتسارع في فترة وجيزة فيظهر في جيل واحد أكثر من اتجاه كما حدث في الأدب الفرنسي في القرن التاسع عشر، فقد تعاقبت موجات الرومانسية ، و البرناسية و الرمزية.

وهكذا فإن قوانين الطبيعة يمكن تجريبها و إثبات صحتها، وهو أمر متعذر في الأدب، خاصة و أن "تين" يصوغ عوامله صياغة جبرية وحتمية ، فتعجز نظريته عن تفسير العبقرية التي يتفرد بها أديب في عصره دون غيره مثل " شكسبير" الذي استطاع أن يكتب مسرحياته التراجيدية في الوقت الذي لم يفكر أو ينجح الآلاف من معاصريه في أن يفعلوا ذلك . فالعناصر التي أنتجت "شكسبير" كانت تستطيع إنتاج الآلاف من أمثاله ،وكانت تستطيع في الوقت داته أن تخلق منه كاتبا رديئا .[1]

و العامل الأهم عند"تين" هو "الجنس" و الذي يركز عليه نظريته بحيث أنه يصنف قدرات الأدباء حسب انتماءاتهم العرقية ،غير أن هذا العامل لم يصمد أمام النقد الموجه إليه ؛ لأنه يتعذر وجود جنس خالص من كل شائبة..حتى لايكاد يوجد في العالم جنس صاف خالص لم تخالطه أجناس أخرى ولم تترك أثارها فيه، ففكرة خلوص الجنس و نقاؤه لا يمكن أن تتحقق[2].

هذا المنحى العلمي وطده ناقد آخر هو "برونتيير Ferdinand Brunitière(1849-1906) الذي افتتن بنظرية داروين في النشأة والتطور ،وانبرى للإجابةعلى سؤالين :
- كيف تولدت الأجناس الأدبية ؟ وما هي العوامل و المعطيات الذاتية وكذا الموضوعية المؤثرة في صيرورتها؟ فاستوحى منهجية بحثه مما جاء في كتاب "أصل الأنواع عن عالم الأحياء" لصاحبه "داروين"و اتجه إلى البحث في أصل تطور الأنواع الأدبية من خلال حقل دراسي استند على مجالات أدبية، وفنية هي المسرح و النقد الأدبي و الشعر الغنائي[3]

وسعى لأن يكون النقد مؤسسا على حقائق التاريخ والبيئة، وحاول تجسيد نظرية النشوء و الارتقاء على الأجناس الأدبية خاصة بعد النجاح الذي حققه "سبنسر" في تطبيقه لها على الأخلاق و الاجتماع [4]

---

[1] - إبراهيم عبد الرحمن محمد ، م س،ص45.
[2] - شوقي ضيف ، م س،ص93.
[3] - سعيد بو خليط ،العلم والقصيدة ،العرب الأسبوعي ، ع24،2007/11/24.
[4] - شوقي ضيف ،م س ،ص94

وصنف في سنة 1890 كتابه تطور الأجناس الأدبية" وحاول فيه إثبات ، تطور الأجناس الأدبية كالأجناس الحيوانية في الطبيعة تماشيا مع آراء "داروين" فيظهر النوع ويزدهر و ينمو و يموت ليظهر نوعا آخر، فيقول بلا شك إن الاختلاف بين الأجناس الأدبية هوعلى النحو الذي يتم به عند الأنواع الحيوانية في الطبيعة ،ويتم ذلك بشكل تطوري [1]

فيرى بأن الأنواع الأدبية من شعرا ونثرا تنقسم إلى فصائل و أن كل فصيلة في الأدب مثلها مثل الفصائل في الكائنات الحية عند داروين تنمو،وتتوالد، وتتكاثر متطورة من البساطة إلى التركيب في أزمنة متعاقبة ، حتى تصل إلى النضج التام ،و قد تنتهي عندها وتتلاشى كما تلاشت بعض الفصائل الحيوانية[2]

ومن الأسئلة التي طرحها،"برونتيير" تلك المتعلقة بعلاقات كل جنس أدبي في داخله ، أهي علاقة صدفة، أم تطور محتوم مرتبط بالعوامل الاجتماعية والطبيعية الأخرى ؟ أكان من الممكن أن توجد القصة الواقعية قبل القصص الملحمية والخيالية ؟ أكان ممكن أن توجد في الرسم صور الإنسان و الطبيعة قبل الرسوم الأسطورية الدينية ؟

وانصب معظم جهد "برونتيير"على البحث في طبيعة العلاقات بين مختلف الأجناس الأدبية من علاقات تاريخية ،وفنية ،وعلمية ،لبيان حقيقة ظهور أجناس جديدة إذا كان محض صدفة، أو هو ناتج عن توالدها من بعضها ،ويقصد بالعلاقات الفنية تلك الصلات بين الصور الفنية لهذه الأجناس وبين الأجناس اللاحقة ،ووصل بعد بسط وقبض وطول بحث في كتابه سالف الذكر، إلى نتيجة هي أن لكل جنس من هذه الأجناس فترة وجود محددة تتولد عن سابقتها وتمهد لها ، ثم تنتهي إلى لاحقتها التي نشأت عنها[3].

وهذه النزعة العلمية المفرطة خاصة فيما يتعلق بدراسته للأجناس الأدبية لقيت الكثير من الانتقادات ؛منها أنه ليس للأنواع الأدبية وجود مستقل حتى تخضع لتطور حتمي كالفصائل الحيوانية ، كما أن" برونتيير"أعار دراسة الأنواع في حد ذاتها كل اهتمامه ،وكان يفترض أن نهتم بدراسة الشعوب وتطورها وما تفرضه مجتمعاتها على الأدب من تقاليد ،وما تتطلبه من أغراض،ويضاف هذا إلى أخطائه الكبيرة في التطبيق ،مثل اعتقاده بأن الشعر الغنائي تولد عن الخطابة الدينية الكلاسيكية ،ويرجع العديد من الدارسين تأثيره النقدي إلى قوة بيانه[4]

---

[1]- Ferdinand Brunitière ,l`Evolution des genres dans l´histoire de la litterature,6eme ed ,Hachette,Paris,p20.

[2] -Ibid,p94.

[3] - غنيمي هلال ،الأدب المقارن ،ص75/74.

[4] - Baldensperger,,la critique et l`histoire .lit ,p164 عن غنيمي هلال ، م س ،ص 76

وإذا كان النقد العلمي شكلا مبكرا للنقد التاريخي، فإن هذا الأخير لم ينضج ويتخذ لنفسه منهجا واضحا إلا مع "غوستاف لانسون"Gustave Lonson(1857-1934 م)ويُعتبر هذا الأكاديمي الفرنسي ، الرائد للمنهج التاريخي ، وقد أعلن "لانسون" عن هوية منهجه سنة 1909 م في محاضرة بجامعة "بروكسل" حول الروح العلمية ومنهج التاريخ الأدبي[1] ، ثم اتبعها سنة 1910 م بمقالته الشهيرة (مناهج تاريخ الأدب) التي نشرها في مجلة الشهر Rervue du mois فحدد فيها ماهية منهجه الذي صار ينسب إليه فيقال: اللانسوية .lonsonisme

وعلى الرغم من أن الجهد النقدي" للانسون" هو امتداد للمنهج التاريخي، أو هو مرحلة النضج لهذا المنهج الذي نما على يد" سانت بوف" و"تين" "وبرونتيير" إلا أنه يخالفهم خصوصا فيما يتعلق بجنوحهم إلى العلم، فيرى بأن العلم في البحث الأدبي ما هو إلا ضوء كاذب ،بل قد يحدث أن يلقي ظلمة[2]

وينتقد "لانسون" تركيز سابقيه على الفصائل ،و إهمالهم لذاتية الأديب وفردية العمل الأدبي ،ويعتقد أن هؤلاء قد أغرقوا الأدب و النقد بعلوم أخرى فقد تأثر "تين" و"برونتيير" بنظام العلوم الطبيعية و العضوية مما قاد إلى مسخ التاريخ الأدبي وتشويهه[3]

ويندهش "لانسون" ممن يشبهون الظواهر الأدبية بالظواهر الطبيعية .لأن كل العمليات التي تتعلق بالعلوم المخبرية هي حقائق، بينما في "تاريخ الأدب" قد تكون حقيقة أو مجاز ، فتحليل العبقرية الشعرية ليس له ما يجمعه بتحليل السكر إلا تسمية "تحليل" ، وليس لهذا التشبيه وجود إلا في ذهن الذي ادّعاه ،ومن هنا يفرق بين رجل العلم ورجل الأدب فيما يخص الوسيلة و الطريقة ،فالذي بيد رجل العلم من وسيلة للنظر ليس بيد رجل الأدب إلا طريقة للنظر [4] وهو الفرق بين العلم والروح العلمية.

وعلى الرغم من أن "لانسون" عاب على سابقيه استعانتهم بعلوم الطبيعة والكيمياء ،إلا أنه لا يترد في الاستعانة بعلوم أخرى في مقاربته النقدية للأدب لاسيما تاريخ اللغة ، وتاريخ الفلسفة ، و النحو و التاريخ العام ،ويؤكد على ضرورة استحضار الحدس و الإحساس لتقييم العمل الجمالي، مما يجعل الادعاء الوضعي مسألة نسبية [5]

---

[1] - G ustave Lonson ,Methodes de l `histoire Litteraire,Les belles lettres ,Paris,1925 ,p2

[2] - محمد غنيمي هلال ،الأدب المقارن ،ص77.

[3] - سعيد بوخليط ،م س

[4] - Lanson , Methodes de l`histoire litt ,p23

[5] - سعيد بوخليط ،م س

وهـــو لا ينفـــي كليـــا النقـــد التـــأثري" critique Impressionnist"e ،فتقريـــر الأثر كوثيقة قيّمة للتاريخ الأدبي، ووظيفة المنهج تتمثـــل فـــي تقنـــين هـــذا النـــوع مـــن النقد، ليكون مرحلة ابتدائية لا بد منها ، لتأتي بعـــد ذلـــك المرحلـــة الموضـــوعية فقـــد ذهب "لانسون إلى أن الذوق والتأثر مرحلـــة جوهريـــة لحيويـــة النقـــد بعـــد ذلـــك تـــأتي المرحلة الموضوعية[1]

و إن كان النقد التأثري يوحي بمذاهب عامـــة تتجـــاوز المعرفـــة الدقيقـــة أوتفســـدها فالمنهج كفيل بالقضاء على هذا الإشكال.
أما النقد التقريـــري critique dogmatique يعتبـــره "لانســـون" وثيقـــة لأن المعتقـــدات الفنيـــة و الأخلاقيـــة، و السياســـية و الاجتماعيـــة و الدينيـــة ليســـت مظهـــرا لإحســـاس شخصي أو وعي اجتماعي، الحكم التقريري على أي كتـــاب أدبـــي ينبـــئ بنـــوع الأثـــر الذي خلفه ذلك الكتاب في شخص ما ،أو جماعة ما، فنتخـــذ هـــذا الأثـــر مصـــدرا مـــن مصادر تاريخ الكتاب ،مع التحلي بالحذر الواجب [2]

ويعتبر "لانسون" تاريخ الأدب جزءا من تـــاريخ الحضـــارة ، ويفصّـــل فـــي الفـــرق بين موضوع التاريخ العام وموضـــوع التـــاريخ الأدبـــي إذ أن موضـــوع التـــاريخ هـــو الماضي الذي لم يبق منه إلاّ أمارات أو أنقـــاض بواســـطتها يمكـــن إعـــادة بعثـــه ، أمـــا تاريخ الأدب و إن يكن مجاله الماضي ولكنـــه مـــاضٍ بـــاق، فتـــاريخ الأدب نعيـــد بنـــاءه من الماضي و الحاضر معا [3]

ويتابع "لانسون" عرض منهجه، فيأتي على ذكـــر صـــعوبات المـــنهج و هـــي فـــي أغلبها تقع على الخط الفاصل بين التاريخ العـــام و التـــاريخ الأدبـــي مـــن جهـــة ،وبـــين الموضوعية و الاستجابة لإيحاءات الإحساس و الخيـــال و الـــذوق مـــن جهـــة أخـــرى ، مما يهدد الدراســـة بتأثريـــة محضـــة، أو صـــرامة تاريخيـــة متجمـــدة ، وأخيـــرا بـــين الاهتمام بالفردية لذاتها ،أو اعتبارها رصيدا تاريخيا يعكس روح العصر .

وهذه المحاذير تُبرز التأزم الـــذي وصـــل إليـــه المـــنهج التـــاريخي، ولعـــل قـــوة "لانسون" الإقناعية هي التي مدت في عمر هذا المنهج، ولـــئن وجـــد المخـــرج النظـــري برسم كل صغيرة وكبيرة في منهجه ،فإنه تـــرك للنقـــاد الميـــدانيين مســـؤولية ثقيلـــة ، إذ أن حفظ التوازن وخشية الوقوع وكثرة المحـــاذير تشـــكل محـــددات للمرجعيـــة الفكريـــة

---

[1] - حسين جمعة، طه حسين الأصول المنهجية ، مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ع 249 ، كانون الثاني 1992 .

[2] - غوستاف لانسن ،منهج البحث الأدبي،محمد مندور النقد المنهجي عند العرب،نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ،دط ،1996،ص396.

[3] - م ن س ، ص ن.

لهذا المنهج، خاصة بعد نقده لسابقيه، ورفضه مبدأ الفصائلية للأدباء و الأجناس والفنون الأدبية، وتطورها على شاكلة التطور عند الأحياء

وعلى الرغم من أنه أفسح المجال للذوق ،و الإحساس، و اهتم بالفروق الفردية إلا أن الحيز المتاح لايسع إلا العصر ثم الأديب، ولايكون النص إلا صورة تمثيلية للعصر بواسطة الأديب، ومن خلال ما ألف في أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين ،فقد كان البحث يدور حول مهمة تاريخ الأدب ،وأصول علم الأدب ،وتاريخ الأدب باعتباره علما من العلوم ،أو باعتباره نوعا من تاريخ الإنسان كما يكشف عنه الأدب.

ويرى بعض الدارسين المتحمسين للمناهج الحداثية أن جدوى المنهج التاريخي يكمن في الإعداد المبدئي للمادة الخام المتمثلة في النصوص المصفاة بعد عمليات الجمع و التحقيق و التخريج لتكون مجالا لمقاربات أخرى تعنى بإضاءة جوانب ما زالت معتمة في العملية الإبداعية .

2-2- عند العرب :

إذا كانت المنطلقات النظرية لأصحاب المنهج التاريخي الغربيين تعود إلى مرجعيات فلسفية ،وعلمية أرسيت من قِبل المفكرين والعلماء ،فإن الحال عند النقاد العرب الأوائل مختلف، فلم يكن للعرب إلا تلك الأشعار المروية جيلا عن جيل وإذا أردنا تتبع ملامح المنهج التاريخي عند العرب القدامى،فقد نستدل ببعض المعالم التي أرسى دعائمها الغربيون مثل الزمن، والبيئة ،والعرق .

وبما أن أول كتاب دوّن في النقد العربي استند على واقع أدبي إبداعي، ومتلقي غالبا ماتكون أحكامه صادرة عن الذوق ،و المعايير الذاتية ،أو التقريرية التي تعتمد على خلفيات أخلاقية أو اجتماعية أو دينية، فيتوجب الوقوف عند تجليات أهم معلم في الشعر العربي السابق لهذا الكتاب ، وهو الزمن.

2.2-1- الزمن في الشعر العربي القديم :

لطالما كان الزمن هاجسا للشاعر العربي ارتبط برهبة الفناء ،ورغبة البقاء فيستثقل الشاعر بطء سيره حينا، ويجزع من تسارعه الذي يؤذن بقرب أجله أحيانا أخرى، فيشكو ثقله إذا غشته الهموم ، ويستمهله إذا تسابقت الأيام و الليالي ، وجرت معها الشهور و السنون .ويستوعب الزمن في الشعر العربي حمولة دلالية كثيفة ، فهذا "النابغة الذبياني" في اعتذارياته للملك اللّخمي رجاء الصفح والتجاوز، وكأن كل ألفاظ القوة و الغلبة ، وطول اليد كانت قاصرة عن التوصيف المناسب للملك الغاضب حتى يستعين الشاعر بتشبيه كان المشبه به فيه ذا دلالة زمنية وهو "الليل" في قوله[1] :

---

[1] - النابغة الذبياني ، الديوان ،نقلا عن ديوان الشعراء الخمسة،مطبعة الهلالية الفجالة،مصر ،د ط،1911. ص 78. .

فإنك كالليل الذي هو مدركي و إن خلت أن المنتأى عنك واسع

وقد استعمل"النابغة"اسم الفاعل "مدرك" ولم يستعمل الفعل المضارع "يدرك" فالليل "مدركه" لا "سيدركه" باعتبار الفعل "يدركه" حامل لدلالة مستقبلية تأخذ جزءا من الوقت الذي هو بالأساس : ماضي ، وحاضر ، ومستقبل، فعبر باسم الفاعل "مدرك" الذي يتضمن الفاعلية و الحدث،ومجرد من الزمن ليعطيه في واقع الأمر كل الزمن، وفي هذا دلالة قوية على صولة الملك . وحتى لفظه "منتأى" التي ظاهريا تحمل دلالة مكانية إلا أنه بقرينة الزمن "الليل" صارت تعبر عن الانتناء الزماني لا المكاني .

وإن بدى النابغة خاضعا لسلطان الزمن، في خوف ورهبة جسدها الملك الساخط عليه، فقد وجد من الشعراء من يسالمه حينًا فيطمئن إليه ويثق بما سيتكشف عنه من حقائق و أخبار كقول طرفة بن العبد[1] :

ستبدي لك الأيام ماكنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وسرعان ماتنقلب هذه المسالمة إلى صراع ،وتسابق مع الزمن[2]:

أرى العيش كنزا ناقصا كل ليلة و ما تنقص الأيام و الدهر ينفد

فيسارع لاقتناص اللحظات قبل انقضاء حظه منها ، ويزجر لائمه عن حضور اللذات ويتحداه أن يخلده قائلا[3] :

ألا أيّهذا اللائمي أن أحضر الوغى و أن أشهد اللذات هل أنت مخلدي ؟

فإن كنت لا تسطيع دفع منيتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي

فالصراع مع الدهر هو صراع وجود في ذهن الجاهلي ووجدانه، فلم يغب هذا التصور يوما عن شعره،ظنا منه أن مآل الإنسان هو الفناء

ومن جهة أخرى استحال الزمن عند العرب في تقادمه وارتباطه بأمجاد الجدود إلى قيمة تكوينية تتعلق بوجودهم ضمن عرف قبلي يصل حد المقدسات التي تستوجب صيانتها ، و المنافحة دونها، لأن ضياعها معناه ضياع الحاضر والمستقبل، وقد قال "ذو الأصبع العدواني" في استنفار قومه لوشوك انقضاض الفرس عليهم[4]:

ياقوم إن لكم من إرث أولكم مجدا قد أشفقت أن يفنى وينقطعا

---

[1] - الحسن بن احمد بن الحسين الزوزني، شرح المعلقات السبع ، دار صادر ، بيروت ،د ط،د ت،ص62

[2] - م ن ، ص 62 .

[3] - م ن ،ص ن.

[4] - إحسان عباس،تاريخ النقد الأدبي عند العرب،دار الشروق للنشر والتوزيع ،الأردن طبعة جديدة مزيدة ومنقحة ،1993،ص33.

ماذا يرد عليكم عز أوّلكـــم إن ضاع آخره أو ذل واتضعـــا

لكن هذا المفهوم يتغير جذريا بعد انتشار دعوة الإســـلام التـــي تـــدعو إلـــى العمـــل الصالح في الدنيا لينال المحسن خير الجزاء في الآخرة .

ففي مراثي الشعراء الإسلاميين يكـــون المـــوت هـــو الانقطـــاع عـــن الأحبـــة الأحيـــاء، لينتقل الفقيد إلى حياة أخرى كقول حسان يرثي شهداء بدر[1]:

تذكرت عصرا قد مضى فتهافتت بنات الحشى وانهلّ مني المدامع

صبابة وجدٍ ذكّرتني أحبـــة و قتلى مضى فيهم طُفَيْل ورافِع

وسعد فأضْحوا في الجنان وأوحشت منازلهم فالأرض منهم بَلاقِع

فدلالات الزمن تتساوق مـــع العقيـــدة الإســـلامية فـــي صـــدر الاســـلام، ومـــع الروافـــد الفكرية و الفلسفية التي صبت كلها في معين الحضارة لاسـيما فـي العصـر العباسـي ، أين ازدهر الأدب إبداعا ونقدا، ويستوقفنا المتنبي الـذي تعـاظم عنـده خطـب الـزمن، فاتخذت تعابيره طابعا حكميا وفلسفيا كما في نونيته التي منها[2]:

صحب الناس من قبلنا ذا الزمانا وعناهم من شأنه ما عنانـــا

وتولوا بغصة كلهم مـــنـــه وإن سرَّ بَعْضهم أحيانا

ربما تحسن الصنيع لياليـــه ولكن تكدر الإحـــســـــانا

2-2-2 ملامح المنهج التاريخي في النقد العربي القديم :

اتسم النقد العربي ولمدة طويلـــة بالانطباعيـــة، و إطـــلاق الأحكـــام الجزئيـــة التـــي تعتمد المفاضلة.

وابتداء من القرن الثالث الهجري، و فضلا عن اســـتخدام علـــوم اللغـــة المختلفـــة فـــي تعليل الأحكام النقدية، فقد تم اتخاذ أساس من أسس التـــاريخ الأدبـــي ،بـــل كـــان أساســـه الجوهري ،وظهر ذلك في أول كتاب ألـــف فـــي تـــاريخ الأدب العربـــي وهـــو "طبقـــات فحول الشعراء" ت(232هـــ)[3]

وبرزت قضايا مثّلت جـــوهر العمليـــة النقديـــة آنـــذاك و أبرزهـــا الصـــراع بـــين القديم و الجديد ،و الشعر المنتحـــل ، و الموازنـــات، و الطبـــع و الصـــنعة، والســـرقات، وأثيرت أسئلة، منها: متى كانت أولية الشعر العربـــي؟ وهـــذه القضـــايا إجمـــالا تتســـاوق مع المعيار الزمني.

---

[1] - حسان بن ثابت ،الديوان ،شرح عبد الرحمن البرقوقي،المطبعة الرحمانية ،مصر د ط،1929 ،ص253-254،تهافتت:تساقطت،البلاقع ج بلقع:الأرض القفر ،

[2] - المتنبي،الديوان،تح عبد الرحمن البرقوقي دار الكتاب العربي ،بيروت،دط،د ت، 370/4،تولوا :ذهبوا

[3] - محمد مندور ، م س ، ص 12 .

فقضية القديم والجديد تقودنا للحديث عن" المدرسة البصرية" التي انحازت للقديم، واعتبرت الشعر الجاهلي المرجع الأهم، فأولته كل اهتمام ودراسة[1].

و الذي استثار هذا التعصب أكثر هو اندماج المولدين في المجتمع العربي ، ونظمهم الشعر بالعربية، وتفوقهم على العرب أحيانا، وذلك من منتصف القرن الأول الهجري ، ومن رواد هذه النزعة ، "أبو عمرو بن العلاء" الذي يقول في أشعار المحدثين «ما كان من حسن فقد سبقوا إليه، وما كان من قبيح فهو من عندهم» [2]، وتبعه تلميذه الأصمعي الذي استن بسنة أستاذه أبي عمرو بن العلاء في الوقوف بوجه الشعر المولد فيقول «جلست إليه ثماني حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامي» [3] .

وبقيت هذه الفكرة حاضرة مع بداية مرحلة جديدة تمثلت في المصنفات النقدية لاسيما كتب الطبقات، وعلى رأسها كتاب ، طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي (ت 276هـ)، فقد جعل كتابه قسمين :تناول في الأول طبقات الشعراء الجاهلين، وخصص الثاني لطبقات الشعراء الإسلاميين، ولم يخصص طبقة للمخضرمين، ولكنه جعل منهم جزءا مع طبقات الجاهليين وجزءا آخر ضمن طبقات الشعراء الإسلاميين .

ولم يكن ابن سلام في ترتيبه الزمني مخيرا لأن مضمون الشعر في العصر الجاهلي يختلف كثيرا عن مضامين الشعر في العصر الإسلامي ونظرا للثورة الروحية والمادية التي أحدثها الإسلام وكان لها آثارها البعيدة في كل مظاهر نشاطهم، الزمن أساسا للتقسيم أمر لم يكن منه بديل إن في ألفاظ ابن سلام نفسه ما يدل على أنه لم يقصد إلى هذا التقسيم ولم يفكر فيه، بل أملته طبائع الأشياء، و إنما كان تفكيره منصرفا إلى توزيع شعراء العهدين في طبقات تبعا لجودة شعرهم وكثرته [4] .

أما ابن قتيبة فيفصح عن منهجه في كتابه بقوله «هذا كتاب ألفته في الشعراء أخبرت فيه عن الشعراء ، و أزمانهم، و أقدارهم، و أحوالهم في أشعارهم ، وقبائلهم و أسماء آبائهم »[5]

فنرى أنه يربط الشاعر بعصره ومجتمعه، و يرفض فكرة تفضيل القديم لتقدمه الزمني على المحدث ،ويدعو إلى العدل بين الفريقين ،ويستنكر التعصب للشعر القديم بقوله «فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله،

---

[1] - إياد عبد المجيد ابراهيم ، الأصمعي و النقد الأدبي ، الوراق للنشر و التوزيع ، ط 1 ، 2002 . ص124.
[2] - ابن رشيف ، العمدة ،،تح محمد محي الدين عبد الحميد ،دار الجيل ،ط 5 ،1981، 1/90-91.
[3] - م ن ،ص 90.
[4] - محمد مندور ، م س ،،ص12
[5] - أبو محمد عبد الله ابن قتيبة ، الشعر الشعراء تحقيق وشرح أحمد محمود شاكر ، 1/59 .

ويضع متخيره ، ويرذل الشعر الرصين، ولاعيب عنده إلا أنه قيل في زمانه، أو أنه رأى قائله »[1]

لكنه يساهم بدوره في التمكين لسلطة النموذج القديم لما ألزم الشعراء المحدثين باتباع أساليب القدماء «وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين ، فيقف على منزل عامر أو يبكي عند مشيد البنيان، لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الداثر، و الرسم العافي ، أو يرحل على حمار أو بغل أو يصفهما، لأن المتقدمين رحلوا على الناقة أو البعير، أو يرد المياه العذاب الجواري لأن المتقدمين وردوا على الأواجن الطوامي، أو يقطع إلى الممدوح منابت النرجس و الآس والورد، لأن المتقدمين جروا على قطع منابت الشيح و الحنوة و العرارة» [2]

فموقفه الأول منطلقه موضوعي، لكن موقفه الثاني الذي يدعو المحدثين فيه اقتفاء أثر القدماء يخرج الشاعر من الطبع وصدق التجربة إلى اصطناع مالا يحسه ولا يعيشه ،وكما قال محمد مندور كان على ابن قتيبة هنا مجاراة نظرة العقل السليم إلى النهاية فيدعوا الشعراء إلى الصدور عن طبعهم، وملابسات حياتهم[3].

و النمط الشعري في صورته المتوارثة الذي يدعو ابن قتيبة الشعراء للالتزام به هو الذي سيعطيه الآمدي اسمه الذي يعرف به حتى الآن، وهو "عمود الشعر"[4].

ويعتبر الكثير من النقاد المحدثين، وفي مقدمتهم" محمد مندور" بأن" الآمدي" ت(370 هـ) مؤسس النقد المنهجي عند العرب، فهو صاحب كتاب "الموازنة بين الطائيين ، أبو تمام و البحتري "–كان سبب اختيار الآمدي لهما كونهما أغزر شعراء عصرهما نتاجا وجودة ،ولأن الخصومة حول فنهما والمفاضلة بينهما بلغت أقصاها في القرن الرابع الهجري .

و في الموازنة يناقش قضية هي من مخلفات الزمن ،وتتمثل في الطبع والصنعة، فقابل بين نزعة "أبي تمام" إلى التجديد في الصياغة ، وسلوكه مذهب البديع الذي يجر إلى التكلف و الإغراب وبين"البحتري" الذي يأتي بالشعر المطبوع كدأب القدماء، وقد تحرى "الآمدي" الدقة، فحقق الشواهد ، واعتمد على إيراد الأمثلة ،وعلى مبدإ التعليل إضافة إلى ذوقه الذي يجل القديم ، ولم يصرح "الآمدي" بنتيجة

---

[1] - ابن قتيبة ،م س ، 1/62-63.

[2] - م س ،ص77.الحنوة:نباة سهلي طيب الريح ،وقيل هو الريحان،العرارة :هو نبات طيب الريح ،وقيل هو النرجس البري.

[3] - محمد مندور، م س ،ص25.

[4] - رجاء عيد ،التراث النقدي ،صوص ودراسة،منشأة المعارف الإسكندرية ،دط ،1990. ،ص146.

الموازنة ، لكن بتفحص تفاصيلها يظهر ميله إلى "البحتري" ، كما جزم بذلك الكثير من الدارسين القدماء [1] .

وإذا كان توثيق النصوص سمة مميزة للمنهج التاريخي، فقد أولاه العرب القدامى اهتماما بالغا تأسيا بروح العصر التي شهدت جمع الأحاديث النبوية ، وهو حقل عقيدي، وشرعي تطلب درجة عالية من الدقة لإثبات الأسانيد التي تشهد بصحة النصوص مع انتهاج المقارنة، والمقابلة بين النصوص، وظهر ما يسمي بالجرح والتعديل ،هذه الروح العلمية في توثيق النصوص كانت حاضرة بقوة في النقد فظهرت قضية انتحال الشعر .

وترتبط قضية الانتحال بالرواية الشفهية للشعر ،فمنذ العصر الجاهلي كان الناس يجلسون إلى الشعراء ،ويستمعون لهم ' وكما وجد الشعراء وجد الرواة ، لكن هذه الرواية بقيت حتى بعد مجيئ الإسلام شفهية ،مما جعل الشعر الجاهلي عرضة لآفات الرواية النقلية، فحمل عليه ما ليس منه، وضاع منه ما ضاع في غمار الزمن، حتى تصدت الطبقة الأولى من الرواة لاستنقاذ تراث العربية من الضياع والتشويه [2]

وقد أثار المستشرقون ضجة كبيرة حول هذه القضية وبالغوا في تضخيمها، وفي حقيقة الأمر كان القدماء هم أول من تنبه لهذا الأمر، و أظهروا صرامة في تصفية التراث الأدبي من كل دخيل ،وبين ابن سلام في" الطبقات" حيثيات هذه القضية بقوله « فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم، وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع و الأشعار، فقالوا على ألسنة شعرائهم ثم كان الرواة بعد، فزادوا في الإشعار التي قيلت»[3]

والمبالغة في التشكيك في صحة الشعر الجاهلي ليست بدعة عند المستشرقين فحتى بين القدماء كثيرا ما تكون أخبار النحل مفتعلة، ومبالغ فيها خاصة بين قطبي اللغة و الأدب آنذاك : المدرسة البصرية و المدرسة الكوفية، فإن اتهام البصريين للكوفيين بوضع الشعر، ونحله لم يكن مرده كله إلى أن الكوفيين كانوا يضعون وينحلون حقا فقد كان "المفضل" من أوثق الرواة«قال أبو حاتم :كان أوثق من بالكوفة من رواة الشعراء المفضل الضبي»[4]، و إنما كان مرد بعضه إلى هذه العصبية وما سببته من منافسات وخصومات، ثم كان، مرد بعضه إلى اختلاف

---

[1] - انظر ياقوت الحموي في "معجم الأدباء"، و ابن المستوفي في كتابه "النظام في شرح ديوان أبي تمام"، وابن الأثير في "المثل السائر" .

[2] - عبد المجيد دياب ، م س،ص22.

[3] - ابن سلام الجمحي م س . ،1/ 46

[4] - السيوطي ،المزهر في علوم اللغة ، ،المكتبة العصرية ،صيدا ،بيروت ،1987، 406/2

مصادر الفريقين ، و إلى اختلاف منهجيهما فقد توسع الكوفيون على حين ضيق البصريون[1].

وإذا كان سبب هذه المنافسة بين المدرستين هو خدمة اللغة العربية كل حسب طريقته التي يراها الأصح ،فإن أغراض المستشرقين مختلفة تماما عن أغراض العرب القدامى ،ويكفي إلقاء نظرة على كتاب "مرجليوث""أصول الشعر العربي"والذي يستخف فيه بالرأي القائل أن الشعر المنسوب للجاهليين هو من نظمهم، ليتضح بأن شك العرب كان من أجل الوصول إلى اليقين، فهو شك بنّاء، أما شك المستشرقين فكان مرفوقا بأحكام مسبقة وعندها يكون شكّا هدّاما .
و الذي يهم في هذا المقام ليس بحث كل جزئيات هذه القضية ولكن بيان عامل الزمن فيها، مع ما تمثله من أهمية تتعلق بتوثيق النصوص، و إرجاعها إلى مصادرها الحقيقية والذي يعد من أساسيات المنهج التاريخي .

وعملية توثيق النصوص دعت الدارسين العرب إلى الحديث عن أولية الشعر العربي، يقول ابن سلام«لم يكن لأوائل العرب من الشعراء إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته، و إنما قصدت القصائد وطول الشعر على عهد عبد المطلب، وهاشم بن عبد مناف ، وذلك يدل على إسقاط شعر عاد ، وثمود وحمير وتبع»[2] ويرى بأن«أول من قصّد القصائد، وذكر الوقائع : المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب وائل[3].

أما الجاحظ فيري بأن الشعر حديث الميلاد صغير السن، أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه : امرؤالقيس بن حجر ، ومهلهل بن ربيعة [4] .

وإلى جانب الزمن اهتم النقاد العرب القدامى بأثر البيئة على الشعر ، وقد راعى ابن سلام في تقسيمه للطبقات المكان إذ أن هناك شعراء لم يصبحوا شعراء للعرب كافة بل ظلوا متصلين كل بقريته، وهم ما يمكن أن نسميهم "بالشعراء الإقليمين" فجمعهم في باب شعراء القرى،وهي خمس: المدينة ،ومكة،والطائف ،واليمامة،والبحرين[5].

وشعراء القرى ينسبون للحضر ،فيعدد شعراءها و أشهر ما روى عنهم، مع تمحيص دقيق ،ويتصدى لكل ما من شانه أن يكون مبعثا للريبة، و الشك بما أوتى

---

[1] - ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، دار المعارف بمصر ، ط3 ، 1966 ،ص437
[2] - ابن سلام ،م س، 1/ 26 .
[3] - م ن ،ص 39 .
[4] - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان ، تح عبد السلام محمد هارون ،مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ،ط2 ، 74/1 .
[5] - ابن سلام ،م س ، 1/ 215.

من علم وفطنة وروح موضوعية، فيسعى إلى تعليل الكثير من الظواهر ففي حديثه عن شعراء الطائف يقول «وبالطائف شعر وليس بالكثير، و إنما كان يكثر الشعر بالحروب التي تكون بالأحياء، لحو حرب الأوس و الخزرج ، أو قوم يغيرون ، ويغار عليهم »[1]

فالطائف الواقعة جنوبي مكة كانت تسكنها ثقيف، وكانت منتجعا للموسرين من أهل مكة، لهدوئها ،و لطافة هوائها، ووفرة بساتينها، مما قلل دواعي الشحناء والتنافس بالفخار عند الرجال، ودواعي الفجيعة،وطلب الثأر عند النساء ، وهما من أقوى العوامل المحركة لشاعرية الجاهلي. وقريب منه الحكم الذي أطلقه على شعر قريش القليل، فبلدهم مكة تجلّه العرب لمكانة بيت الله الحرام منهم، فغلب السلم على مكة وقلت دواعي النظم .

ويرى القاضي الجرجاني أن لطبيعة المرء وبيئته أثرا في تفاوت لغة الشعر: «فقد تختلف أحوال القوم وتتباين حسب أحوالهم فيرق شعر أحدهم ويصلب شعر الأخر ويسهل لفظ أحدهم، ويتوعر منطق غيره، و إنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع وتركيب الخلق، فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع و دماثة الكلام بقدر دماثة الخلقة، و أنت تجد ذلك ظاهرا في أهل عصرك وأبناء زمانك، ومن شأن البداوة أن تحدث بعض ذلك، ولأجله قال النبي صلى الله عليه وسلم "من بدا جفا" ولذا تجد شعر عدي وهو جاهلي أسلس من شعر الفرزدق ،ورجز رؤبة وهما آهلان، لملازمة عدي الحاضرة وإيطانه الريف وبعده عن جلافة البدو ،وجفاء الأعراب »[2]

فإذا انتقلنا إلى المعلم الثالث ،وهو الجنس، فقد كان له بعض الأثر مع بدايات قضية القديم و الحديث وذلك بالإعراض عن شعر المولدين كبشار بن برد، الذي عيب عليه التفاوت في شعره .

ولم يكن سهلا في البداية تقبل شعراء، أو تقديمهم، ولسانهم في الأصل غير عربي خاصة أن بعضهم كان يمثل المد الشعوبي الذي خلق اضطرابا على المستوى الثقافي و الأدبي،والاجتماعي، وحتى السياسي، لكن لم يمنع كل هذا من الاعتراف بأنهم أتوا بالعجيب «وستعثر في أشعار المولدين بعجائب استفادوها ممن تقدمهم، ولطفوا في تناول أصولها منهم، وتكثروا بإبداعها فسلمت لهم عند ادعائها للطيف سحرهم فيها، وزخرفتهم لمعانيها» [3]

---

[1] -ابن سلام ، م س، 1/ 251 .

[2] - أبو الحسن بن عبد العزيز الجرجاني الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح أحمد عارف الزين، مطبعة العرفان صيدا، 1331 هـ ، ص21.

[3] - ابن طباطبا عيار الشعر ،تح عباس عبد الساتر،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1 1982 ،ص14.

كما نجد أثرا لهذا المعلم في طبقات ابـــن ســـلام بتخصيصـــه اليهـــود بطبقـــة وذكـــر أشهر شعرائهم[1] فهي إحالة على عنصر الجنس، غير أن "ابـــن ســـلام" لـــم يـــربط بـــين الظواهر الفنية والانتماء العرقي .

[1] - ابن سلام، طبقات الشعراء ،م س،279/1.

الفصل الأول

المستشرقون و تاريخ الأدب

1- عناية المستشرقين بالتراث
2- تأسيس المستشرقين لتاريخ الأدب العربي
3- تقسيم المستشرقين العصور الأدبية

تمهيد:

إن تحديد الشروط التاريخية، والمعرفية المؤطرة للتاريخ الاستشراقي للأدب العربي يتطلب الوقوف عند عنصرين ، يتمثل أحدهما في العناية بالتراث العربي جمعا وفهرسة وتحقيقا كخطوة أولى، لتكريس قراءة خاضعة لمعطيات تاريخية وثقافية وحضارية ،أما ثانيهما فهو الإطار الذي تم في حدوده وصف هذا التراث وقراءته ، أو ما يصطلح على تسميته بالمنهج .

تميزت أمم ،عبر التاريخ البشري ، بما خلفت من تراث عظيم توارثته الأجيال ،فكان زادا فكريا ومعينا حضاريا سخيا معطاء لم ينحصر ريعه في أهله وورثته، بل تجاوزه ليعم خيره أمما أخرى لا تمت له بصلة نسب أو دين ،أو لغة ، لكنها تؤمن بأن التراث الإنساني ليس ملكا لأحد، بل هو كنز مشاع بين الناس .

و بغير ما جهد ندرك أن الشعوب المورِثة للحضارة هي : « شعوب الشرق الأقصى ،وشعوب الشرق الأدنى ،وشعوب البحر الأبيض المتوسط التي نضجت عقليتها قبل غيرها فأسدت... خيرا إلى الإنسانية جمعاء»[1]

فازت هذه الشعوب بتخطيها المواقع والعقبات ،وبابتداعها ثقافات ،وابتكارها مدنيات تختلف إحداها عن الأخرى . تأسست حضارات هذه الشعوب على منظومات متكاملة متضامنة في شتى المجالات الدينية والسياسية والصناعية والتجارية ،والعلمية ،إلى جانب الفنون والآداب والفلسفة. استنادا لهذه المنجزات الثقافية كان من الطبيعي أن يُكِبَ الاستشراق على مدارسة تراث الشرق العريق شمولا وتفصيلا .

1-عناية المستشرقين بالتراث العربي:

ظل الاستشراق ،على مدى قرون متواصلة، يدرس بعناية معظم تراث مستعمراته الشرقية انطلاقا من الحضارات القديمة كالهندية والصينية والبابلية ،والآشورية والفرعونية إلى الحضارة العربية الإسلامية، التي استأثرت بمعظم اهتماماته،وذلك لأن التراث يعتبر مادة هذه الحضارات التي تعبر عنها- على الخصوص- نقوش وآثار ،و مخطوطات بشكل أخص، تفرض على الباحث أن يقف مليا عند كلمة "تراث" بوصفها همزة وصل في هذا البحث الذي يصطدم عنده بعدين عربي واستشراقي .

[1] - أحمد سمايلو فيتش ،م س،ص154.

1-1-التراث بين العرب والمستشرقين:

وينبغي استعراض كلمة "تراث"لغويا ،واصطلاحيا بين العرب والمستشرقين؛
إذ تجمع المعاجم العربية بأن كلمة (تراث)أخذت من(وَ رِثَ) ،وأن التاء فيها مبدلة من الواو فالعرب يقولون:ورثت الشيء من أبي أرثه ـ بالكسر فيهما ـ وراثة وإرثا.[1]

و جاء في لسان العرب بأن" ابن الأعرابي" يسوي بين كلمة تراث وبقية الأسماء المشتقة من هذه المادة فيقول الِورْثُ والوَرْثُ والإرث والِوراث والإراث والتراث واحد.

ويرى "الجوهري" أن الميراث أصله مِوْرَاث ، انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها ، والتراث أصل التاء فيه واو.

ويقول "ابن سيده ":الِورْث والإرْث والتُراث والميراث:ماوُرِّثَ،وقيل :الِورْث والميراث في المال ،والإرث في الحسب . وفي حديث الدعاء أيضا إليك مآبي ولك تراثي؛التراث :ما يخلفه الرجل لورثته ،والتاء فيه بدل الواو[2]

ويُفَصّل رمضان عبد التواب في كلمة(تراث)؛ فيرى أن أصلها مأخوذ من الفعل :"وَرِثَ" ،بإبدال الواو تاء ؛بسبب ما يسمى في علم اللغة باسم:"القياس الخاطئ"؛إذ قد يؤدي هذا النوع من القياس إلى نشوء كلمات جديدة في اللغة ؛فإن بناء "اتبع"من "تبع" مثلا ،والتاء فيها أصلية ،أدى إلى توهم أن "اتخذ"مأخوذة من:"تخذ"،مع أنها من :"أخذ"؛وبذلك نشأت كلمة جديدة ،هي :"تَخِذ"

وقد فطن إلى هذا الجوهري ، فقال : « والاتخاذ:افتعال من الأخذ ،إلا أنه أدغم بعد تليين الهمزة ، وإبدال الياء تاء،ثم لما كثر استعماله على لفظ الافتعال ،توهموا أن التاء أصلية،فبنوا منه:فَعِل يفعَل ،قالوا تخذ،يتخذ »[3]
وهذا القياس الخاطئ هو المسؤول كذلك عن استخدام "تَقِيَ"بمعنى"اتّقى"في قول عمرو بن قميئة :[4]

فلوأني أرمي بسهم تقيْته ولكنني أرمي بغير سهام

ولاشك أن هذا هو الطريق، الذي وصلت إلينا عنه كلمات أخرى ؛مثل :"التكلان"من "وكل" ،و"التخمة" من الطعام الوخيم ،و"التقوى "
من:"وقى"،و"التالد" و"التلاد" و"التليد" من :"ولد"؛لأن معناه:المال المولود عند

---

[1] - عبد المجيد دياب ،تحقيق التراث العربي،منهجه وتطوره ،دار المعارف ،القاهرة ،ط2 ،1993.،ص 12
[2] - ابن منظور، لسان العرب،قدم له عبد الله العلايلي ،إعداد وتصنيف يوسف خياط ،دار لسان العرب ،بيروت 3/ 907.
[3] - الجوهري، الصحاح ،مادة (أخذ)559/2،عن رمضان عبد التواب مناهج تحقيق التراث ،مكتبة الخانجي،مصر،ط1 ،1985 ، ص8.
[4] - ابن در ستويه، تصحيح الفصيح 299/1،عن رمضان عبد التواب ،م س ، ص9.

أصحابه ،..وأخيرا :"التراث"من:"ورث" [1]

وأما وجهة النظر الاستشراقية، فيمثلها "برجشتراسر"، وقد أطلق على هذا النوع من القياس بناء الأبنية، إذ يقول «وقد أصاب الزمخشري في معرفة أصل الحرف ،في كثير من الكلمات ، غير أنه ضل طريقة الإبدال في بعضها .. فقد ذكر مثلا أن التاء في كلمة "تهمة" أبدلت من الواو ،وإنما أبدلت الواو بالتاء بواسطة ما سماه ب" بناء الأبنية"

وذلك أن الافتعال من :"وهم"هو:"اتهم بقلب الواو تاء بالتشابه ،ثم إدغامها في تاء الافتعال ،"واتهم" كاتبع في مظهرها،فظنوا أنها من :"تهم" كتبع ، فاشتقوا منها كلمات عديدة فاؤها التاء ،منها :"التهمة" [2]

وبينما يتضح الاتفاق بين المستشرق "برجشتراسر"، والدارسين العرب في قضية الإبدال الذي دخل على "ورث"، أو كلمات مشابهة مثل "وهم" حيث أبدلت" الواو " "تاء"،فإن الاختلاف بين الطرفين في طبيعة هذا الإبدال ومصدره قائم ، إذ يرجعه "رمضان عبد التواب" إلى القياس الخاطئ، بينما يعيده "برجشتراسر"إلى "بناء الأبنية" ، وهو المقابل العربي للأصل الألماني Retrograde ableltung وهذا المصطلح اللغوي يتعلق بخاصية صرفية موجودة في اللغة الألمانية ،وهي لغة بعيدة كل البعد عن اللغة العربية ،فلا مبرر لاستعارتها من لغتها الأصلية لفائدة اللغة العربية ،خاصة ،أن القدماء أشاروا إلى هذه الظاهرة في نطاق الإبدال، والأقيسة الخاطئة ،فعلماء اللغة العربية قد أغنوها بالمصطلحات التي تحيط بجميع ظواهرها، وقضاياها قديما ،وحديثا .

هذا من الناحية اللغوية، أما من الناحية الاصطلاحية ، فيختلف مفهوم المستشرقين للتراث عن مفهوم العرب الذين يجمعون على أنه كل ما خلّفته الحضارة العربية الإسلامية من آثار – خاصة المكتوبة – من عصر التدوين إلى عصور متأخرة تصل إلى عصر النهضة .[3]

فالتراث هو كل ما خلفته أجيال من العرب في ألوف الكتب والرسائل ،و كثير منها مازال مخطوطا في مكتبات العالم في الشرق ،والغرب على السواء ،وما تحتوي هذه الكتب من آراء ونظريات علمية ليس إلى حصرها سبيل ،وصلتنا بصورة كتب، أو رسائل أولفائف كاملة أومبتورة،أما الحدود الزمانية للتراث فهي شاسعة فكل ما خلفه المؤلف بعد حياته يعد تراثا فكريا ، ولقد أصبح شعر شوقي

---

[1] - رمضان عبد التواب ،م س،ص9.

[2] - برجشتراسر، التطور النحوي للغةالعربية،تر رمضان عبد التواب ،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،ط2 1994 ، ص51-52.

[3] - محمود أحمد حسن المراغي،دراسات في المكتبة العربية وتدوين التراث،دار العلوم العربية ،بيروت،ط1 ،1991 ، ص13.

وحافظ ، وحديث عيسى بن هشام ، وآثار العقاد ، والمازني ،وتوفيق الحكيم ، وعبد المنعم نمر ،وأحمد الحوفي ..تراثا له حرمته التاريخية وله قدره الأثري[1]

لكن كلمة "تراث" لا تعني في الغرب الإرث الذي مات صاحبه ،وإنما تعني مساهمة الأمة في الفكر الإنساني ، وفي ما يتعلق بالتراث العربي –نسبة للسان العربي–غالبا ما يضيف المستشرقون لفظة إسلام للتراث فيقولون :"تراث الإسلام" ،وهم لايريدون بالإسلام الصبغة الدينية بقدر ما يعتبرونه إطارا حضاريا محدِّدا ،ووعاءا زمانيا، ومكانيا ،لكنهم يَسِمُونَه بأنه غير متجانس.

يقول شاخت في مدخل تراث الإسلام :بأن كتاب "تراث الإسلام" يُتناول الإسلام على أنه حضارة وليس دينا فحسب.. هذا التراث ليس متشابه السمات في مختلف ميادينه سواء من حيث طبيعته أو من حيث حدوده الزمنية [2]

وغالبا ما يحصر المستشرقون التراث العربي الإسلامي من القرن الأول الهجري إلى القرن التاسع عشرميلادي، ويرون أنه مقصور على الإسلام"الكلاسي"أو"الوسيط"والعصور الوسطى من تاريخ الإسلام الممتد حتى عهد الحملة النابليونية على مصر أي حوالي سنة 1800 م [3]

وفي هذا السياق نقدم ملاحظتين حول التحديد الزمني الذي أقره المستشرقون ؛أما الأولى فتتمثل في المدة التي حصر فيها المستشرقون التراث العربي الإسلامي وهي المدة التي غطاها النشاط الاستشراقي بكثافة ،أما الثانية فتتعلق بإضافة ، الكلاسي أوالوسيط ،أوالعصور الوسطى لكلمة "الإسلام" ،والمعروف أن الإسلام من الجانب العقدي والتشريعي لم يتغير منذ ختم النبي محمد صلى الله عليه وسلم الرسالة إلى اليوم ،كما أن وسم التاريخ العربي الإسلامي المديد بالعصور الوسطى فيه كثير من التضليل، والإسقاط اللامعقول، لهذا نجد" نيتشه" يقول «نحن لا نعثر على ضمان الفعل الدال في الأشكال اللسانية ذاتها ، بل في المجتمعات التي تستخدم تلك الأشكال»[4]

فتحرص ذهنية التمحور على الذات، أو ما يسمى بالمركزية الأوروبية على اتخاذ اللغة ومفرداتها مطية لتُحَمّلَ بمفاهيم تعكس الميل إلى اتخاذ الذات محورا في النظر إلى الآخر، فقد جرت العادة في العالم الغربي على تبني تحقيبات تاريخية تقسم العصور إلى :عصر قديم ،وآخر وسيط وأزمنة حديثة وأخرى معاصرة ،وكان

---

[1] - عبد المجيد دياب ،م.س ، ص12.

[2] - جوزيف شاخت، كليفورد بوزورث ،تراث الإسلام،تر محمد زهير السمهوري وحبيب مؤنس،عالم المعرفة ،الكويت ،18/1.

[3] - م ن ،ص ن.

[4] - سالم يفوت ،حفريات الاستشراق،المركز الثقافي العربي ط 1 ،1989،بيروت ،ص23.

من المفترض أن يتوقف هذا التحقيب عند حدود" أوروبا "فلا يتعدّاها ،غير أن الواقع يكشف عن تحقيب مماثل لتواريخ الأمم الأخرى تحقيبا إسقاطيا ، فنراهم يقولون الإسلام الوسيط ،والعصور الوسطى من تاريخ الإسلام «وبهذه الكيفية يتم كبت تلك التواريخ الأخرى لتدمج في تاريخ واحد هو التاريخ كما يراه الغرب»[1]

وتبعا لهذا التصور يرى ا لمستشرقون أن هذا التراث لم يسهم فيه المسلمون فقط ،إذ أن المسيحيين واليهود أيضا قدموا إسهامات بارزة ،وفي هذا السياق يبالغون كثيرا في تقدير هذه الإسهامات ، فيعتبرون أنها على المستوى الفكري الرفيع [2]

وليس هذا وحسب، بل ويهوّنون من أثر الإسلام في التراث العربي الإسلامي ،فنجد "ألفريد غيوم "في تمهيده لكتاب تراث الإسلام" [3] يتقلب على الوجهين، فيرى في البداية أن تركة الدين الإسلامي في الحضارة الغربية ،لا يوجد فيها الكثير من العناصر الإسلامية البحتة ،وقيمة المساهمة في بناء هذه الحضارة كانت زهيدة تافهة في الأمكنة التي مارس السلطان الديني أقوى نفوذ ، لكنه يستدرك لاحقا ليقرّ بأن الإسلام كان عاملا هاما في النهوض بهذه الحضارة، لا باعتباره عنصرا تكوينيا أصيلا فيها، وإنما بكونه إطارا سياسيا نشأت فيه هذه الحضارة، ففي حماية الإمبراطورية الإسلامية ازدهرت العلوم والفنون[4]

والملاحظ في تعامل المستشرقين مع التراث المكتوب باللسان العربي أنهم في غالب الأحيان لا يفَرِّقون بين العرب والمسلمين، ومرد ذلك إلى جذور الاستشراق الأولى التي تعود إلى تحقيق أغراض دينية ،فالتصور نفسه نجده عند " شاخت" و"ألفريد غيوم" الذي يقر بذلك في قوله :«وكثيرا ما اسْتُعْمِلَ لفظتا"الإسلام"و"العرب"إحداهما محل الأخرى كمرادفين ..وكانت اللغة والديانة في أيام الخلافة الإسلامية العظمى ،وحدة غير قابلة للانفصام ،فالعربية هي (يونانية)العالم الإسلامي »[5] ولا يخفي إعجابه باللغة العربية، وتوصيفه لها يتبعه بالأمثلة أحيانا، وقد ذكر جملة من الخصائص:

---

[1] - سالم يفوت ،م س ،ص18.

[2] - م ن،ص24.

[3] - تراث الإسلام عنوان لأكثر من عمل ،ويعد كتاب" تراث الإسلام" " ل "توماس أرنولد" أسبق من الكتاب الذي صنفه "شاخت"وقد جاء الكتاب الأول ضمن حلقة من سلسلة كتب هي :تراث اليونان ، وتراث روما ،وتراث القرون الوسطى ،والغرض منه ،كشف النقاب عن العناصر المقتبسة من العالم الإسلامي ،والتي تشربت بها حضارة أوروبا.وتوفي"توماس أرنولد"قبل إتمام الكتاب ،فخلفه "ألفريد غيوم" وأتمه.

[4] - توماس أرنولد ، تراث الإسلام ،تر جرجيس فتح الله ،التمهيد لألفريد غيوم،دار الطليعة للطباعة والنشر ،ط2 ،1972.ص7.

[5] - م ن ،ص8.

أولا:أن اللغة العربية متفوقة على بقية اللغات السامية ؛فوقت نضوج العربية كانت الآرامية مجدبة مقارنة بالعربية ،وحتى العبرية القديمة في ذروة مجدها فإنها لم تطل العربية بمرونتها واشتقاقها العجيب ،فمن معينها الخالص أمكن نحت تعابير واشتقاق مصطلحات في غاية الدقة ،حسب متطلبات الفنون والعلوم الجديدة.وللمستشرقين براعة كبيرة في فقه اللغة المقارن خاصة بين اللغات السامية .

ثانيا:غياب الكلمات المركبة تركيبا مزجيا ،والتي عادة ما تدل على الأفكار الأكثر تعقيدا ،وهي غير معروفة في اللغة العربية –على حد تعبيره– لكن من أعجب العجائب أن تستوعب لغة كهذه كل علوم العالم الإغريقي وفنونه .بدون أن تقوم شبهة ما على قصور لها أو جهد تحملته مصادرها في سبيل النهوض بتلك التبعة

ثالثا:تعبير اللسان العربي بكفاءة عالية عن العلاقات بإيجاز أكثر من اللغات الآرية لمرونته وقابليته الاشتقاقية الفائقة في الاسم والفعل ؛فكلمات مثل (الكسر) أو(السحق) و(التسبب في الكسر) و(السماح بالكسر) و(تكسير الواحد للآخر) و(سؤال أحدهم أن ينكسر)و(التظاهر بالانكسار)لهي من مشتقات كثيرة، تحصل عليها من أصل الفعل (كسر)، وهذا يتم بتغيير وضع الحروف الصامتة في الفعل ، أو بإضافة الأحرف الصائتة من غير اللجوء إلى أفعال مساعدة أو ضمائر [1]مما نضطر إلى الاستعانة به في اللغة الانكليزية ،وللإسم أيضا أوزان وهيئات مختلفة للدلالة على أشياء متنوعة كاسمي الزمان والمكان،وأحوال الجسم والألوان، والمهن وغيرها .

وهذه المشتقات ليست عرضية ،بل ثابتة المكانة معينة الحدود بالعبقرية التركيبية للعرب.

رابعا:اتساع اللغة العربية لاستيعاب كافة المصطلحات العلمية للعالم القديم بكل يسروسهولة ،بوجود التعدد في تغيير دلالة استعمال الفعل والاسم.والعرب –كما يقول–أمة قوية الملاحظة".

فقد لجأ العرب إلى وضع اسم لكل موصوف لأن" الجدل التحليلي ليس من مميزات لغتهم فقد سدوا هذا النقص بوضع اسم قائم بذاته لكل حالة من حالات الموصوف.كالجمل المعمّر ،والناقة ذات الأفلاء الكثر، والجواد السريع الخبب ،والناقة الحلوب، وغير ذلك مما له أسماؤه الخاصة في اللغة العربية ،مما يصعب مهمة ترجمة الشعر العربي ويجعلها محفوفة بالمخاطر[2]

---

[1] - و هي على التوالي:كسر ،كسّر،اكتسر ،انكسر ،تكسر ،،كاسر ،استكسر،،تكاسر

[2] - تمهيد ألفريد غيوم،م.س ، ص 8-9.

وبالنظر إلى هذه المعطيات يظهر الإطار الذي حرص المستشرقون من خلاله تقديم التراث العربي و الإسلامي- وبشكل خاص الأدبي- فمن ناحية المضمون اعتبروا الرصيد الحضاري العربي الإسلامي -في معظمه- من إنتاج أعراق ومِلل مختلفة ، عملت على ترجمة نفائس الحضارات القديمة، و الاقتباس من علومها، وفنونها ،وبذلك تنتفي أصالة هذه الحضارة ،ومهما عبّر المستشرقون عن اندهاشهم لما لمسوه من بيان اللغة العربية، وعجيب تراكيبها ،وبراعة أقيستها، فإنهم ما يلبثوا أن يُدلُوا بما يَنسف هذه المكانة، ويأتي على ما بنوه، فينعتوها بالقصور الذي أصابها جرّاء عجز فطري فيها متأصل في أهلها .

ومن ناحية الشكل سعوا إلى تقديم التراث -خاصة الأدبي- في إطار زماني ، وسياسي ،وإقليمي، و يترجم هذا التصنيف عمليا في التاريخ الأدبي بتقسيمه إلى عصور أدبية تأسيا بالمنهج التاريخي، الذي كان مهيمنا في أروبا ،والذي اهتم كثيرا بجمع النصوص وتوثيقها، أوما يعرف بتحقيق المخطوطات ،وقد وجد المستشرقون في البلاد العربية سجل حضارة عريقة حفظت جهد الفكر الإنساني القديم، ومازادته عليه كان أوفر بكثير.

ويمكن القول أن اتصال الغرب بالحضارة العربية الإسلامية بغرض الاطلاع على مخزونها العلمي والمعرفي كان بادئ ذي بدء عن طريق مستعربي الأندلس، الذين ساهموا في عمليات الترجمة،واستهلوها بالقرآن الكريم، فوفد على الأندلس أهل الفن، والأدب والعلم، من كافة أنحاءأوروبا ،وانتشرت مدارس الرهبان العربية في إشبيلية (1250م) ،وبرشلونة (1259م)، وميورقة(1276م)، وبلنسية(1281م) ،وجانيفا(1291م)، وقد تطورت بعض مدارس الكاتدرائيات إلى جامعات ،وكان "دون رايموند الأول" رئيس أساقفة طليطلة (1126-1151)قد أنشأ فيها مكتب المترجمين (1130م)، فتولى المسلمون والنصارى واليهود ترجمة أمهات الكتب العربية إلى اللاتنية .[1]

وقد ظهر أثر ترجمة التراث العربي متغلغلا في الآداب الأوروبية ، من قصص وأساطير ومقامات وشعر وموسيقى وغناء ،فغلب على قصص "دون خوان مانويل" الطابع العربي على الرغم من صياغتها في أسلوب مبتكر ،وأشار الأب" بو اليسوعي" إلى وجه الشبه بين قصة حي بن يقضان وبين الفصول الأولى من" الكريبتيكون" لـ "بلتازار" .وعندما ترجمها" أوكلي" إلى الإنجليزية(1708م) أوحت إلى" ديغويه" بقصة "روبنسون كروزوه" .وكان" سرفنتس" (1547- 1616 م)قد قضى ردحا من الزمن سجينا في الجزائر فتأثر بها في قصته "دون كيشوت"[2] .وقال

---

[1] - نجيب العقيقي،المستشرقون ،دار المعارف ،القاهرة ،ط4 ،دت ص90.

[2] - وإن كان عدد من المستشرقين يقللون من هذا التأثير ،بل وأحيانا ينكرونه،انظر تراث الإسلام ، 23/2 الدراسة ل" فرانز روزنتال"

عنها كاراديفو:إنها جديرة بأعظم نوابغ الفلسفة[1] قضى ردحا من الزمن سجينا في الجزائر فتأثر بها في قصته "دون كيشوت"[2] .وقال عنها كاراديفو:إنها جديرة بأعظم نوابغ الفلسفة[3]

ورد" جارنوي" معظم الأقاصيص التي بنت عليها فرنسا فنها إلى أصل شرقي [4]، وفن الموشحة بتعدد قوافيه والأوزان وتضمين الغزل والوصف والتشبيب قد ترك في إسبانيا وأوربا أثرا بالغا:فنظم "خوان رويث" نائب أسقف هيثا" ديوان الحب الطاهر"–الذي يعد أنفس ديوان في الأدب الإسباني آنذاك – متأثرابالمقامات ،وفلسفة "ابن حزم " والأفلاطونية الحديثة .

وفي إنجلترا في شعر" دي مريل "ونظرائه ،وفي البرتغال في شعر" ديونيس" وأشباهه،وفي إيطاليا طبعت الموشحة بطابعها موضوعات الشقاء والخصام وأغاني المرافع ولاسيما في مدائح" دي تودي "ومرقصات "دي مديتشي"[5]

وإن كان هذا غيض من فيض ،فقد نفضت أوروبا ركام الجهل والتخلف وهي تتأهب لبناء حضارتها ،فلم يكن هناك بد من الاغتراف من معين الشرق العربي الذي –ومنذ سقوط بغداد على يد المغول – شهد تراجعا وتخليا عن مكانته في الحضارة الإنسانية . ولم يكتف الأوروبيون بما وصلهم إلى ديارهم ،وراحوا صوب الشرق يوجهون بعثاتهم أفرادا وجماعات ،لتتوالى طلائع المستشرقين على مصر والشام ثم إلى الشرق كافة للتنقيب عن تراثه ،وأكبوا عليه يجمعونه ،ويتدارسونه[6].

1 –2–جمع المخطوطات:

لم يرد لفظ" مخطوط"في المعاجم العربية ،وخاصة القديم منها ؛إذ يبدو أنه لم يكن معروفا قبل عصر الطباعة الأخيرة ،يقول" أحمد شوقي بنين" بأن لفظ مخطوط حديث في العربية ، ظهر مع ظهور الكتاب المطبوع .أما قبل ذلك فكانوا يقولون :"تأليف أو" مؤلفات" ،"كتب الأصول" ،"الكتب الأمهات" ،أو الكتب الأساسية ؛لأنها كانت " تحوي أساسيات العلم [7]

---

[1] Cara de Vaux , Les Penseurs de LIslam,t.4,p6 ، 93 –عن العقيقي ،م س، ص

[2] - وإن كان عدد من المستشرقين يقللون من هذا التأثير ،بل وأحيانا ينكرونه،انظر تراث الإسلام ، 23/2 الدراسة ل" فرانز روزنتال"

[3] Cara de Vaux , Les Penseurs de LIslam,t.4,p6، 93 عن م ن ص

[4] - Jearnoy ,Les Origines de la poésie lyrique en France et au Moyen –3Age,p,11. عن م ن

[5] - م ن ،ص94.

[6] - محمود أحمد الطناحي ،مدخل إلى تاريخ نشر التراث ، مكتبة الخانجي ،القاهرة ط1 ،1984،ص206.

[7] - أحمد شوقي بنبين ،دراسة المخطوطات والبحث البيوغرافي ،،كلية الأدب ، الرباط ،1993،ص12.عن كتاب:المخطوط العربي وشيئ من قضاياه عبد العزيز بن محمد المسفر ص67.

وفي اللاتنية لفظة"codex" عرّفه قاموس كوليير"Collier 's Dictionary" بأنه الكتابة الأثرية القديمة، وتعني الكتابة الأثرية على الألواح ،أما قاموس" المورد" فقد ترجم كلمة "codex" بأنها تعني باللاتينية كتاب ؛أي مخطوط والجمع " codecies" أي مخطوطات ،وفي المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات، والمعلومات ورد لفظ كوديكس"codex" بأنه يعني سفر،أو كراس،أو كتاب مخطوط على ورق ،أو على ورق بردي؛وأنه كان يطلق في الأساس على لوحين من المعدن، أو الخشب ،أو العاج مربوطين معا بمفصلة ذات حلقات،وأن الجوانب الداخلية كانت تغطى بالشمع، ثم يكتب عليها[1]

ويتضح أن لفظ " مخطوط" قد وضع- أساسا- لتمييز الكتب المخطوطة باليد ، والتي تحمل طابعا تراثيا، عن تلك التي نسختها المطابع ،وشيوع اللفظ كان في عصر الطباعة ؛لأن قبلها كانت كل الكتب مخطوطة باليد، فلم يكن هناك داع لتوصيفها بأنها مخطوطة ، ليتحول التوصيف للكتاب المخطوط إلى إسم يعرف به.

لكن فيما بعد لم يقتصر هذا اللفظ على ما يحمله في سياقه التاريخي التراثي،فنجد أن "مخطوطات العمل "التي يسعى النقد التكويني إلى توضيحها تختلف بصورة جذرية عن مخطوطات" العصور الوسطى التي استهدفها فقه اللغة الكلاسيي ببحثه ،لذلك فإن "المخطوطات الحديثة "هي التي يمكن أن ينظر إليها كوثائق مكوِّنة، على اعتبار أنه يوجد إلى جانبها شكل آخر من أشكال تحقق النص، فيكتمل فيه النص جماليا :ونعني به الكتاب المطبوع الذي يثبت العمل الأدبي في نص نهائي يصادق عليه المؤلف ،فالمخطوط بهذا المفهوم يمثل صورا أولية للكتابة التي تخرج في شكلها النهائي مع صدور الكتاب .[2]

ولاشك أن أي دارس للتراث العربي الإسلامي في مجال المخطوطات سيُحال في غالب الأحيان إلى الوسيط الغربي ،وقليلة هي النسخ التي قد يعثر عليها في البلاد العربية من حيث الأهمية ، بالمقارنة مع ما هو موجود في الغرب، وهذا ليس من قبيل المبالغات ،فالمتاحف الأوربية عامرة بمختلف المخطوطات العربية في شتى صنوف المعرفة ، والتي خطّتها الأيدي بلغة الضاد من عصر التدوين إلى مشارف القرن التاسع عشر[3].

وتعود جذور الوعي بأهمية هذه المخطوطات من قبل الغربيين إلى الاحتكاك بالعرب بعد الفتح العربي للأندلس- كما سلف ذكره- وبشكل أوسع أثناء الحروب

---

[1] - عبد العزيز بن محمد المسفر ،المخطوط العربي وشيئ من قضاياه ،دار المريخ للنشر ،الرياض ،المملكة السعودية ،1999 ،ص 67.

[2] - مجموعة من الكتاب ، مدخل الى مناهج النقد، تر رضوان ظاظا ،عالم المعرفة ،الكويت ،1997،ص14.

[3] - محمود حمدي زقزوق م س ،ص62-63.

الصليبية ، و ثبت لهم بما لا يدع مجالا للشك أنهم قد أقدموا على هذه الحروب ، وهم يحملون أفكارا وصورا مشوهة وخيالية عن العرب والمسلمين.

لذا أقبلوا على (المعرفة الواقعية) أو (الحقيقية) لهذا الشرق ، وكانت اللغة العربية بناء على هذا التوجه الجديد هي مفتاح هذه المعرفة ،لتكون الآثار المكتوبة و المتمثلة في المخطوطات ، هي وسيلتهم الأولى للعمل[1]

والملاحظ على هذه العملية أنها اتخذت صفة ،التجنيد الجماعي والفردي و شارك فيها الحاكم، و رجل العلم، والسياسة، والدين ،وكان بعض الحكام في أوروبا يفرضون على السفن التجارية التي تتعامل مع الشرق أن تحضر معها بعض المخطوطات[2]

وسعوا للحصول على المخطوطات باستعمال كافة الوسائل،واتخاذ شتى الصفات وخاصة أن هذا العمل لم يكن من قبيل الهواية، بل كان مبنيا على وعي تام بقيمة هذه المخطوطات ،لهذا اتخذوا كافة الأساليب لاقتنائها بطرق مشروعة أحيانا ،وغير مشروعة في أحيان أخرى ، بالشراء ،والمقايضة بالسلع ، والهدايا ،والنهب ،والسرقة ،والنسخ،وغيرها [3]

ومن أوسع عمليات الجمع ما كان بعد الحملة "النابولينية" على مصر عام 1798م ،و يكفي لتصوير فداحة النزيف الذي كان في تلك الفترة ما ذكره "الجبرتي " في تاريخه أنه كان من أهم شروط الصلح الذي تم بمقتضاه جلاء الفرنسيين عن مصر "هوأن الفرنسيين يستصحبون معهم ما يحتاجون من أوراقهم ،وكتبهم ،ومنها التي شروها من مصر ، والصحيح" والتي سرقوها من مصر" فقد كانت القاهرة عند وفود الحملة من أغنى بلاد العالم بالكتب والمكتبات ، فأصبحت بعد ثلاث سنوات من أفقرها [4].

ومن هنا تتضح فداحة الجرم الذي أتى به المد الأوربي في البلاد العربية، فلم يكتف باستنزاف الثروات المادية وسلب الأرض وهضم أبسط الحقوق الإنسانية وإزهاق الأرواح ، بل وانقضّ على الميراث الحضاري لهذه الأمة ونقل ملكيته إليه .

1-3-فهرسة المخطوطات:

---

[1] - ريجيس بلاشير ،و جان سوفاجيه،قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها ،تر محمود مقداد، من مقدمة المترجم ،دار الفكر دمشق سوريا ط1 ، 1988 ،ص10.

[2] - محمود حمدي زقزوق،الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري،دون تاريخ ، ص63 .

[3] - ريجيس بلاشير ،وجان سوفاجيه، ،م س ،ص11.

[4] - صبري حافظ ،أفق الخطاب النقدي ،دار شرقيات للنشر والتوزيع ، القاهرة ،ط1 ، 1996 ،ص170 .
بلاشير وسوفاجيه ،م س، ص11.

ولفظ (فهرسة) فارسي معرب ،ويعرّف أصحاب المعاجم العربية (الفهرس) بأنه« الكتاب الذي تجمع فيه الكتب، معرّب فهرست»[1].

وفهْرَسُ الكتاب هو قائمة محتوياته Table of Contents ،وفهرس الأعلام، أوالأماكن ،أو القوافي هو الكشاف Index الذي تسرد فيه أسماء الأشخاص ،أو الأماكن الواردة في الكتاب في ترتيب هجائي يُيَسّر الوصول إليها ،وفي التراث العربي نجد فهرست ابن النديم[2] عبارة عن عمل "ببليوجرافي" بأدق معانى الكلمة ، لأنه يحصي الكتب التي ألفت باللغة العربية، أوترجمت إليها في مختلف فروع المعرفة حتى سنة 377هـ كما نص على ذلك صراحة في مقدمته. [3]

وإدراكا من الأوروبيين ما للمخطوطات العربية من قيمة ،فقد أحاطوها برعاية كبيرة وهيّؤوا لها أحدث الطرق، والوسائل لحفظها ،وصيانتها من التلف، واعتنوا بها عناية فائقة، وطفقوا يفهرسونها فهرسة علمية نافعة .

وتقوم الفهرسة على ذكر المخطوطات الموجودة في المكتبة وذلك بوصفها وصفا دقيقا ،والإشارة إلى مضمونها ،وذكر مؤلفيها وتاريخ ميلادهم ووفياتهم وتاريخ تأليف الكتاب ،أو نسخه ، وما إلى ذلك من معلومات ، فيسهل بذلك الاطلاع عليها من طرف الدارسين ،وهكذا تولى المستشرقون وضع الفهارس في الجامعات، والمكتبات الغربية.

ولن يكون يسيرا ذكر كل المكتبات، والأديرة والجامعات ،وحتى المكتبات الخاصة التي تضم بين جنباتها هذه الكنوز، وكيفية فهرستها،لذا سيتم الاقتصار على اثنين منها ،ولعلها الأقدم والأشهر.

1-3-1- فهرس دير "الاسكوريال" real bibiloteca elescorial

تم تشييد دير "الاسكوريال" بعد خروج العرب من الأندلس بنصف قرن، أويزيد سنة 1557م، وجمع فيه الملك" فيليب الثاني" بقايا المخطوطات العربية المتناثرة في غرناطة ،فكانت نواة مكتبة الدير[4]،

---

[1] - الفيروز آبادي، القاموس المحيط ،عن عبد الستار الحلوجي ،المخطوطات والتراث العربي ،الدار المصرية اللبنانية ، ط 1 2002،ص 20.

[2] - كتاب الفهرست لابن النديم (ت385ه)تضمن معلومات غزيرة لكتب الدين والتاريخ والأدب والفلسفة وسواها ،وترك ابن النديم نقصا في كتابه فأكمله الوزير المغربي المتوفي سنة (418ه) وقد قسمت العلوم في الفهرست إلى عشرة فروع استوعبت محصلة الثقافة العربية حينذاك وأحصى الفهرست 8360كتاب ل2238مؤلف، طبع الفهرست أول مرة في لبسيك سنة 1872مبعناية المستشرق الألماني فلوجيل ، ويقال إن ديوي اعتمد عليه في إصداره التصنيف العشري سنة 1876 م ،وذلك بعد طباعة الفهرست بأربع سنوات.

[3] - عبد الستارالحلوجي ،م س، ص63 .

[4] - منتديات التاريخ altareekh.com آخر تعديل 12-11-1428.

وتم اقتناء مخطوطات كثيرة وبطرق مختلفة أهمها الاستيلاء في البحر،على سفينة مغربية كانت تحمل مكتبة "مولاي زيدان" ملك المغرب[1]

وقد عُهد إلى ميخائيل الغزيري[2] بوصف هذه المخطوطات فقام بهذه المهمة خير قيام ، وأصدر لها فهرسا ممتازا ،لا يزال الباحثون يرجعون إليه حتى اليوم وعنوانه:
"المكتبة العربية في الأسكوريال"، فقام بحصر المخطوطات الموجودة في الدير ووصفها في المدة الممتدة بين (1760 – 1770 م)،في مجلدين.

ومادة هذا الفهرس غزيرة تتعلق بتاريخ المسلمين في إسبانيا ،وثبتا بالشعراء الأندلسيين العرب ،وتراجم العلماء ،وتاريخ الخلفاء في الأندلس ،والأسر الحاكمة في المغرب،مع وصف للمخطوطات المتعلقة بالتاريخ، والجغرافيا تكاد تستغرق المجلد الثاني بأسره ،وفي المقابل لم يهتم بالكتب المختصة بعلم الكلام والفقه؛ لأنها لاتهم الباحثين في العالم المسيحي.

وقد قام "هرتغج دارنبور"بمحاولة لإتمام وتصحيح فهرس الغزيري،وصدّر الجزء الأول تحت عنوان :"المخطوطات العربية في الأسكوريال" "(باريس،1884)les manuscrits arabes de l'escariol[3]

1-3-2- فهرس مكتبة باريس الوطنية:

Bibliotheque National de Paris (1654م)

وتحتوي سبعة آلاف مخطوط عربي، منها نفائس علمية وأدبية وتاريخية ونوادر قلما توجد في غيرها .بُدِئ في اقتنائها منذ كانت المكتب في" بلوى" ثم في" فنتبلو" ،ومن مكتبات :"كاترين دي مديسيس" ،و"مازارين" والرئيس "جولمن" ،وعلى أيدي المستشرقين وعلى رأسهم أولئك الذين أوفدهم الوزير "كولبر" إلى الشرق الأدنى ،فابتاعوا لها 630مخطوطا .

---

[1] - كانت تعتبر مكتبة مولاي زيدان من أكبر المكتبات في العالم كانت تضم 8000من المخطوطات النادرة والثمينة لكنها تعرضت للقرصنة فقد كان الملك زيدان على سفينة لنقله إلى آغادير هربامن سطوة أبي مجلى وطلب الربان مبلغا كبيرا لتفريغ الحمولة ولم يتمكن من الدفع فأبحر الربان بالسفينة إلى مرسيليا وفي الطريق استولى عليها القراصنة الإسبان وأمر الملك فيليب الثالث بأن توضع هذه المخطوطات العربية في مكتبة دير الاسكوريال.عن د.وليد صالح "المخطوطات العربية مكتبة الإسكوريال الإسبانية" ،جريدة الزمان ،العدد 1950 ،25-10-2004.

[2] - قسيس ماروني ولد في طرابلس الشام حوالي 1710م وقيل 1720 م وتوفي في مدريد سنة 1795 م.

[3] - عبد الرحمن بدوي،م س ،ص385.

أما عن فهارسها فكانت تتجدد كلما زادت المقتنيات ؛ فمن الفهارس القديمة: ما أنجزه "هربلو" [1] في مصنفه "المكتبة الشرقية" أو المعجم العام في بضعة مجلدات (باريس 1657والطبعة الثانية 1738) ،ووصف منها"بطرس دياب الحلبي" الماروني 897مخطوطا عربيا (باريس1677) ،وأشار إليها الأب" رينودو" في كتابه:تواريخ الطقوس الشرقية (باريس1715) وصنف فيها البارون" دي سلان" بعنوان :فهرس المخطوطات العربية والسريانية في مكتبة باريس الوطنية في أربعة أجزاء ،وأتبعت بالكثير من التتمات، منها تتمة "زوتنبرغ" باريس (1883 -1895) ، وكان" جريفو" قد وضع :تتمة للمخطوطات العربية المسيحية التي اقتنتها المكتبة بعد"دي سلان" ،وصنف" جورج فايدا" تتمة ثالثة ،فبلغ عدد المخطوطات 6853(باريس 1953)[2]

وقد كانت الجامعات المهتمة بالدراسات الاستشراقية الأكثر حرصا على اقتناء، وفهرسة المخطوطات ، لأنها تمثل مادة دراساتها ، أما المكتبات الخاصة ، فإن لمعظم المستشرقين مكتبات خاصة وقف بعضها على المكتبات العامة ،و احتفظ بالبعض الآخر لنفسه ،وقام عدد منهم بفهرسة محتوياتها من المخطوطات.

ولعل أهم عمل فهرسي هو ذلك المتضمّن في "كتاب تاريخ الأدب العربي" ل "كارل ب" ،فقد استفاد من فهارس اسطنبول التي أُعدت بأمر من الخليفة العثماني"عبد الحميد الثاني" الذي أدرك أهمية فهرسة المخطوطات ،فأصدر أمرا سلطانيا (فرمان)، يقضي بفهرسة المخطوطات الوقفية في مكتبات السلطنة، وجوامعها ،وقد طبقت التعليمات، وكتبت الفهارس لأكثر من مئة مكتبة تراثية ، وما زالت نسخ كثيرة محفوظة من تلك الفهارس التي اعتمَدت تثبيت أرقام المخطوطات وأسمائها ،وأسماء المؤلفين، وملاحظات حول وفيات المؤلفين ،وتاريخ النسخ. وقد ذكر "ب" في مؤلفه الضخم ما يقرب من عشرين ألف مخطوطة مع ذكر أماكن وجودها وأرقامها ،[3].

1-4-تحقيق المخطوطات

التحقيق لغة إثبات القضية بدليل .وفي لسان العرب:" حققت الأمر ،وأحققته:كنت على يقين منه".[4]

---

[1] - صاحب المكتبة الشرقية ،يكتب اسمه بالفرنسية: Bartelemy d'Herbelot عرّبه كمال أبوديب في كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد إلى(بارتيلمي ديربيلو) أما العقيقي في حديثه عن فهرسة مخطوطات مكتبة باريس الوطنية فإلى(هربلو)ص143 ، وفي تعريفه له ص159.

[2] - العقيقي م س،ص143.

[3] - محمد السيد الدغيم ،واقع التجزئة العربية وانعكاساته على فهرسة التراث العربي والإسلامي،جريدة الحياة اللندنية ، العدد15285 صفحة التراث :15،يوم 5-02-2005م.

[4] - ابن منظور لسان العرب،،إعداد وتصنيف،يوسف خياط ،دار لسان العرب ،بيروت ،مج 1 ،مادة "حقق"،ص

واصطلاحا تحقيق النص معناه :قراءته على الوجه الذي أراده عليه مؤلفه ،أو على وجه يَقرُب من أصله الذي كتبه به هذا المؤلف .وليس معنى قولنا :"يقرب من أصله" أننا نخمن أية قراءة معينة ،بل علينا أن نبذل جهدا كبيرا في محاولة العثور على دليل يؤيد القراءة التي اخترناها[1]

و"التحقيق" في اصطلاح أهل الفن :هو بذل الجهد ،واستقصاء البحث ،من أجل الوصول إلى حقيقة المخطوط ،فعلى المحقّق طرح عدة أسئلة في مواجهة النص الذي أمامه ؛عن صحة نسب المُؤلّف لصاحبه ،فهل هو منسوب خطأ له؟ أو أنه منتحل ؟وإذا صحت النسبة، فهل النص كامل ؟وهل هو بريء من التغيير بالزيادة والنقصان ،أو حتى التشويه ؟وإن كان فيه تصحيف وما هي الدلائل التي يُسْتَنَدُ عليها؟ ،وأي دور تضطلع به المؤشرات الزمنية؟ سواء ما بدى منها على المخطوط في حد ذاته من نوع ورق، ومداد ، وحالهما، أو ماتعلق بزمن المؤلف ؟وإن كانت هناك قرائن يستقيها المحقق من مادة التأليف، وتعالقاتها بفكر المؤلف، وتوجهاته وروح عصره عموما .

ويذهب بعض الدارسين إلى أن المستشرقين كانوا المبادرين لتخريج المخطوطات العربية،ووضع قواعد لتحقيق ،كما يذكر الدكتور محمد التونجي : «أخذ المستشرقون بطبع تراثنا العربي والاسلامي ،فلهم الفضل في السبق،وعلينا واجب المتابعة ،والنبش والإحياء »[2]

ويخالف فريق آخر هذا الرأي ،ويرون أن فكرة التثبت من صحة النصوص قد عرفت عند العرب في وقت مبكر ،وتظهر جذوره عند ابن سلام ،الذي يدعو الرواة بأن لا يكتفوا بالأخذ من الصحف، بل ينبغي لهم أيضا الأخذ عن العلماء، وأهل البادية[3]

وقد بذل القدماء جهودا مضنية طيلة قرون ،من أجل التحري عن النصوص الأدبية ،خاصة الشعرية منها احتذاءً بعلماء الحديث الذين تأثر بهم علماء اللغة والأدب باعتماد مناهج التحري والتدقيق ،وهو العلم الّذي وصل فيه المسلمون إلى الغاية من الضبط والعناية، فبعد تدوين كتاب الله المنزل ،جاء تدوين الأحاديث في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز[4].

---

[1] - رمضان عبد التواب ،منهاج تحقيق التراث بين القدماء والمحدثين،دار المعارف ، القاهرة ،ط2 ، 1993، ،ص5

[2] - محمد التونجي ،المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق النصوص ،دارالملاح للطباعة والنشر ،ط1،1986.،ص151.3-

[3] - ابن سلام طبقات فحول الشعراء،طبقات فحول الشعراء،تح محمود محمد شاكر،دار المدني ،جدة،د ط ،دت. ص4

[4] - محمد زكريا عناني ،وسعيدة محمد رمضان،في مناهج البحث وتحقيق النصوص ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت،ط1 ،1999. ص169.

فالقواعد الصارمة التي وضعها المحدّثون للتوثق من صحة الحديث النبوي نهل منها علماء اللغة والأدب ،فاهتموا بالتثبت من صدق الرواة وصحة الأشعار بدراسة السند، والمتن على السواء.

وكان ابن سلام وغيره من علماء اللغة والأدب القدامى، يفحصون ما تضيفه القبائل على شعرائها من أشعار، ويرفضون رواية الرواة الوضاعين،على نحو الذي تشدد به المحدّثون في رواية الحديث النبوي ، واعتبروا اللقاء والمشافهة شرطا لصحة الرواية ،وقد مضوا يعنون عناية بالغة بالإسناد على طريقة المحدّثين ،بحيث لا نصل إلى أبي الفرج الأصفهاني في كتابه (الأغاني) حتى نجده يقدم أكثر رواياته للأشعار، والأخبار بسلسلة من الرواة الذين حملوه على مر الأزمنة، وهو يستهل السند- غالبا-بكلمة (حدثنا)،أو(أخبرنا) وإذاكان للشعر أو الخبر روايتان ساقهما جميعا ،كصنيع المحدثين حتى يستطيع القارئ أن يقابل بين الرّوايتين [1]

و تبعا لهذا حرصوا أشد الحرص للحصول على النسخة الأصلية، أو على أوثق النسخ منها، وكانت أعظمها قيمة في نظرهم النسخة التي كتبها المؤلف نفسه، ووقع عليها ،وتليها المخطوطة التي نسخها أحد تلاميذه ،كما سمعها منه أو أنه كتبها بإشرافه ، لتأتي في المرتبة التالية النسخة التي كتبها عالم شهير[2]

وقد خضع أول معجم ألف في العربية، وهومعجم "العين" الذي ينسب للخليل بن أحمد الفراهيدي إلى التحقيق من جانب العرب القدامى ،و من أبرزهم الزبيدي الأندلسي (ت 379)، فتوصلوا إلى حقائق مهمة، منها أن المكان الذي ذاع منه الكتاب هو خرسان لا البصرة مستقر الخليل، أما الزمن الذي ظهر فيه فحوالي منتصف القرن الثالث للهجرة ،أي بعد وفاة الخليل بنحو ثمانين عاما ،أما أسانيده فكانت في غاية العجب؛ فقد وجدوا مؤلفه يروي عن الأصمعي وابن الأعرابي ،وهما من جيل متأخر عن الخليل ،فكيف يروي السابق عن اللاحق ؟! كما فحصوا مادته ومتنه ،فلاحظوا اختلاف نسخه المتداولة ،وكثرة الخلل والفساد في نصه !!وهذا ما يفسر إهمال علماء اللغة له حين ظهوره .

ومن الملاحظات التي سجلها الزبيدي- زيادة على ما ذُكر- ابتعاد الكتاب عن منحى البصريين خاصة، وأن الخليل إمامهم وعلى الرغم من ذلك فإنه أبقى نسب العين إليه ، والسبب في ذلك« أن منهج العين يلتقي بمنهج الخليل في استقصائه لأوزان الشعر العربي ،فالمنهجان يستلهمان نظرية التبادل والتوافق الرياضية في

---

[1] - عبد المجيد دياب ،م س ،ص53.

[2] - فرانتز روزنتال،مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ص63-64 عن أحمد سمايلوفتش ،فلسفة الاستشراق،ص277

حصر جميع الأوزان ،والألفاظ المستعملة في الطرفين والمهملة ،فحري أن يكون رأسهما واحد»[1]

فهذه شذرات بسيطة ،وبعض مما كان من أمر تحقيق المخطوطات عند العرب القدامى، ممايدل على أصالة هذا العلم عندهم ، وهو أقل القليل مما عناهم من قضايا التحقيق دون التعرض لتفاصيلها التي اعتنت بها كتب كثيرة قديما وحديثا[2] .

أما في الغرب ، فمع ظهور الطباعة بدأ علماء أروبا في القرن الخامس عشر بإحياء الآداب اليونانية واللاتينية،فكانوا إذا وجدوا كتابا من كتب القدماء قاموا بطبعها دون البحث عن النسخ الأخرى لهذا الكتاب،ولا يصححون إلا أخطاءه البسيطة ؛ومع ارتقاء علم الآداب القديمة (Philologiy) ،عمدوا إلى جمع النسخ المتعددة لكتاب من كتب القدماء ،ثم المقابلة بين هذه النسخ المتعددة ،فإذا اختلفت النسخ في موضع من المواضع اختاروا إحدى الروايات المختلفة، ووضعوها في نص الكتاب ،وقيدوا ما بقى من الروايات في الهوامش ولكنهم مع ذلك تعمدوا انتقاء المهم منها ، واستنتجوا اصطلاحات حدسية ،يخالفون به ما هو مروي في النسخ ،إلا أنهم في كل ذلك لم يكن لهم منهج معلوم ،ولا قواعد متبوعة ؛لأنهم لم يكونوا قد فكروا تفكيرا نظريا في تصحيح الكتب ،..ومازال الأمر كذلك إلى أواسط القرن التاسع عشر حين وضعوا أصولا علمية لنقد النصوص(Text critism) ونشر الكتب القديمة[3]

وقد اصطنعوا في الجامعات الأوروبية التي تعنى بالتراث الشرقي وظيفة "قارئ نصوص" إلى جانب الأساتذة والمحاضرين[4] ،ويدل هذا على أهمية هذه المادة الخام التي تعتبر الأساس المعرفي للدروس، والمحاضرات التي يلقيها المستشرقون.

وقراءة المخطوطات ليس عملا هينا بل تكتنفه الكثير من المصاعب؛ منها وجود نسخ مختلفة لنفس العنوان من حيث« نُسَخُها ومكان هذا النسخ ،وفيما تحمله من تمليكات أوسماعات أو إجازات أو معارضات .فأي النسخ أحق بالنشر ؟القديمة أم الحديثة؟ الكاملة أم الناقصة ؟الواضحة أم الغامضة؟الموثقة أم غير الموثقة؟»[5]

---

[1] - عبد المجيد دياب ،م س ،ص55-56 .

[2] - فمن الكتب القديمة: كتاب" الفهرست" ل "ابن النديم " ومن الكتب الحديثة : كتاب" تحقيق النصوص ونشرها" ل "عبد السلام هارون"،أما مقدمات الكتب المحققة فمن أفضلها مقدمة "محمود أحمد شاكر" في تحقيقه لكتاب" طبقات فحول الشعراء".

[3] - برچستراسر،أصول نقد النصوص ونشر اكتب ،إعداد وتقديم محمد حمدي البكري ،دار المريخ الرياض ،1982

[4] - محمود أحمد الطناحي، م س ص215.

[5] - م ن ،من التوطئة بقلم د.عبد الستار الحلوجي. .

وليست الإجابة على هذه الأسئلة هي أساس المعضلة ،بل تطبيقاتها الميدانية ،و هذا ما استدعى استحداث ميدان بحثي جديد هو" تحقيق النصوص" ،فمع ظهور الطباعة في العصر الحديث سيتوارى شأن النساخ شيئا فشيئا، ويبرز دور "المصححين "، ثم تأتي الطبعات التي تشرف عليها جمعيات ،ولجان ثقافية ،ودور الكتب والمجامع العلمية، وتظهر مجموعة من التسميات تأخذ تدريجيا صفة المصطلح ، ومن أبرزها كلمة "التحقيق" تضاف إلى ذلك تعبيرات أخرى مثل "بعناية"و"قرأه" و "شرحه "و"راجعه"...الخ.[1]

وتحقيق التراث العربي في العصر الحديث يستدعي ذكر دور المستشرقين في هذه العملية الضخمة ،وهو دور تباينت حوله الآراء

فمن المتطرفين في التعصب للاستشراق ".صلاح الدين المنجد " ويتضح إعجاب د.المنجد الشديد بالمستشرقين فقد أرجع لهم كل الفضل في رسم خطوات المنهج العلمي في التحقيق، وليس العرب إلا متبعين ولا ينبغي لهم أن يكونوا غير ذلك[2].

والذي تغاضى عنه هو تفاوت المستشرقين في معرفتهم باللغة العربية ،وتفاوت كفاءاتهم ،وهو أمر بيّن اعترف به المستشرقون أنفسهم ، لكنه يُسَوّي بين أعمال المستشرقين فيراها بنفس الدرجة من الجودة ، رغم أنه يقرّ بأن بعضهم لايتقن اللغة العربية، ومع ذلك يتجرّؤون على التحقيق، و لاينكر عليهم "المنجد" هذه الجرأة ،بل ويقر لهم بالفضل ،وليس للعرب إلا الاتباع .

وهذا الحكم يغلب عليه التعميم والتحيز ،،وقد يكون لعلاقات د.المنجد المتميزة بالمستشرقين وخاصة الألمان[3] تأثيراعلى حكمه ، فعبارات الإعجاب والثناء على المستشرقين تعج بها مؤلفاته خاصة كتابه"المستشرقون الألمان" ، لكن هذا لايبرر إغفال جهود المحققين العرب في العصر الحديث، والذين فاقوا المستشرقين فيما بعد أمثال: أحمد محمد شاكر محقق كتاب" الشعر والشعراء " ل "ابن قتيبة" ومحمود محمد شاكر محقق "طبقات فحول الشعراء " لابن سلام ،وعبد السلام هارون " صاحب "تحقيق النصوص ونشرها "والذي يعد أول كتاب عربي في هذا الفن ،وغيرهم.

---

[1] - محمد زكرياعناني ،وسعيدة محمد رمضان، م س ،ص167.

[2] - انظر صلاح الدين المنجد،المستشرقون الألمان ،دار الكتاب الجديد،بيروت،ط1 ،1978،التمهيد

[3] - يقول د.صلاح الدين المنجد في "المستشرقون الألمان" أتيح لي أن أكون صديقا لعدد كبير من المستشرقين الألمان منذ ثلاثين سنة ،وعرفت معظمهم شخصيا شيوخهم وشبابهم ،وزرت بعض جامعات ألمانيا وألقيت فيها محاضرات مختلفة واطلعت على كثير من دراسات المستشرقين الألمان الماضين والمعاصرين .

ومن الفريق الثاني د.عبد العظيم ديب الذي اعتمد على مقاييس علمية تقوم على الإحصاء ، والمقارنة في سبيل تقييم جهود المستشرقين في تحقيق ونشر التراث ، ،فطرح عددا من الأسئلة المنهجية مثل :كم كان حجم تراثنا ؟كم منه في أيدينا؟ وكم في أيدي المستشرقين ؟ ؟ماذا صنعنا بما في أيدينا؟وماذاصنع المستشرقون بما في أيديهم؟وكم حققنا ؟وكم حقق المستشرقون ؟[1]

هذا من الجانب الكمي أما جانب المحتوى، والذي يمثل القسم الثاني من الدراسة فإنه طرح جملة من القضايا الهامة وعلى رأسها اتجاهات النشر لدى المستشرقين ،ثم درجة الدقة والإتقان في هذه المعلومات ،بل درجة الصحة والصواب ،وماذا فيها من خلل أو زلل نتيجة للعجز عن إدراك سر العربية2[2] ،والعجز عن استكناه سر التراث واستلهام روحه الرباني الإلهي ،بل ما فيها من خلل نتيجة لأحكام مسبقة ؟

واعتمد الكاتب على مجموعتين من مجموعات المخطوطات المطبوعة ؛وهما:

-معجم المخطوطات المطبوعة (المجلدات الثلاثة الأولى) للدكتور صلاح الدين المنجد

-ذخائر التراث العربي (الجزء الأول) وهو من عمل الدكتور عبد الجبار عبد الرحمن[3]

وتوصل إلى النتائج التالية: فبالنسبة لاتجاهات المستشرقين، وجد أن كتب التصوف والفلسفة وعلم الكلام في مقدمة اهتماماتهم ،ويرتاب الكاتب كثيرا في ولوع المستشرقين بهذه المجالات [4]،تليها كتب التاريخ، والتراجم ،ولا يحظى مجال اللغة، والأدب إلّا بنسبة قليلة وبانتقائية مقصودة تكرس تصورات بعينها عن الشرق الإسلامي ،ومانشره المستشرقون من التراث منذ انطلاق طباعة النص العربي في تزايد إلى الحربين العالميتن، فقد تناقص، ليسجل انتعاشا بعد الحرب العالمية الثانية ،ومع مطلع الستينات سجل إسهام المستشرقين هبوطا ملحوظا ،وما زال مستمرا بينما تزايد إسهام العرب بوتيرة متسارعة ،حتى فاقوا المستشرقين كمًا ونوعا مع مرور الوقت [5]

---

[1] - عبد العظيم الد يب ،المستشرقون والتراث ،دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ،المنصورة .
ط 3 للكتاب ،2 للناشر.ص5.

[2] - كتب شيخ المستشرقين الروسي ،وأقدرهم على الإطلاق (كراتشوفسكي) في يناير سنة 1909م وهو في بيروت إلى شقيقته ،يقول لها :" إن اللغة العربية تزداد صعوبة ،كلما ازداد المرء دراسة لها "عن عبد العظيم ديب من المرجع السابق (هامش).

[3] - م ن ،ص9/8/7 .

[4] - م ن ،ص17.

[5] - 5-م ن ،ص14/13.

ولعل أهم كلمة لحسم هذه القضية –رغم صعوبة الحسم في كافة مسائل الاستشراق–تلك التي قالها علم من أعلام التحقيق العرب ،وهو عبد السلام هارون «ليس من الحكمة ولا الكرامة في شيئ أن تكون خطانا متأثرة بخطاهم في كل أمر من أمورنا الثقافية،وأن نستعير عقولهم في صغَارالأذلاء ،وقد منحنا الله القدرة، وحسن الفهم ،والدرس لما كتب بلغتنا، وبوحى نفوسنا العربية»[1]

ويمكن تقديم نموذج للتحقيق عند المستشرقين ،ويتمثل في تحقيق المستشرق الألماني "هلموت ريتر" للجزء الأول من الوافي بالوفيات للصفدي ؛فوضع مقدمة بالعربية بين فيها أهمية الكتاب ونُسَخَه المختلفة، والنسخة الأم التي اتكأت عليها الطبعة ،وبيان العلاقة بين "الوافي بالوفيات "و"أعيان العصر"للصفدي"

ويتبعها بترجمة موجزة للمؤلف ،استنادا إلى المصادر المعتمدة مع الإشارة إلى بعض المراجع الحديثة مثل كتاب" برو" في" تخ أ ع "ودائرة المعارف الإسلامية.

وقدم المحقق بعض اللوحات لعدد من الأصول التي رجع إليها ،وفي الهوامش أثبت اختلافات النسخ مع المقابلة بينها ،وراعى ترقيم التراجم، وضبط النصوص التي قسمها إلى فقرات ،أما السمة البارزة في مناهج التحقيق عند المستشرقين، فهي الإيجاز،وفي المقابل نجد عندهم الجَلْد على جمع الأصول وتصنيفها والمقابلة بينها[2]

ولا يعني هذا أن المستشرقين في نفس المنزلة فهم درجات بغض النظر عن الشهرة أو المنزلة التي حظوا بها عند أقوامهم التي[3]

وللاطلاع على مناهج المستشرقين في تحقيق التراث تجدر الإشارة إلى محاضرات المستشرق الألماني "برجشتراسر" التي ألقاها في الجامعة المصرية بين سنتي 1931 –1932 عن قواعد تحقيق المخطوطات، والتي طبعت سنة 1969 بعنوان "أصول نقد النصوص"و أعدها وقدمها د.محمد حمدي البكري [4]

---

[1] - محمد عبد السلام هارون ،تحقيق النصوص ونشرها ،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،ط1 ،1998ص8.

[2] - محمد زكريا عناني ،سعيدة محمد رمضان، م س ،172/171.

[3] - وأقدر الناس على إنزال المستشرقين منازلهم نظراؤهم من علماء العرب كما هو الشأن مع أحمد محمد شاكر محقق كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة وكان دي غويه قد سبقه إلى نشره فيقول: «والمستشرق دي غويه –كما يبدو لي من عمله في الكتاب –من أواسط المستشرقين ،ليس من أعليائهم أمثال ريط الذي حقق كتاب الكامل للمبرد وبيفان الذي حقق نقاءض جرير والفرزدق ،وليال الذي حقق شرح المفضليات لابن الأنباري ،ولا هو من ضعفائهم أمثال الورد ومرجليوث و لكنه بين بين ،فإنه حقق الكتاب تحقيقا لا بأس به ،ولكنه أخطأفي مواضع ليست بالقليلة،نبهت إلى الكثير منها في مواضعها وأعرضت عن بعضها» مقدمة المحقق لكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة،دار المعارف ،ص39.

[4] - يؤخذ على البكري إضافاته التي مزجها بمتن الكتاب دون أن يوضح ذلك ،ومع ذلك فقد قدم مجهودا طيبا

والكتاب الثاني أصدره اثنان من كبار مدرسة الاستشراق الفرنسي في العصر الحديث ، وهما ريجيس بلاشير، وجان سوفاجيه، بعنوان :قواعد تحقيق ترجمة النصوص العربية
Regles pour Editions et Traductions de Textes Arabes

وصدر في باريس سنة 1945م ،ويقع في نحو أربعين صفحة واتكأ في هذه القواعد على المنهج الذي وضعه "هافي" havet لجمعية "جيوم بودي" .

وكتاب فرانتز روزنتال"مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي " وهذا الكتاب وإن كان معقودا أصلا لاستنباط أصول التحقيق والبحث عند المسلمين إلا أنه يمثل وجهة نظر غربية ،وكثيرا ما نجد تعليقات مقارنة بين صنيع العلماء المسلمين والأوربيين في مجال التأليف والتحقيق والعناية بالمخطوطات[1]

1-5-طباعة التراث :

وقد تزامنت عملية التحقيق مع عملية الطبع، فنشر المستشرقون كتبا عربية في جميع صنوف العلم، والمعرفة، والدين والآداب والفنون ، فكانت المطابع الأوربية تتلقف هذا التراث بنهم «وإن المرء ليعجب من غزارة ما طبعوه من تراثنا ،وكأن هذا الاختراع العظيم إنما جاء لخدمة ذلك التراث وحده ،وإذاعته ونشره وكأنه لم يكن بين أيدي الناس في تلك الأيام من تراث الإنسانية إلا تراث العرب [2] ،وكانت أولى طبعات الكتب العربية من أجل تحقيق غايات دينية، أو تعليمية ،فكانت البداية مع القرآن الكريم لمقارعة المسلمين ومحاجاتهم انطلاقا من كتابهم المقدس.

وشيئا فشيئا بدأت اتجاهات الطباعة تسير صوب كتب أكثر أهمية في مجال اللغة والأدب، ،وإن كان ميدانا صعبا ،فلا يخفى بأن اللغة العربية وآدابها من أكثر الميادين امتلاء بالمخاطر التي توغل فيها المستشرقون إلى أبعد الحدود »[3].

وومن أبرز نتائج توغل المستشرقين في مجال اللغة و الأدب وقوع بعضهم في الخطإ [4]، وذلك لعدم تمكنهم من الإحاطة التامة، والشاملة باللغة العربية التي

---

[1] - محمد زكريا عناني ،م س ،ص173.
[2] - محمود محمد الطناحي ،م س،ص213.
[3] - عادل الألوسي،التراث العربي والمستشرقون،دار الفكر العربي ،القاهرة ،ط 1 ،2001 ،ص 78.
[4] - ومن الأمثلة على الأخطاء التي وقعوا فيها يقول محمود محمد الطناحي في المصدر السابق:
«ومن أخطائهم الشنيعة شرح كاترمير ، الأحداث بالغوغاء ،وتفسير كازانوفا ،لفظ أمي بشعبي .وترجمة كازيمير قول الله تعالى للملائكة(اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس فأبى)"البقرة الآية34 " باعبدوا آدم.وسمعنا أن بعضهم ترجم لفظ الشارع –وهو المشرع-بالشارع الذي يمشى فيه (Street) .ورأيت في فهرس كتاب محقق في التاريخ المملوكي ،كلمة "سمل" في فهرس الأعلام ،ولما رجعت إلى النص وجدته فعلا ماضيا :"سمل عينه"أي فقأها .وكأن الذي غر ذلك المستشرق ،أن في الكتاب أعلاما مملوكية كثيرة ،شاع فيها حرف السين مثل "أسندر" ،و"قراسنقر"،فظن هذا من ذاك »،ص227

تتمنع أحيانا حتّى عن الناطقين بها فضلا عن الغرباء خاصة إذا تباعد العهد كما هو الشأن في الشعر الجاهلي الذي خاض غماره عدد من المستشرقين وأصدروا أحكاما غاية في الخطورة ومن أبرز هؤلاء "ديفيد صمويل مرجليوث"في بحثه "أصول الشعر الجاهلي" The Origins Of Arabic Poetry وتجدر الإشارة إلى جهود أربري في كتاب "المعلقات السبع" الذي ردّ فيه على آراء مرجليوث في نظريته عن الشعر الجاهلي وآراء بلاشير في كتابه تاريخ الأدب العربي[1].

وحال المستشرقين يختلف بين اللغة والأدب فوفقوا أيما توفيق في حقل تحقيق كتب اللغة وعلى سبيل المثال لا الحصر "الإنصاف في مسائل الخلاف (بين النحويين و البصريين والكوفيين)" "للأنباري " و"الكتاب" "لسيبويه" وغيرها وكان لهم الفضل في إصدار أمهات كتب اللغة العربية ولم تخب همتهم في ميدان المعاجم فقد نشروا صحاح اللغة، والقاموس المحيط درة الغواص ..وغيرها كثير.

أما في حقل الأدب فقد نُشرت كتب كثيرة منها أدب الكاتب لابن قتيبة والذي اعتبره ابن خلدون –كما روى عن شيوخه –من أصول الأدب وأركانه [2] و طبع بصورة غير كاملة في صورة منتخبات متنا مع ترجمة ألمانية وتعليقات ،بعناية شبرول w.D.Sproull وقد جمع هذا المستشرق الإسباني معلوماته من شتى المصادر ،وأضاف إليها ملاحظات خاصة نشرها في ليبزيج (1877 م) ،ثم طبعة أخرى غير كاملة أخرى بعناية ماكس غرونرت مع فهارس ،ليدن (1901 م).[3]

ومن المؤلفات العربية التي لقيت اهتماما مبكرا مقامات الحريري ، وقد قام المستشرق الهولندي "جوليوس" (1596–1667م) بنشر المقامة الأولى ضمن كتاب النحو العربي ل"أربنيوس "[4]الذي أعاد طبعه سنة 1656مبينما تعد أحسن طبعة تلك التي قام بها سلفستر دي ساسي وعلى نفقته الخاصة سنة 1812م وصدرها بمقدمة باللغة العربية المسجوعة ،وانتشرت هذه الطبعة في أوربا وفي البلاد العربية على سواء[5]

ومن الكتب التي تعد من مصادر الدراسة في تاريخ الأدب العربي، و التي لقيت اهتماما بالغا من المستشرقين "الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني(ت356هـ)، وقد

---

[1] -عادل الألوسي ،م س ، ص79-80.

[2] -قال ابن خلدون في مقدمته مقالته الشهيرة "وسمعنا شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول الأدب وأركانه أربعة دواوين،وهي:أدب الكاتب لابن قتيبة ،وكتاب الكامل للمبرد ،وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ،وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي ،وما سوى هذه الأربعة فتوابع لها وأصول عنها.

[3] - عادل الألوسي ، م س ،ص81-82.

[4] - كتاب النحو العربي لأربنيوس كان المرجع الأول والوحيد في أوروبا باللاتنية إلى أن ألف "دي ساسي" كتابه عن النحو العربي

[5] - عبد الرحمن بدوي ، م س،ص205و336.

ترجم فيه لما يقرب من خمسمائة شخصية جاهليين، وإسلاميين وعباسيين ،ومن أهم الطبعات الاستشراقية للأغاني طبعة ليدن بإشراف رودلف برونو R.E Brunow وأضاف إليه التراجم والأخبار التي لم تذكر في طبعةبولاق.اعتمد على مخطوطة ميونخ (1888م)[1].

وقد لقي هذا العمل من المستشرقين الكثير من الاهتمام وأحيط برعاية مبالغ فيها ، مما جعل بعض الدارسين العرب يشككون في هذه النوايا ويقللون، من قيمة هذا الكتاب الضخم ولا يمكن الادّعاء بأن هذا الجدل كان وليد مساجلات ثنائية الأنا والآخر فقد نشأ عند القدماء- ومنهم المعاصرون لأبي الفرج- هذا الجدل، ففي حين أن الكثير منهم لايثق بكلام أبي الفرج، كقول "ابن الجوزي "(ت 597هـ) «..ومثله لا يوثق به وبروايته»[2] .

ومن جهة أخرى نجد من يكبر شأن أبي الفرج مثل "ابن خلدون "الذي قال عنه بأنه ديوان العرب كما وصفه الصاحب ابن عباد بأنه قد استغنى به عن حمل ثلاثين جملا من كتب الأدب كما جاء في تصدير كتاب الأغاني والقضية أجل من أن يتخير الباحث إلى أي فريق ينزوي ،بل هي في حاجة إلى دراسة فاحصة متأنية، مثلما تُدرك الفروق بين الأدب والرواية والتاريخ والتراجم والاجتماع تكون درايتها بتعالقات هذه الميادين الحيوية ،فتبسط آراء القدماء في هذه القضية أمثال "الخطيب البغدادي" في" تاريخ بغداد" و"ابن الجوزي" في "المنتظم" "وابن الكثير" في" البداية والنهاية ،و"عبد القادر البغدادي" في" خزانة الأدب " ،وتدرس بعناية .

و قد يفسر تحامل ابن الجوزي على صاحب الأغاني ما فرضته مناهج المحَدّثين ،التي تعتمد على التدقيق، والاستقامة، والعدالة، والضبط،، وغيرها لما للحديث الشريف من مكانة في نفوس المسلمين، وموضعه من التشريع، واستنباط الأحكام ، فاقتضت كل هذه الاعتبارات التعامل مع رجاله بذلك القدر من الضبط ،والإتقان ،غير أن أبا الفرج كان راوية في المقام الأول فاصطنع منهج رواة الأخبار ولم يأخذ نفسه بتلك الشروط .

لكن الذي يجمع عليه جمهور كبير من الدارسين المتقدمين منهم والمتأخرين على حد سواء،هو أهمية هذا الكتاب بغزارة مادته، واعتماده منهجا خالف فيه طريقة كُتّاب الطبقات التي سبقته ،لتنوع مادته ،وطريقة ترتيبها ف «إذا كانت

---

[1] - عادل الألوسي ، م س ،ص82

[2] - ابن الجوزي ، المنتظم 85/4 ،عن وليد محمد الخا لص،النقد الأدبي في كتاب الأغاني ،ج1 ،دار أسامة للنشر والطباعة ،ط1 ،2000 ،ص14 .

الألحان هي النواة التي تناسل منها كتاب الأغاني، فغنى الخبر هو الذي فرّع الكتاب وأغناه»[1] فقد بُني الكتاب على ثلاثة أسس :اللّحن، والشعر، والخبر، ويعدّ البعض هذا الأخير مصدرا من مصادر الكتابة التخييلية العربية وسردها [2]

ويفسرهذا التنوع والغزارة تعدد القراءات لكتاب الأغاني وتجددها كفعل " وليد محمد خالص" في كتابه" النقد الأدبي في كتاب الأغاني" ،و"شفيق الجبري" في" دراسة الأغاني" وغيرهما .

فكتاب قضى فيه صاحبه خمسين سنة لجمع مادته وتأليفه، في صفحات قدرها صاحب الفهرست بخمسة آلاف ،وفي أربعة وعشرين جزء بعد تحقيقه ،ويغطي الحياة العربية من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي، ويضم عددا كبيرا من أصحاب الأشعار، والأخبار، والألحان ،سيكون لا محالة عرضة للخطإ والنسيان ،لكنه أيضا مدعاة لزيادة النظر والاهتمام ،وتظافر الجهود للمقابلة بين القراءات المختلفة ،لإثراء الدرس النقدي من جهة ،واستقراء التراث لتبين جوانب لم تكشف عنها الدراسات السابقة منجهة أخرى.

2- عناية المستشرقين بتاريخ الأدب العربي:

قد لا يكون تاريخ الأدب عنوانا بسيطا،بل هو العنوان والمحتوى في نفس الآن، و واضح أن "تاريخ الأدب " مصطلح مركب ،وطبيعة تركيبته اللغوية، والاصطلاحية والمنهجية ،وما تعكسه من تعالق في مفهومه،كل هذا يدعو لتبسيطه إلى عناصر أولية والتطرق إلى مستوياتها المفهومية.

2-1-التاريخ:

المشتغلون بحقل التاريخ لايخفون ما يجدونه من صعوبة في الوقوف على تعريفه إذ«ليس من اليسير تعريف التاريخ لغة ،واصطلاحا ، فلغة تاريخ كل شيء هو غايته، ووقته الذي ينتهي إليه زمنه ،ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة [3]وقيل عن معناه التأخير ،وقيل إنه اثبات الشيء .

وهو فن يبحث عن وقائع الزمان من ناحية التعيين، والتوقيت ،وموضوعه :الإنسان ،والزمان ،ومسائله :أحواله المفصّلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة للإنسان، وفي الزمان[4].

---

[1] - أحمد بو حسن ،العرب وتاريخ الأدب ،نموذج"كتاب الأغاني "،دار توبقال للنشر ،المغرب،ط1 ،2003 ،ص 89.

[2] - م ن ،ص90.

[3] - الصولي،أدب الكتاب،القاهرة 1341هـ،ص7.عن فريد بن سليمان ،مدخل إلى دراسة التاريخ مركز النشر الجامعي ،تونس ، 2000 م.ص9.

[4] - السخاوي ،الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ،دمشق ،1349هـ، ص7.عن المرجع السابق ص9

ثم تطور مدلول الكلمة بعد ذلك، ليصبح بمعنى الكتب التاريخية التي عنيت في أول الأمر بتراجم الملوك، والعظماء ،و"ذكر وقائع الزمان "على حدّ قول الكافيجي (ت879هـ/1474م) في" المختصر في علم التاريخ " ،فكتب السيرة النبوية ،والمغازي ،والأنساب عند العرب من كتب التاريخ ،لتشمل بعد ذلك كتب الحوليات مثل "تاريخ الطبري" وغيره .

يختلف لفظ تاريخ عند العرب عن اللفظ الإغريقي Historia الذي يعني في أصله تقصي الخبر . ومعظم الباحثين يعتبرون التاريخ بحث، واستقصاء حوادث الماضي، أي كل ما يتعلق بالإنسان ،منذ بدأ يترك آثاره على الأرض . فهو تلك العلاقة الجدلية بين الإنسان والزمن، .فلا غنى عن معرفة الإطار الزمني أو الكرونولوجي (Chronologique) للحدث ،و المؤلف من مجموعة أحداث مترابطة فيما بينها .[1]

وقد أرجع المستشرق "جب"في دائرة المعارف الاسلامية أصل كلمة تأريخ للأصل السامي لكلمة "ورخ"، وتقابلها في العبرية كلمة "ياريح" معناها القمر، و"يرح" التي معناها الشهر ،وعلى هذا القياس يكون معنى كلمة تاريخ هو التوقيت، أي تحديد الشهر،ثم اتسع نطاق هذا اللفظ، فشمل من جهة تحديدَ عهدِ حادثٍ ما ،أي رواية هذا الحادث ،ومن جهة أخرى بمعنى تحديد الوقت، أو العصر، أو التاريخ المدون بحسب السنين[2].

وللمستشرقين كلف عجيب في رد الكلمات العربية إلى أصول لغات أخرى خاصة ما تعلق منها بالعلوم ، فهم يوشكون على إفراغ اللغة العربية من كل لفظ، أو تعبير يمكنه أن يكون دليلا على وجود تفكير ابتكاري متأصل في الذهنية العربية.

واعتنى القدماء بالتاريخ ؛لأنه مادة تسجل ما كان من الأمم ،والشعوب الماضية ،وفي عصر النهضة أدى اهتمام التاريخ بمعارف الإنسان، وأوجه نشاطه إلى تفريع التاريخ إلى تواريخ تعنى بأنواع العلوم ،والمعارف، فهو وليد ذلك الوعي التاريخي الذي طغى فيما بعد على جميع صنوف المعرفة الإنسانية ،وقد كان أول من ميز الأدب ،والفنون بالتاريخ هو "فرنسيس باكون "مؤسس الفلسفة الحديثة (ت 1626م) فإنه جعل أقسام التاريخ ثلاثة :التاريخ الديني ،وتاريخ الاجتماع ،وتاريخ الأدب والفنون[3].

---

[1] - فريد بن سليمان ،مدخل إلى دراسة التاريخ ،سلسلة م/علوم إنسانية ، مركز النشر الجامعي تونس ،2000م.ص9-10 .

[2] - هملتون جب ،علم التاريخ ،كتب دائرة المعارف الاسلامية ،تر ابراهيم خورشيد ،عبد الحميد يونس 'حسن عثمان ،دار الكتب اللبناني ،بيروت ،ط1 ،1981 ،ص26.

[3] - مصطفى صادق الرافعي،تاريخ آداب العرب ، مكتبة الإيمان مصر،دط ،دت ،ص13هامش .

لقد كرس القرن التاسع عشر فكرة الوعي بتاريخية المعرفة البشرية المرتبطة بفكرتي الغائية والمعقولية ،و دأب المؤرخون على تقسيم الزمن التاريخي إلى حقب أو عصور ،ويختلف التحقيب من دارس لآخر.

2-2-الأدب:

لم يستقر الأدب على التعريف الذي هو قائم الآن إلا بعد زمن طويل، وذلك ليس قاصرا على أمة دون أخرى ، على الرغم من شيوع الكلمة وعراقتها في الكيان الإنساني الضارب في أعماق التاريخ ، فقد عرفت الكلمة تطورا دلاليا عبر الزمن، ومن ثم سيكون من الضروري عرض أهم التعريفات، و التطورات الدلالية التي عرفتها لفظة "أدب" في الغرب و عند العرب اجتاز مصطلح الأدب عدة مراحل ليصل إلى المدلول المتعارف عليه الآن ،«وكلمة أدب (Litterature) من الكلمة اللاتنية (Littera)أي "الحرف " »[1]

وكانت الكلمة في مراحلها المبكرة تدل على القراءة والكتابة ، وفي القرن الثاني بعد الميلاد أصبح المصطلح يستعمل كدليل على خصوصية الكتابة ،فنجد Litteratura تسمية للأدب الدنيوي تمييزا له عن Scriptura الأدب الوثني بالأدب المسيحي.

غيرأن المصطلح الأشد قوة كان Littera وذلك في روما ،فقد كان في التراث القديم يعني دراسة الآداب اليونانية، فعمليا دراسة الآداب تعني دراسة الكتاب الإغريقي أي أدب هومر ،وفي العصور الوسطى كانت كلمة Literatus أو Literator تعني أي شخص يعرف فن القراءة، والكتابة ،فيكاد الأدب كمصطلح يختفي مع أن الشعر كان قد حاز الاعتراف به كفن يخضع للقواعد والبلاغة[2].

ومع عصر النهضة تظهر مصطلحات مثل Litterae Humains و Letters Humains و Bounes Lettres ،أو المصطلح كما ظهر عند درايدن "الآداب الطيبة "(1692م)، الذي انتشر في أوساط الكتاب الفرنسيين، منذ القرن السادس عشر ،وفي القرن السابع عشر ظهرمصطلح Belles Lettres الذي كان يتضمن القواعد والفصاحة ،وقد انتشر المصطلح الفرنسي سريعا في انكلترا ،فاستخدمه "توماس ريمو" عام 1692 وأصبح "هوغ بلير" أستاذ البلاغة والآداب الجميلة Belle Lettres في جامعة أونبرغ عام 1762 ليعود المصطلح إلى الظهور بمعنى معرفة الأدب أي معرفة الثقافة الأدبية .فيطلق "فولتير" على "شابلن" :رجل الأدب الواسع .ويحدد "الأدب" في مقالة كتبها للمعجم بأنه كخليط من التاريخ والشعروالفصاحة ،والنقد

---

[1] - عماد حاتم ،مدخل إلى تاريخ الآداب الأوروبية ،الدار العربية للكتاب ،ط2 ،1984 ،ص12 .

[2] - رينيه ويليك ،الهجوم على الأدب ، تر حنا عبود ،الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ،دمشق ،ط1 ،2000،ص25-26.

أما "مار مونتيل" نصير فولتير فيحدد الأدب بأنه «معرفة الآداب الجميلة »ويعارضه بالاطلاع الواسع ، ويقول « بالفطنة والموهبة والذوق يمكن أن ينتج مؤلفات عبقرية من دون أي اطلاع وبقليل من الأدب»[1]

ومع حلول القرن الثامن عشر ،فالتاسع عشر أخذ مصطلح أدب يحل شيئا فشيئا محل مصطلح "الشعر"الذي ظل مستعملا منذ عهد أرسطو، فمن المعروف أن قدماء النقاد كانوا قد قسموا الآثار اللغوية إلى: "شعر"وكانوا يقصدون به الآثار الفنية ،من شعر و نثر ، وقصدوا به الآثار اللافنية ،ولم يستثن أرسطو من ذلك إلا محاورات سقراط[2].

ومع اكتساب الكتابة النثرية للصفة الفنية صار المصطلح متسعا للمجموع العام للكتابة ،فيتحدث فولتير في كتابه "عصر لويس الرابع عشر "عام 1750،عن الأنواع الأدبية التي ترعرعت في إيطاليا ، وفي هذه المرحلة تبدأ كتب تاريخ الأدب في الظهور،إذ ينشر"والاباتي ساباتير دي كاستري" كتابه "عصور الأدب الفرنسي "عام 1772،وهو العام الذي بدأفيه "جيرولا موتيرابوسي" كتابه الضخم "تاريخ الأدب الإيطالي "وفي ألمانيا توطد نهائيا الاستخدام الجديد ،حتى أن كتاب "ليمنغ" "موجز الأدب الجديد "(1759) يستخدم بوضوح مجموع الكتابة،وكذلك "هردر" "تاريخ الأدب الألماني الحديث"(1767) [3]

ولم يكن "الأدب" في هذه المرحلة إلا عنوانا للكثير من الكتابات المختلفة، فقد كان استخدامه شموليا ،.يُقصد به كل أنواع الكتابة، بما فيها من تاريخ، وثيولوجيا وفلسفة ،بل حتى العلم .وببطء شديد جدا ضاق المفهوم إلى ما نطلق عليه "الأدب التخيلي ": الذي يضم الشعر والرواية والمسرحية على وجه الخصوص .ولهذه عملية ارتباط صميم بظهور علم الجمال[4].

وبهذا يكون مصطلح "أدب" قد قطع ثلاث مراحل قبل أن يستقر على معناه الحالي ؛أولا معرفة القراءة والكتابة مع الاحساس الجيد والذاكرة والتأمل والحذاقة ،أو ما يشبه الثقافة الأدبية ،أما المرحلة الثانية، فقد اعتبر المصطلح جامعا للكثير من مجالات المعرفة،أما المرحلة الثالثة فيتجه مصطلح" أدب" أكثر إلى الكتابات التخييلية ،والإبداعية، ليشمل أجناس الأدب المعروفة كالشعر بأغراضه،والقصة،والمسرحية .. الخ

---

[1] - رينيه ويليك ،م س،ص27

[2] - عماد حاتم ، م س ،ص13

[3] - رينيه ويليك ، م س ،ص 28.

[4] - م ن ،ص29.

أما عند العرب فلم تكن –بدورها– دلالة مصطلح "أدب" مستقرة، فمن العصر الجاهلي إلى الآن، طرأت تغبرات دلالية كثيرة عليه، وفي حين يميل المستشرقون إلى أنه لم يكن معروفا عند العرب، نجد أن الدارسين العرب يسوقون شواهد تبين تداولا مبكرا لهذه الكلمة .

لقد وقع المستشرقون في مأزق منهجي عندما استُقدموا لتدريس الأدب العربي في الجامعات العربية ، فكانوا ملزمين بادئ ذي بدء بالوقوف عند المصطلحات الرئيسة لحقل تدريسهم ،وفي مقدمتها مصطلح "أدب" ،على غرار الجامعات الغربية التي تطبق المناهج الحديثة .

وهذا ما حدا بالمستشرق الإيطالي "نالينو" إلى وضع فرضية في اشتقاق هذه الكلمة ،فيرى أنها مشتقة من "الدأب"بمعنى العادة ،ويرى أن هذه الكلمة لم تشتق من المفرد ،وإنما اشتقت من الجمع فجمعت "دأب" على "أدآب"، ثم قلبت فقيل "آداب" ،كما جمعت(بئر) و(رئم) على (أبآر)و(أرآم)، ثم قلبت فقيل آبار، وآرام .وكثر استعمال (الآداب) جمعا" للدأب" ،حتى نسي العرب أصل هذا الجمع ،وما كان فيه من قلب، فأخذوا منه مفرده" أدبا "لا دأب ،وجرى استعمال هذه الكلمة بمعنى العادة ،ثم انتقل من هذا المعنى الطبيعي القديم إلى معانيه الأخرى المختلفة [1].

ويعترض "طه حسين" على هذا الفرض ،وينفي وجود النصوص والقرائن العلمية الواضحة التي تدعمه ،ويرى بأن لفظ أدب قد اشتق من" الأدْب" بتسكين الدال، أي الدعوة إلى الولائم ،وينكرطه حسين صحة أي نص جاهلي ورد فيه لفظ أدَب ،ويُضَعّف الحديث الشريف «أدبني ربي فأحسن تأديبي»فيقول «وكل مانعرفه هو أن هذه المادة قد وردت في حديث مهما يكن رأي المحدثين فيه فليس هو بالحجة القاطعة على أن النبي قد استعمل هذه المادة »[2] ،ومبدأ الشك عند طه حسين الذي انتهجه يجعله لا يطمئن إلى أي نص جاهلي ،مما يؤدي به إلى الجزم بألا أثر لكلمة أدب عند الجاهليين.

ويورد في هذا السياق من حماسة أبي تمّام بيتا جاهليا لامرأة من" بني هزان" يقال لها" أم ثواب" في ابن لها عقها[3] :

أنشا يمزق أثوابي يؤدبني أبعد شيبي يبغي عندي الأدبا

---

[1] - طه حسين ،في الأدب الجاهلي،مطبعة فاروق ،ط3 ،1952 ،ص18.

[2] - م ن ،ص19.

[3] - أبوتمام حبيب بن أوس الطائي ،ديوان الحماسة برواية الجواليقي ،تحقيق د عبد العظيم أحمد صالح ،دار الرشيد مطبوعات وزارة الثقافة لعراقية ،140ه/1980م ص213 ،عن كتاب عدنان عبيد العلي ،الأدب بين الدلالة والتاريخ ،منشورات جامعة آل البيت ،1421هـ-2000م،ص13

وفي سبيل إضعافه ذكر للبيت رواية أخرى فضلا عن الرواية السابقة :

أنشأ يمزق أثوابي ويضربني أبعد شيبي يبغي عندي الأدبا

واتخذ طه حسين هذا الاختلاف دليلا على نفي(جاهليته!) مشيرا إلى رأيه المعروف في الشعر القديم مضيفا :إن هذه الكلمة ليست في اللغات السامية المعروفة ،وإنها كلمة عربية خالصة للعرب دون غيرهم من الشعوب السامية ،. لهذا يفترض بأن هذه الكلمة لم تنتقل إلى اللغة العربية الرسمية- وهي لغة قريش- إلا في العصر الأموي [1]

والأرجح أن كلمة "أدب" وردت في الشعر و النثر المأثورين عن العصر الجاهلي لكنها كانت نادرةالاستعمال ، ،وهي مع هذه الندرة فيما وصل لم تكن تستعمل بالمفهوم الذي نعرفه اليوم ،ثم مرت بأطوار شأنها شأن الكثير من كلمات اللغة

فكلمة "أدَب" بفتح الدال تستدرجنا إلى كلمة أخرى قريبة منها صوتيا هي كلمة "أدْب" بتسكين الدال ،ويبدو أن الشواهد الشعرية التي تبين استعمال "أدْب ومأدبة ،وآدب "هي أكثر من تلك التي تشهد على "أدَب"

ومن أقدم الاستعمالات ما روي على لسان طرفة [2]
نحن في المشتاة ندعو الجَفَلى ولاترى الآدِب فينا يَنْتَقِرُ

والآدب من الأدْب و هو الداعي إلى الطعام .

ونعثر على استخدام جاهلي للفظة"أدب " في معناه الأخلاقي في حكمة لأكثم بن صيفي يقول فيها«الرجل بلاأدب شخص بغير آلة وجسد بلا روح»[3]

كما روي عن الأعشى قوله:[4]
جروا على أدب مني بلا نزق ولا إذا شمرت حرب بأغمار

---

[1] - طه حسين ،م س ،ص21.
[2] - طرفة بن العبد ،ديوان طرفة ،اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي ،دار المعرفة بيروت ،لبنان، ط 1 ،1424هـ -2003م ، ،ص51.
[3] - عدنان عبيد العلي ،الأدب بين الدلالة والتاريخ ،منشورات آل البيت،الأردن ،دط ،2000،ص12.
[4] - محمد عبد المنعم خفاجي ،الحياة الأدبية في العصر الجاهلي ،دار الجيل ،بيروت لبنان ،ط1 ،1992 ،ص5

وفي النثر يُستشهد بقول لعتبة بن ربيعة موجّه لابنته هند وفيه ثناء على أبي سفيان الذي سيتخذها زوجا :«يؤدب أهله ولا يؤدبونه »؛وقالت :«سآخذه بأدب البعل »[1]

فسياق الكلام يدل على أنّ أبا سفيان سيّد بين أهله فيحملهم على طيّب الفعال ،وردت بأنّها ستعامله بما يستوجبه مقام الزوج من الإكبار والاحترام ،فتتوضح الدلالة الخلقية.

ويعتقد عدد من الدارسين بوحدة الأصل للكلمتين،على الرغم رغم من أن المعنى الحسّي لكلمة "أدب" كان أظهر ، فحاولوا إيجاد روابط بينهما وبالتالي الوصول إلى تبريرات لهذا الطرح ويمثل هذا الاتجاه"الرافعي" الذي يذهب إلى أن المعنى الحسي لكلمة أدب (دون أن يبرز حركة الدال)كان أسبق أدَب َالقومَ يَأدِبُهم إذا دعاهم إلى طعام يتخذه، وحياة الصحراء قاسية ،تأكل فيها الشمس حتى ظلها ،وتشرب نسيمها وظلها ،ونفاذ الزاد نفوق لصاحبه ، ، ولذلك تمدح الشعراء القرى واعتبروه من أعظم مفاخرهم[2].

والملاحظ بين" نالينو" و"الرافعي" أن الأول عالج تطور الكلمة على مستويين ؛ الدلالي ، والصوتي، رغم أن الجانب الثاني من طرحه يقوم على الفرض ولايستند إلى شواهد كما قال" طه حسين" ،ومع ذلك ففي غياب الحقائق المؤكدة ليس بيد الدارسين إلا أن يضعوا الفرضيات .

أما "الرافعي" فقد ركز على التطور الدلالي الذي قدم فيه وجهة نظرطيّبة تنبئ بمعرفة عميقة لنفسية العربي، والبيئة الاجتماعية العربية كمن يعرف ذاته، فالمظهر الحسي للأدْب لم يكن مجرد بسط للموائد، والدعوة إليها، بل كان نوعا من التضامن الاجتماعي- كما نسميه الآن – من الموسرين لتوطيد العلاقات الاجتماعية ،وحمل العائل ،وإكرام الضيف ،فملأ هذا الكرم أفئدة العرب فخرا وإعجابا وفاضت به ألسنة الشعراء مدحا وثناء.

لكن تفسير الرافعي كان قاصرا على الجانب الدلالي دون الجانب الصوتي ،فما الذي حدث ل"أدْب"(بتسكين الدال) التي تعني الدعوة إلى الطعام لتصبح "أدَب "(بفتح الدال) بحمولتها المعنوية والأخلاقية؟

«وأخذ كلمة "أدَب" من الأدْب بالسكون رأي تعوزه الحجة ،فضلا عن أن الكلمة لم تنقل بنصها وسكون دالها، والمعهود استعمال الكلمة عند نقلها من معنى إلى معنى

---

[1] - الأمالي 2 /104،عن خفاجي ،م س ،ص 5.
[2] - مصطفى صادق الرافعي ،م س ، ص23.

بهيئتها ،وشكلها»[1] فنصبح أمام فجوة تاريخية ،ولعلها ليست الوحيدة في ما يتعلق بقضايا اللغة والأدب في الحقبة الجاهلية ،وقد مال المستشرقون في غالب الأحيان إلى ملء هذه الفجوات مُتّشحين برداء الموضوعية حينا، متجردين منه أحيانا أخرى .

هذا في العصر الجاهلي ، أما في صدر الإسلام ،فقد صارت الكلمة تتردد ويدور معناها ، حول الخلق الكريم، وفي هذا السياق يقول الجواليقي (ت540هـ)في شرح أدب الكاتب :«والأدب الذي كانت العرب تعرفه هو ما يحسن من الأخلاق وفعل المكارم» [2]

كما يؤخذ بحديث النبي صلى الله عليه وسلم في رده على سؤال علي كرم الله وجهه، كشاهد على أن التأديب هنا يعني التعليم ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يخاطب وفود العرب على اختلاف لهجاتهم فقال له علي « يا رسول الله نحن بنو أب واحد، ونراك تكلم الوفود بمالا يُفهم أكثره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدبني ربي فأحسن تأديبي »[3]

وما إن حل العصر الأموي حتى صارت الكلمة واسعة الانتشار، ويستعمل معاوية الأد ب ، والتأديب بمعناها التعليمي والتهذيبي فيقول«يجب على الرجل تأديب ولده، والشعر أعلى مراتب الأدب » [4].

وبذلك وُجدت طبقة المؤدبين، وهم المعلمون الذين يتولون تأديب الناشئة من أبناء الخاصة ،كالخلفاء، والأمراء ،والوزراء، والولاة ،وكانت رواية الشعر ،والأخبار من أولويات التأديب ،فالمؤدبون هم الذين اختصوا بتعليم أولاد الخاصة، أو أولاد الملوك المرشحين للخلافة، وأخذهم بفنون الآداب كالخبر، والشعر ،والعربية ،وكانو يطلقون عليها "علوم المؤدبين" [5]

ثم استفاضت كلمة أدب ومشتقاتها، لتشمل كل مايسعى العاقل لإدراكه من علم ،وثقافة ،ورواية شعر، وخطب ،ويظهر ذلك في رسالتي ابن المقفع "الأدب الصغير " و "الأدب الكبير " ،وفي الأدب الصغير «جل الأدب بالمنطق ،وكل المنطق بالتعليم ، وليس حرف من حروف معجمه ،ولا اسم من أنواع أسمائه ،إلا هو مروي متعلم مأخوذ من إمام سابق من كلام أو كتاب»[6]

---

[1] - محمد عبد المنعم خفاجي ، م س ،ص14.
[2] - الجواليقي شرح أدب الكاتب (3)13 عن المرجع السابق ، ص6.
[3] - ابراهيم عوضين ،الأدب العربي بين البادية والحضر ،مطبعة السعادة مصر ،1983 ،ص 6.
[4] - الحسن ابن رشيق ، العمدة ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة الجيل بيروت ،ط1981،5،ج1 ص
[5] - مصطفى صادق الرافعي ، م س ،ص29 .
[6] - محمد عبد المنعم خفاجي ، م س ،ص9 .

ومع حلول القرن الثاني تستوقفنا عبارة أطلقها الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت175هـ) وهي "حرفة الأدب آفة الأدباء " ؛لأنهم كانو يتكسبون بالتعليم ولا يؤدبون إلا ابتغاء المنالة [1] فاختصاص المؤدّبين بأبناء الخلفاء ،والموسرين ضمن لهم موارد مالية كبيرة ،جعلت التهافت على هذه المهنة كبير ،والتي ينبغي لصاحبها أن يجهّز عدّته من الحفظ والرواية وحضور البديهة ،حتى يكون على مستوى تأديب أبناء الخلفاء ،والأمراء ،فنشأت طبقة من العلماء تمارس حرفة التأديب .[2]

وفي العصر العباسي ازدهرت علوم النحو، والصرف، والعروض، واللغة، والبلاغة ،فكانت كلمة أدب شاملة لكل هذه الدراسات ،وصار يطلق لفظ الأدباء على الكتاب، والشعراء لتكسبهم وفي ذلك يقول الجواليقي في شرح أدب الكاتب « يسموا العالم بالنحو ،والشعر، وعلوم العرب "أديبا" ويسموا هذه العلوم الأدب ،وذلك كلام مولد ،لأن هذه العلوم حدثت في الإسلام » [3]

ولايعني هذا الكلام أن لفظ "الأدب" مولد، وإنما تسمية هذه العلوم هو المولد ،ولايعني المولد- دائما- أنه وارد من ثقافات، ولغات أخرى، فأحيانا تكون اللفظة محصورة في إحدى لغات القبائل العربية ،وبفعل الحركة الثقافية ،والفكرية النشيطة في العصر العباسي تنتقل من استعمالها المحلي إلى الاستعمال الفصيح، فيُعتقد بأنها ليست لفظة أصيلة في اللغة العربية، بل وكثيرا ما يطلق المولد على كل جديد – وإن كان ابتكارا عربيا أصيلا – خاصة من جانب المتأخرين كالجواليقي المتوفي سنة540هـ .

وبعدما قويت حركة التأليف استقلت هذه العلوم بنفسها، وانعزلت عن الأدب ،وأصبحت منذ منتصف القرن الرابع كلمة أدب تدل على الكلام الجيد من المنظوم والمنثور[4]، فشملت الشعر، والنثر، والنقد ،وكذلك الغناء،وكان ذلك في القرن الثالث الثالث ؛لأنه بلغ الغاية من إحكامه، وجردت فيه الكتب، وأفردت له الدواوين من مختارات الشعر، واعتبروا معرفة النغم ،وعلل الأغاني من أرقى فنون الآداب، إذ وضع عبيد الله بن طاهر أحد ندماء المعتضد بالله (ت289هـ)

---

[1] - الرافعي ،م س ،ص26 .

[2] - فمن المؤدبين أبو معبد الجهني وعامر الشعبي ،كانا يعلمان أولاد عبد الملك بن مروان ،واختص يزيد بن مساحق بتأديب الوليد بن عبد الملك ،وصالح بن كيسان بأبناء عمر بن عبد العزيز ، وكان المفضل الضبي يؤدب الواثق ، وختم تاريخ المؤدبين بثعلب والمبرد الذين تخرجا على على يديهما عبد الله بن المعتز ،خاصة بعد أن فشت العجمة .عن الرافعي ،تاريخ الآداب العربية ،ص29-30.

[3] - محمد عبد المنعم الخفاجي ، م س ،ص10/9

[4] - م ن ،ص10.

كتابه "الآداب الرفيعة " ،وقال ابن خلدون«وكان الغناء في الصدر الأول من أجزاء هذا الفن –الأدب– لما هو تابع للشعر وفنونه»[1]

ومع منتصف القرن الرابع صار لفظ الأدباء لا يطلق إلا على الشعراء، والكتاب ،فانفردوا به ،وزال عن العلماء جملة ،لاستقلال العلوم يومئذ، وضعف الرواية ،ونضوب مادتها ،وألفت في الأدب بهذا المعنى كتب مشهورة، كالبيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت255هـ) ،والكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (م285هـ) ،وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي (م328هـ)، والأمالي لأبي علي القالي (م356 هـ) ،وكذلك كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (م356هـ)، وسواها من أصول كتب الأدب، ومصادره الأولى[2]

وفي القرون المتأخرة ساد المفهوم الشمولي للأدب ،فنجد ابن خلدون يقول في حد الأدب:..ثم إنهم إذا أرادوا حدّ هذا الفن قالوا :الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف »...الرافعي[3]، وبقيت الكلمة تتراوح بين هذا المفهوم ،والدلالة على مأثور الكلام لتتقارب المفاهيم بين الأمم أكثر في العصر الحديث .

و منذ القرن التاسع عشر صارت الكلمة تدل على معنيين : معنى عام يقابل معنى كلمة Littèrature الفرنسية ،و يطلقها الفرنسيون على كل ما يكتب في اللغة مهما يكن موضوعه وأسلوبه ؛ علما ،أم فلسفة، أم أدبا خالصا ،فكل ما ينتجه العقل ،والشعور يسمى أدبا .ومعنى خاص هو الأدب الخالص الذي لايراد به التعبير عن معنى من المعاني فحسب ،بل يرادبه أيضا أن يكون جميلا، فيؤثر في عواطف القارئ ،والسامع كما هو الحال في الشعر ،والنثرالفني من خطابة وأمثال، وقصص، ومسرحيات ،ومقامات [4].

وقد عرّف الأوربيون الأدب بأنه كل ما يثير فينا بفضل خصائص صياغته إحساسات جمالية، وانفعالات عاطفية أو هما معا ،ويختلف هذا التعريف عن التعاريف العربية التي في مجملها تدور في نطاق التعريف الذي أرساه ابن خلدون ،والذي سلف ذكره بأن يكون الأدب إلماما بالشعر و النثر والأخبار ..وعموما هو الأخذ من كل شيء بطرف[5].

---

[1] - ابن خلدون ،المقدمة ،المطبعة الأزهرية ،1930،ص489،عن المرجع السابق ،ص10.

[2] - م ن ،ص ن..

[3] - ابن خلدون ،م ن ،ص488 .'

[4] - شوقي ضيف ،الأدب الجاهلي ، دار المعارف ،القاهرة ،ط 24 .ص10.

[5] - محمد مندور، الأدب ومذاهبه ،نهضة مصر للطباعة،د ت ،1996 ،ص4.

وخصائص الصياغة تعني الالتزام بالشكل الفني، فالذي يكتب قصة مثلا عليه أن يحترم الخصائص الفنية للقصة من سرد ،ووصف، وحوار ، وحبكة فنية ..فالذي يقرأها لايلتبس عليه الأمر في تحديد جنسها الأدبي مع صياغة لغوية متميزة، إذ الكتابة الأدبية مختلفة عن الكلام العادي ،والصيغة اللغوية الراقية محدد أساس للأدب.

أما الإحساسات الجمالية فيقصد بها تلك القيم التي تجعل الأدب من ضمن الفنون الجميلة على جميع المستويات المعنوية، واللغوية، والإيحائية، والتصويرية، والصوتية ،ووصول هذا الآداء إلى المتلقي، وتجاوبه مع قيمه الجمالية .

و الانفعالات العاطفية هي الأحاسيس الفياضة ،التي ملأت على الأديب قلبه،وكيانه وتدفقت على منطقه، فخطها قلمه ،وحرارة العاطفة لايخطئها القارئ الحصيف، فما إن يأتي على العمل الأدبي حتى تتسرب تلك العواطف إلى مكامن نفسه ، لتستقر في أعماقه .

وهذه الخصائص هي التي تميز الأدب عن غيره من أنواع الكتابة، وإذا فقدها الأدب انقلب إلى حقائق علمية تخرجه عن كونه أدبا «وحتى عندما يكون العمل الأدبي قائما على الفكر ،يجب أن يتضمن الحرارة القادرة على أن تحرك وجدان الإنسان » [1]

وهذه الازدواجية بين الفكر، والشعور في الأدب هي التي جعلت تحديده بتعريف من أصعب المهمات ، وفي ذات الوقت منحت الجيد منه أسباب البقاء«لذا فإن حقائق الأدب النفسية أكثر ثبوتا وخلودا في الحياة الإنسانية من حقائق العلوم الصرفة»[2]

وقد يأتي زمن يطوى فيه ما كان معارف علمية في زمن سابق له بعد أن يثبت خطؤها،لكن يبقى أدب هوميروس ،وامرئ القيس والمتنبي وشكسبير يمتع الناس في كل زمان ،كما يتمتع القارئ بنقد التأثريين ،ومصنفات تاريخ الأدب ،والجامع هو النفاذ إلى عقل، ووجدان، ومكامن الإحساس بالجمال وتذوقه عند القارئ .

ومقومات الأدب وبشكل خاص الشعر لاتكتمل دون موسيقى ،التي تعد ركيزة أساسية بدونها يكون النص ناقصا ،وتصبح موسيقى الشعر معضلة حقيقية إذا تعذر إيصالها إلى القارئ ،والحالة هذه تنطبق على معظم المستشرقين الذين كتبوا تاريخ الأدب العربي بلغات أجنبية ،فجمعوا ،وحققوا ، وصنفوا ،وشرحوا ،ووصلوا إلى

---

[1] - محمد مندور ،الأدب ومذاهبه، ،ص 4.

[2] شوقي ضيف ،النقد الأدبي ،دار المعارف ،ط3 ،1963 ،ص70.

أحكام لايتحولون عنها ،ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فكثيرا ما اعتمدت هذه الأحكام في دراسات علمية في ا المعاهد والجامعات العربية

وغالبا ما يصب الفهم العام للأدب في وعاء دراسات تاريخ الأدب ،والتي تتطلب سعة في الخيال، ودقة في الشعور، وإلماما مستفيضا بالعلوم الأخرى، وتاريخها كالكتابات الفلسفية ،والاجتماعية ،والتاريخية، وكل كتابة صاغها صاحبها صياغة فنية جمالية من شأنها إثارة العقل، و الخيال، و الوجدان«كمحاورات أفلاطون و كتابات شوبنهاور و بيرجمسون ففيهما من نصاعة الأسلوب و إشراق العبارة و براعة الملاحظة و حسن التقسيم ما يرغم المتأمل على إلحاقها بكتب الأدب»الادب والدلالة[1]

ويستقر الأدب على هذا المفهوم في العصر الحديث ، ليكون المتغير في الأدب العربي على المستوى الإبداعي هو دخول أجناس أدبية جديدة لم تكن معروفة عند العرب القدماء بخصائصها الفنية الحديثة كالقصة والمسرحية والملحمة ،تأثرا بالآداب الأجنبية الوافدة ،واختفاء أجناس أخرى ،وعلى رأسها المقامة التي أزيحت بعد تقويض أسس الكتابة البديعية ،بتخليص النثر من الصنعة اللفظية ،كما سحب الدور من الشعر التعليمي لأن أساليب التلقين، والحفظ لم يعد معمول بها، وزالت طرق التعليم القديمة، لتحل مكانها طرق أخرى ،تعطي النقاش وإبداء الرأي ،وبروز شخصية المتعلم دورا أكبر .أما أغراض الشعر القديمة وإن بقي بعضها محافظا على وجوده فقد زاحمته ،أغراض وأشكال جديدة امتدت حتى إلى موسيقى الشعر،فبدى للحظة من اللحظات أنها عصفت بها في لحظة لم تجهز عليها وتعايشا جنبا إلى جنب .

أما على المستوى النقدي فنجد الأدب قد تعددت مباحثه ،واتسع نطاقه مستفيدا مما وصلت إليه العلوم الحديثة من نظرات، واكتشافات في علم النفس، والبايلوجيا، والفيزياء بتأثير النهضة العلمية الشاملة، ولم تكن المباحث الأدبية ،والنقدية العربية إلا محاكاة ،أو نقلا، أو ترجمة من المباحث الأوربية ، و الانسياق وراء هذه المستجدات لم يراع طبيعة اللغة العربية ،وأدبها وتاريخها، بل إن بعضه لم يراع حتى الجانب الإنساني، والذاتي العميق للأدب عامة بإخضاعه للنظريات العلمية الصرفة كنظرية النشوء، والارتقاء ،ونظريات علم النفس وغيرها[2]..

2-3- تاريخ الأدب :

بعد عرض التطورات الدلالية لكلمتي "تاريخ "و"أدب" يحق لنا التساؤل ما هو تاريخ الأدب؟

---

[1] - عدنان عبيد علي ، م س ،ص48.

[2] - م ن ،ص41.

عرف الكثير من الدارسين تاريخ الأدب، ومن هؤلاء الناقد الانجليزي سبيلرSpillerp حيث يقول "يعني تاريخ الأدب أولا وقبل كل شيءوصف، وتفسير أدب شعب من الشعوب في لحظة تاريخية محددة"ويضيف قائلا "أن تاريخ الأدب ليس تاريخ للغة ،وليس تحقيقا للنصوص ،وليس نقدا أدبيا ،وإن كان يحتم على مؤرخ الأدب أن يكون مُلّما بأطراف هذه المجالات " ،ومن هنا يتوجب على مؤرخ الأدب تحديد طبيعة الآثار الأدبية ،وعصرها ،وبيئتها، وعلة ظهورها[1].

وإذا ما انتقلنا إلى تعريف آخر لتاريخ الأدب ،وهو تعريف "بول ريكور" نجده يقول "أن مفهوم تاريخ الأدب لهو مفهوم وصف الآثار الأدبية ،وتفسير مصادر كل منها، وأسبقيته في تأثيره على الآثار الأدبية" [2] ونرى هذا التعريف يولي المصادر والمؤثرات الأدبية أهمية كبيرة ولا يأتي على ذكر المؤثرات الخارجية التي قد يتلقاها الأدب من البيئة أو العصر

أما "سوبول" فيرى أن تاريخ الأدب يعني وصف الآثار الأدبية كما يعنى بتعريفها وتفسير مصادرها مستندا في ذلك إلى تجربة الكاتب وإلى الثقافة التي يرتبط بها من جهة والمؤسسات الاجتماعية والسياسية والأساطير الشائعة من جهة أخرى"[3]

ويرى أصحاب هذا المنهج أن الدراسة الموضوعية للوقائع الأدبية تتطلب تحليل هذه الوقائع ،فيفسر تاريخ الأدب بالاستعانة بمفاهيم النقد الأدبي والسوسيولوجي والسياسي واللغوي ..ويعتبرون أن الوقائع الأدبية ليست نتاجا مباشرا لدوافع فردية صرفة بقدر ما هي نتاج البيئة والعصر .

وقد ارتبط تاريخ الأدب- بشكل قوي – بالقرن التاسع عشر الذي تميز بتراكمات علمية ومعرفية للنهضة الحديثة التي عملت على تكريس المركزية الأوربية ،فظهرت كتب عديدة تؤرخ للآداب الأوربية، وترتب معرفتها الأدبية، والفنية،والفكرية ،وتنظمها ،ولم تتوقف هذه النزعة الجامعة ،والتصنيفية على الآداب الأوربية ،فقد امتدت أيضا إلى الآداب الأجنبية ،وبشكل خاص إلى الأدب العربي، وقد تولى المستشرقون هذه المهمة.

وعلاقة التاريخ بالأدب متينة ،فإذا كانت فلسفة التاريخ قائمة على تحديد العوامل الأساسية المؤثرة في سير الوقائع التاريخية ، والقوانين العامة المسيطرة على المجتمعات الإنسانية وتطورها عبر العصور ،فإن الأسس ذاتها تتكئ عليها القراءة

---

[1] - سمير سعيد حجازي النقد العربي وأوهام الحداثةمؤسسة طيبة للنشر والتوزيع القاهرة ط1 ، 2005 ، ص185.
[2] - م ن، ص159
[3] - م ن،ص ن.

التاريخية- التي تعد مرحلة متطورة من تاريخ الأدب - في تعاملها مع الظواهر الأدبية. فالإبداع الأدبي عمل حضاري يرقى إلى مستويات سامية في التعبير عن روح الأمة ،لذا فالكثير من الدارسين يعتبرون الأعمال الأدبية حقلا خصبا لدراسة تاريخ الأمم وإبراز قيّمها الحضارية .

وهذه العلاقة في واقع الحال علاقة تبادلية إذ تتخذ القراءة التاريخية من حوادث التاريخ السياسي والاجتماعي وسيلة لتفسير الأدب ،وتعليل ظواهره،غير أن هذه العلاقة التلازمية تكون ناقصة ،ولا تكتمل إلا بوجود قسط من المنهج الفني بما فيه من تذوق ،وحكم ،واستنباط للخصائص الفنية التي تعد ضرورية في جميع مراحل المنهج التاريخي.[1]

ويعتبر البحث في تاريخ الأدب أشق عمل علمي، ويعود ذلك إلى هذه الازدواجية التي تضم العلم إلى الفن ،فهو يؤرّخ لموضوع يصعب تحديده لأن مؤرّخ الأدب يتابع سير العلوم وأحوال مشاهيرالأدب و الثقافة ،هذا إذا التزم المعنى العام لتاريخ الأدب، لكنه حتى لو اقتصر على المعنى الخاص فهو محتاج إلى تاريخ موضوعات وعلوم أخرى لصلتها المباشرة بهذا الأدب ،وهو من جهة أخرى لا يعتمد على مناهج البحث العلمي الخالص وحدها ،وإنما هو مضطر معها إلى الذوق فهو بين العلم الخالص والأدب الخالص، فيه موضوعية العلم وذاتية الأدب[2]

و ممّا سلف ذكره فماهية تاريخ الأدب في حد ذاتها تعد إشكالية فهي تقترب من السرد التاريخي في بعض النواحي وتلامس الظاهرة الأدبية من نواحي أخرى ،وتبحث في ما هو خارج النص بدلالة ما في النص، فاستنطاق النص من أجلّ مهام مؤرخ الأدب، فما خلفته حياة الجاهليين- مثلا- من أثرأدبي يُستدل به على معالمها العقيدية والسياسية والاجتماعية وغيرها

ومما يثير الدهشة أن نفس هذه المعالم التي استنبطت من الشعر الجاهلي تستخدم لدراسته والحكم عليه . لكن الشعر الجاهلي يضم عددا كبيرا من القصائد، والمقطوعات، والأبيات المتفرقة ،فصورة الحياة في هذا العصر مبثوثة هنا وهناك ،فيقوم مؤرخ الأدب بجمع شتاتها ،ومحاولة استعادة ما أمكن منها ،لتشكيل صورة ،وقراءة متكاملة لها لتعطي ملامح الشعر بشكل عام ،والعملية شبيهة بما يقوم به دارس الآثارالذي يجمع معلومات ميدانية ويلتقط صورا عن أطلال عمران ويبرمجها في الحاسوب ليعطيه الشكل الذي كان عليه البناء ،لكن مؤرخ الأدب

---

[1] - محمد بلوحي ،آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق 2004 ،ص16.(نسخة الكترونية)

[2] - طه حسين ، م س ،ص29.

يستعين بخياله ،وذوقه، وماقالته السطور، وما توحي به، وتنشره من ظلال بين السطور ،لتتضح تقاسيم العصر، و مثل هذا العمل يفتح مجالا لتعدد القراءات

2-4-تأسيس المستشرقين وتاريخ الأدب العربي:

تعتبر القراءة الاستشراقية أولى القراءات التاريخية للأدب العربي.، وفي ظل هذه القراءة تتضاعف المحاذير، والعقبات خاصة إذا كان الأدب العربي هو المستهدف من هذه القراءة وفق المنهج التاريخي، الذي أعد بمقاييس تتناسب مع طبيعة الآداب الأوربية .

فالأدب العربي يمتد عمره ليتجاوز خمسة عشر قرنا ،إذا قارناه بالمدى الزمني للآداب الأوربية ،وليكن الأدب الفرنسي مثلا ،ففي كتاب" تاريخ الأدب الفرنسي المصوّر"لمؤلفه "غوستاف لانسون" نجده في القسم الأول يحاول تحديد بدايات الأدب الفرنسي فكانت مع أناشيد البطولة " Les chanssons de geste"، وأقدم نشيد عُثِرعليه هو نشيد رولان " La chanson de Roland"الذي ظهر عام 1080م [1]، فيكون عمر الأدب الفرنسي يزيد قليلا على تسعة قرون ،فيكاد عمر الأدب العربي زمنيا يكون الضعف .

كما أن اللغة العربية بعد الفتوحات الإسلامية صارت لغة الثقافة، والعلم لجميع المناطق التي نفذ إليها الإسلام ،فاللسان العربي يتكلم به العرب وغير العرب، واللغة العربية تحمل صفة التقديس كونها لغة القرآن الكريم ،في حين أن الآداب الأوربية بعد استقلالها عن سيطرة اللغة اللاتنية قامت على نزعات قومية انفصالية، وشيئا فشيئا صارت توجّهاتها علمانية.

ويجدر التنبيه إلى أن حيوات الكثير من أدباء تاريخ الأدب العربي يلفّها الغموض ،رغم ما حفظته كتب التراجم والطبقات ،،فالتاريخ السياسي والعلمي العربي لم يدون بقدر كاف،وتاريخ المذاهب والآراء لم تتجاوز كتاب"الملل والنحل" "للشهرستاني" أو" الفَرْقُ بين الفِرَق" للبغدادي ،فضلا عن إهمال الكتب القديمة لآداب الأمم الإسلامية التي تكلمت العربية ،باستثناء الفئات التي عاشت في الشام ،والعراق، والحجازفي القرون الأولى[2]

وقد أسفرهذا الوضع عن خفاء جوانب كثيرة من شخصيات الأدباء، والشعراء نظرا للضبابية التي تحيط بالمؤثرات الفكرية ،والفلسفية عليهم ؛لأن المنحى السياسي العام كان يخضع للتعصب، والإكراه السياسي ،أو المذهبي ،والفكري فلم

---

[1] - Gustave Lanson,Histoire illustrée de la littérature Française ,t1 ,Librairie Hachette ,Paris – Londres ,1923,p5

[2] - طه حسين ،م س ،ص51.

يتح للكثير منهم أن يعبروا بصراحة عن مذاهبهم وأفكارهم،ومن هؤلاء "المتنبي" وا"لمعري" و"التوحيدي" لذا نرى أن هناك من يلجأ إلى الكتابة الرمزية ،والتلويحية ،ويتفنن في إخفاء أفكاره، وسترها مما يجعل أدبه بحاجة إلى جهد كبير لفك رموزه التي تحاط- عادة- من طرف الدارسين بجملة من التأويلات[1].

تتطلب هذه المعطيات بذل جهود متفرقة ،انطلاقا من تهيئة مواد الدراسة الأولية والمتمثلة في استكشاف النصوص، وتحقيقها، وتفسيرها ،إلى التسلح بجملة من العلوم التاريخية والجغرافية والفلسفية ،والدينية واستحضار للعدة اللغوية من نحو وصرف ،وبلاغة .[2] ،وانتهاء بالأدوات الإجرائية التي تقتضيها القراءة التاريخية للأدب .

وأول محاولة للتأليف في تاريخ الأدب العربي وفق التقسيم السياسي كانت على يد النمساوي "يوسف هامر برجشتال " في كتاب نشر في فيينا سنة 1850م واستغرق هذا الكتاب سبعة أجزاء ،غير أنه كان محدود الفائدة على سعته وضخامته ، لأن معظم مصادر الدراسة لم تكن معروفة في زمانه، ومعرفته باللغةالعربية كانت محدودة [3] .وتلت هذه المحاولة ،محاولات كثيرة تتفاوت في عمقها وسعتها ،وقيمتها العلمية

وإذا كانت كتب تاريخ الأدب- في أول عهدها - في أوربا تحدوها أهداف قومية ، فإن الجهود الاستشراقية الساعية إلى نمذجة مختلف مجالات المعرفة الإنسانية للشرق- الذي ستخرج إليه- كانت في غالب الأحيان من أجل التحكم في حاضره، ومستقبله، فيكون من الضروري ضبط ماضيه المعرفي ، والأدبي، وتنظيم تراكمه الحضاري الذي يقدر مداه الزمني بقرون طويلة ، وذلك وفقا للنظم المعرفية للغرب و المعدّة سلفا، ووفقا لتوقعاته التي لا تخرج عن النظرة النمطية للشرق،حتى يكون له التحكم في ضمان كينونته، وينفذ إليها أكثر، فيبرز فيها ما يشاء ،ويختزل ما يشاء متصرفا في كل ذلك بأدواته الإجرائية،والمفهومية، والمنهجية، والنظرية، والعلمية التي توفرت لديه في القرن التاسع عشر [4]

ويذكر إدوارد سعيد في هذا السياق عنصرا هاما قد مهد لبنى الاستشراق الحديث ،وهو النزوع إلى تصنيف الطبيعة والإنسان في أنماط ،وقد كان شديد الانتشار ،يميزه ولع شديد لتحديد الملامح العامة ،وذلك بتقليص أعداد هائلة من الأشياء إلى عدد أصغر من الأنماط قابلة للترتيب، والوصف في التاريخ الطبيعي

---

[1] - عدنان عبيد علي ، م س ص57

[2] - م ن ،ص56.

[3] - ب ، ت أ ع ،32/1

[4] - أحمد بوحسن ، م س،ص117.

،وعلم الإنسان ،لكن تحديدات كهذه تكتسب قوة أكبر حين ترافق بالشخصية بوصفها اشتقاقا ،وبوصفها نمطا وراثيا ،وهكذا فحين يشار إلى الشرقي، فسيكون ذلك ضمن معطيات وراثية كونية تمثل حالته البدائية وخصائصه الأولية وخلفيته الروحية الخاصة. [1]

وقد شمل هذا التصور مادة الأدب العربي المتراكمة منذ عصور طويلة لتمتد إليها أيدي المستشرقين من أجل ترتيبها وفق هذه المعايير المستعارة ، مع الأخذ بعين الاعتبار تلك الخصوصية الملزمة،و التي جعلها الاستشراق لصيقة بكل ما يتصل بتراث الشرق العربي الإسلامي ،وهي خصوصية شديدة التعقيد تنأى عن التبرير المنطقي في أحايين غير قليلة .

فعينات الدراسة المأخوذة من التراث غالبا ما تكون انتقائية لتحقيق غايات معَدّة سلفا . وعماد هذه الخصوصية: الغرائبية، وتكريس النظرة النمطية ، التي تقيد الفكر،وتجعله لايبرح مكانه ،فلا يُسمح له بالتجول في رحاب الفكر الإنساني، وإن سمح له، فمن خلال نافذة الاستشراق التي لا تتيح له إلا جولات ضمن حدود، فلا يتعداها .ويتضح ذلك من خلال تسليط المقاربة التاريخية للأدب التي أرستها اللانسوية على الأدب العربي ، بجعل التاريخ هو مركز الدراسة الأدبية الذي لايمكن الاستغناء عنه في تنظيم الأدب،وذلك ضمن تعاقب زمني هو الحقب أو العصور الأدبية التي تأخذ بالمنحى التطوري.

2-5-تاريخ الأدب والتطور:

لم تكن إثار ة فكرة التطور في الأدب -في حقيقة الأمر-وليدة القرن التاسع عشر إذ يعتبر كتاب البويطيقا لأرسطو أقدم مصدر ربط التطور الحيوي بتطور الأجناس الأدبية، فيرى بأن أصل التراجيديا يعود إلى شعر الدثرامب ،ويعود أصل الكوميديا إلى الأغاني التي تدور حول الذّكر ويقول :«تطورت التراجيديا شيئا فشيئا منذ أقدم أشكالها عن طريق الإضافات التي بدا للكتاب أن يضيفوها، ثم توقفت التراجيديا عن التغيربعد أن مرت بتحويرات كثيرة ،وذلك حينما اكتمل نموها »[2] فالتطور مرتبط- بشكل أساس-بالأجناس الأدبية التي لم ينقطع الحديث عنها منذ أرسطو وإلى الآن .

---

[1] - ادوارد سعيد ، م س، ص143/142.

[2] Allan Gilbert ,Literary critism ,Plato to Dryden , New-york ,1940,p74 - عن رينيه ويليك، مفاهيم نقدية ، تر محمد عصفور عالم المعرفة ،1987،ص30

مخطط تطور شعر الديثرامب إلى التراجيديا عند أرسطو:

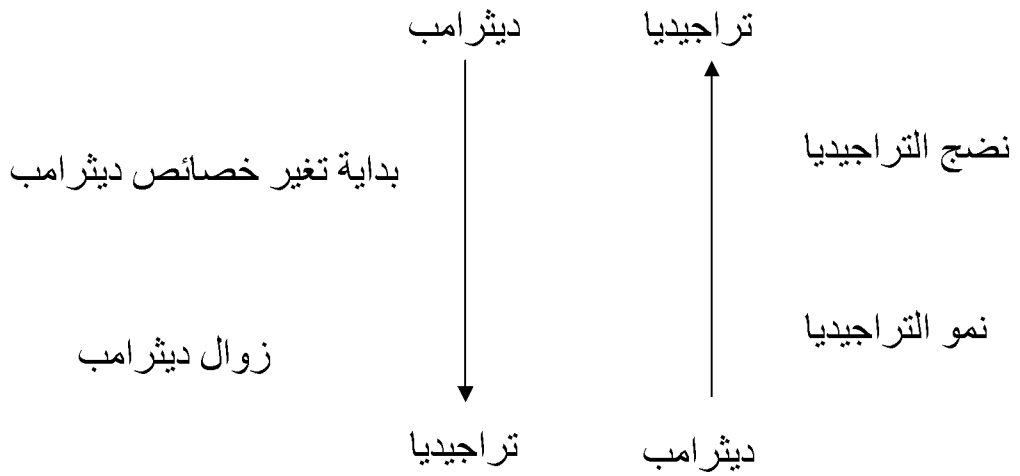

فأرسطو يرى بأن هناك تماثل بين مسيرة التراجيدية التاريخية، ودورة الحياة ،ومعالم هذا التماثل تظهر في قوله "تطورت" و"اكتمل نموها "فقد قطعت التراجيدية مراحل عبر الزمن لتتخذ أشكالا متنامية تكتسبها من إضافات الشعراء لشعر" الدثرامب" ،لتصل إلى مرحلة النضج الذي يكتمل فيه النمو، وهنا يصل الجنس الأدبي إلى قمة الازدهار ،ليتراجع بعدها شيئا فشيئا،و يفقد تدريجيا خصائصه بشكل تحولي حتى تحل محلها خصائص أخرى ،وبعمليتين تسيران في اتجاهين متعاكسين لمؤشري الزوال والنمو ،يتحول "الدثرامب" إلى "التراجيديا"

وقد خبت هذه النظرة لعهود طويلة ، لكن مع الضجة التي أحدثتها نظرية التطورل "دارون" والنجاح الذي حققه سبنسر[1] في تطبيقها على العلوم الاجتماعية ،فكان ذلكحافزا لدارسي تاريخ الأدب حتى يدخلوها على بحوثهم ،فأقبلوا عليها بشغف ، وارتبطت تطورية القرن التاسع عشر بالداروينية بمقولاتها الأساسية المتمثلة في"البقاء للأصلح" و"الانتخاب الطبيعي" و "تحول النوع".

وهكذا طبق جون" أدنغتن سمندز "John Addington Symonds في انكلترا التشبيه البيولوجي بصراحة لاترحم ،وقال :«إن الدراما الإليزابيثية خط واضح المعالم قوامه الولادة ،فالتوسع ،فالازدهار ،فالذبول »ووصف هذا التطور وعدّه تفتحا لعناصر جنينية لا يمكن إضافة شيء لها تسير مسيرتها بحتمية حديدية إلى مرحلة الذبول المحتومة ،والعبقرية غير قادرة على تغيير تتابع المراحل[2].

---

[1] - ساهم في ترسيخ مفهوم الارتقاء وأعطى له أبعادا اجتماعية ،وكان هو من وجد مصطلح البقاء للأصلح (عن ويكيبيديا الموسوعة الحرة)

[2] - رينيه وليك ،مفاهيم نقدية ،ص33.

ويظل الفرنسي" برونتيير" في كتابه "تطور الأجناس في تاريخ الأدب " من أبرز المتحمسين لهذا المفهوم ،لذا فقد قال «إن التراجيديا الفرنسية ولدت مع جوديل ،ونضجت مع كورني ،وشاخت مع فولتير ،ثم ماتت قبل هوغو»[1]
فأدخل" برونتيير "في تأريخه لأجناس الأدب مبدأ الصراع من أجل البقاء
مخطط لدورة حيا ة التراجيديا الفرنسيةعند "برونتيير"

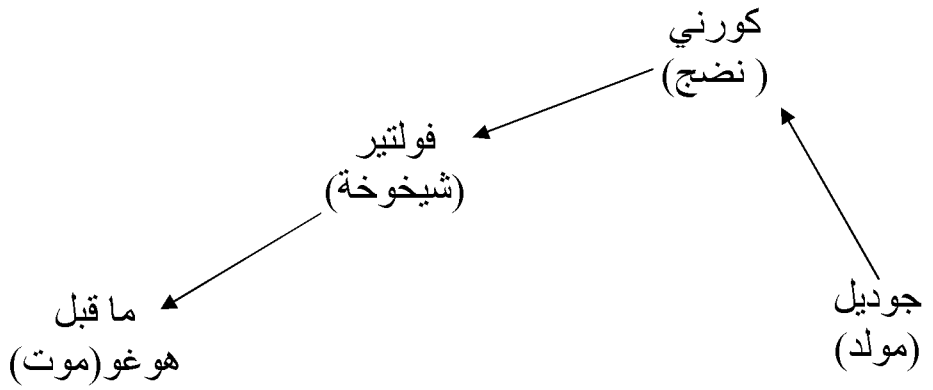

والملاحظ على"برونتيير"في هذا الطرح تكييفه لرحلة التراجيديا حتى تتوافق مع إسقاطاته لها على دورة الحياة عند الكائنات الحية ،فرغم أن مسرحية "كليوباترة أسيرة" لجوديل(1552 م)يعتبر ظهورها كتاريخ محوري، إلا أنها سبقت بمسرح ديني مسيحي قدم الشكل الدرامي للقداس ,ونصوص العهد الجديد من جهة، والمسرح الدنيوي الهزلي من جهة أخرى بينما الولادة عند الأحياء هي البداية الفعلية للتواجد ،وإن كان"أدنتغن سمندز " قد حاول إيجاد مخرج لهذا الإشكال فقال بالحياة الجنينية ،ولاحقا رفضت المماثلة البيولوجية بين تطور الأدب وتطورالأحياء

وبما أن الأدب لا يضم أنواعا ثابتة شبيهة بالأنواع البيولوجية التي تشكل الطبقات التحتية للتطور ،وليس هناك نموا وانقراضا حتميي،ن ،ولا تحول من نوع إلى نوع ولا صراع حقيقي من أجل البقاء ،فإن نظرية التطور الداروينية والسبنسرية لن تكون صالحة في حال تطبيقها على الأدب[2].

وبهذا رفضت المماثلة البيولوجية بين تطور الأدب وتطور الأحياء،وصارت التطورية المغلقة من الولادة حتى الموت، فكرة بائدت من كل نواحيها .

[1] - رينيه ويليك ،مفاهيم نقدية ،ص33-34.
[2] - م ن ،صً40

ونجد مفهوم التطور حاضرا بقوة في كتابات المستشرقين عن تاريخ الأدب العربي ولاسيما في عملية التحقيب، ففي كثير من الأحيان توسم الحقبة، أوالعصر بدلالة تطورية كالنشأة والازدهار و الانحطاط ،ويربطون معالم التطور بالعديد من القضايا ،وهي في تشابك بين البيئة ،والعرق، وهذه النزعة لايكاد يتخلّى عنها أي مستشرق .فنجد المستشرق "جب"يعتبر أن الأدب العربي قد ولد في بيئة تغلب عليها الصحراء وهي بيئة جرداء يسودها القحط والتغيرات الشديدة في الحرارة والبرودة ..لكن هذه البيئة لم تحل بينهم وبين الإبداع بأن تكون لهم فلسفتهم الخاصة وقيمهم ومثلهم كما تطورت لغتهم بما يتلاءم ومتطلبات حياتهم[1].

3-العصور الأدبية:

تفيد الحقبة أو العصر في الاصطلاح اللغوي العربي ،حبس الشيء...كما تفيد المدة الزمنية ،فقد دلت على سنة أو على عدة عقود .ومصطلح periode بالفرنسية يفيد مدة زمنية معينة ،ويفيد مصطلح period في الإنجليزية ،حقبة من الزمن ،أو علامة ترقيمية (،) (فاصلة) تقوم بتقطيع الجملة إلى مقاطع لها علاقة بالمعاني الجزئية فيها . كما أن لها علاقة بإتمام دورة زمنية أو سلسلة من الأحداث ،أي أنها تقيد مقطعا زمنيا محددا بظاهرة متكررة ،وبذلك تشمل معاني ،العصر ،العهد ،المرحلة أما مصطلح Zeit abschnitt في الألمانية ،فيتكون من مقطعين :Zeit أي الزمن أوالوقت ،و abschnitt أي المقطع.وبذلك يفيد المصطلح مقطعا من الزمن.[2]

العصر أو الحقبة هو المقطع الزمني الذي قد يطول أو يقصر ،فالعصر فترة زمنية تمتد لتأخذ قطعة من التاريخ مكتنزة بالأحداث والمنجزات الإنسانية ،ومن الضروري لأي دارس لتاريخ الأدب مراعاة هذا الانغراس الأصلي للحقبة الأدبية وغيرها في التاريخ العام،و ما يتولد عن ذلك من تداخلات اجتماعية وسياسية واقتصادية وغيرها ودورها في صياغة حقبة موضوع معين، فالحقبة ليست اجراء يتوخى منه البحث عن نقاوة الحقبة الادبية وتعاليها عن الأفعال غير الأدبية التي قد تتعالق بها فالبحث عن الحقبة الأدبية يتطلب مراعاة الحضن التاريخي العام ضمن ما يحضن من معارف وأفعال إنسانية أخرى [3]

وما ينبغي التنبيه إليه بصورة مبدئية أن مفهوم تقسيم العصور أو التحقيب ،والحقبة مفهوم جديد على الثقافة العربية ،وقد تحتوي اللغة العربية على مفردات مثل المدرسة والحركة والمجموعة والعهد والعصر...غير أن هذه المفردات لم تصبح مفاهيم أومصطلحات إلا في العصر الحديث بالنظر لاستعمالاتها في الثقافات

---

[1] - سعد أبو رضا ،أصالة البلاغة العربية ،مجلة المشكاة ، م س،ص18

[2] - أحمد بوحسن، م س ،ص52.

[3] - نفسه،ص55.

الأجنبية ،واستعمال مضامين هذه الألفاظ باعتبارها مفاهيم ومصطلحات هو وليد الترجمة وبالتالي فإن هذه الدلالات ليست وجودية محايثة للمفردات .

وعموما ،فإن معظم تواريخ الأدب يتم تقسيم مراحلها بحسب التغيرات السياسية،وبهذا النحو يتم تصور الأدب على أنه يتقرر بحكم الثورات السياسية[1]

ورغم دلالة "العصر" الزمانية فإن المشتغلين بحقل تاريخ الأدب ربطوها أيضا بدلالة إقليمية أحيانا كقولهم الأدب في العصر الأندلسي ،بل وأفردت لها المصنفات كما فعل المستشرق الروسي "كراتشكوفسكي"في كتابه "تاريخ الأدب الجغرافي للعرب" فيضم قطبا ثالثا ليُزاحم الأدب وهو الجغرافيا بعد مزاحمة التاريخ .

و تقسيم تاريخ الأدب إلى عصور سياسية يقتضي إحداث تقطيعات زمنية تختلف من دارس لآخر مما يعطي لهذا الفعل صفة القسر، والإلزام فهذه التقسيمات اقتضتها تداعيات الظروف السياسية والاجتماعية ،والتاريخية المحيطة بالفعل الإبداعي، ومن ثم يصبح الأدب باعتباره معرفة انسانية مضافا للتاريخ، وإن حاول المشتغلون بحقل تاريخ الأدب إعطاءه كيانا خاصا مبرأ من أية تبعية ويصبح التركيب "تاريخ الأدب " تركيبا تفاعليا «فلنأخذ تاريخ الأدب هكذا على أنه مادة واحدة موحدة ولنبحث له عن خصوصية منهجية للتعامل معها سعيا للحفاظ على تركيبها الأصلي» [2]

ويُعْتَبَر أندري دوشيسن(André Duchesne) أول من خط أصول هذا المنهج في كتابه "تاريخ فرنسا الأدبي" سنة 1733[3] ، وقد أخذ بهذا المنهج في العربية جَمْعٌ من المستشرقين ،والكتاب العرب ،فجاءت تواريخهم مقسمة إلى عصور أدبية تتفق، والعصور السياسية في التاريخ العام .

ويتكئ هذا المنهج على ربط الأدب بالسياسة، فتصبح أقسام التاريخ السياسي أقساما لتاريخ الأدب ؛لأن الأدب في نظر مؤرّخيه لا يعدو أن يكون مرآة تتضح فيها وتتجلي تقاسيم أحوال الأمة التي أبدعته قرائح أدبائها، فالنص الأدبي محمل بتداعيات السياسة ،وأثر الاجتماع ،وكل ما يحدث فيهما من تقلب ،وتحول يتبدى على صفحتها واضحا كما أن الحدث السياسي كفيل في حد ذاته بنقل الحياة الاجتماعية من حال إلى حال .

---

[1] رينيه ويليك،أوستن وارين ،نظرية الأدب ،تر محي الدين صبحي،المؤسسة العربيةللدراسات والنشر،بيروت ،1987.،ص278.

[2] - أحمد بوحسن ،م س ،ص57.

[3] - Escarpit ,histoire de l'histoire de la litterature .in Encyclopedie de la peliade,v3 p1 767 عن حسين الواد ، تأريخ الأدب مفاهيم ومناهج،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط2 ،،ص141/140.

وبما أن الأدب ، يتبع الاجتماع في كل ما يمر به من أطوار الرقي والانحطاط ،فإن الحدث السياسي أيضا هو الذي ينقل الآداب من حال إلى حال ، وهكذا انتشرت مقولة "عصور التاريخ السياسي الراقية هي أيضا عصورتاريخ الأدب الراقية ،وعصور التاريخ السياسي المنحطة هي كذلك عصور تاريخ الأدب المنحطة .ولذلك أيضا فإن حدود عصور التاريخ السياسي هي حدود عصور التاريخ الأدبي[1].

وتطفو قضية مفهومية حول الزمن في استمرار سيرورته ،والزمن كتتابع لأجزاء متقطعة ،أو ما يسمى بالعصور،ويرى "ليفي ستروس "[2] في الفصل الأخير من كتابه "الفكر المتوحش" بأن وضع سنن التعاقب يخفي طبيعة معقدة جدا أكثر مما نتصور ،وذلك أنه حينما ندرك تواريخ التاريخ في صورة سلسلة حقب بسيطة في المقام الأول، فإن تاريخا ما يتضمن لحظة في تتابع الدقيقة 2 التي هي بعد الدقيقة 1 ،وقبل الدقيقة 3 [3].وبهذا تكون وظيفة التاريخ هي تحديد العدد الترتيبي فقط ،غير أن كل تاريخ هو أيضا عدد أصلي .كما أن العدد يعبر عن فارق بالنسبة للأعداد المجاورة له [4]

فالزمن بالنسبة لستروس ذات مستقلة ،والزمن في حالة التعاقب يعتبر وصفا لهذا الزمن ،وبناء عليه، فالتحقيب هو عملية وصفية للزمن الأدبي في تاريخ الأدب ، غير أن ما تحمل هذه العملية من بعد تعالقي يجعلها تتطلب استحضارا للحس الفني، والتاريخي في الآن نفسه ،ليصبح التحقيب عملية وصفية للزمن الأدبي المتعلق بتاريخ الأدب .

3-1-تقسيم المستشرقين للعصور الأدبية:

وما ينبغي التنبيه إليه بصورة مبدئية أن مفهوم تقسيم العصور أو التحقيب ،والحقبة مفهوم جديد على الثقافة العربية ،وقد تحتوي اللغة العربية على مفردات مثل المدرسة والحركة والمجموعة والعهد والعصر...غير أن هذه المفردات لم تصبح مفاهيم أو مصطلحات إلا في العصر الحديث بالنظر لاستعمالاتها في

---

[1] - حسين الواد ،م س ،ص141

[2] - يعد ليفي ستروس من عمالقة العلوم الإنسانية في القرن العشرين بل إنه يعد من كبار العلماء الذين طوعوا نظرية البنيوية لتطوير علم الأنتروبولوجيا ، يقول في الفكر المتوحش "إن هذا الفكر لم يسبق الحضارة بل إن كلواحد منا مطبوع في جزء هام من تركيبته ونفسيته وطباعه وسلوكه بالفكر المتوحش حتى في المجتمعات التي تعتبر نفسها متقدمة "،وفي هذا الكتاب يسعى ستروس إلى تلمس عملية تأرجح الإنسان بين الفكر المتوحش والفكر الحدلثي." عن جريدة الرياض ،نوفمبر 2008 ع14769

[3] - أحمد بوحسن ،م س ،ص53.

[4] -

-1(Claudio) Guillen,Literature as system.Essays towards the theory of literary history,Princeton.nj.Princeton .p.1971,p.437.

عن أحمد بو حسن العرب وتاريخ الأدب ،ص53.

الثقافات الأجنبية ،واستعمال مضامين هذه الألفاظ باعتبارها مفاهيم ومصطلحات هو وليد الترجمة وبالتالي فإن هذه الدلالات ليست وجودية محايثة للمفردات

والحقبة عند"كروتشيه "مجرد مواضعة ،وأقر"ويليك" بأن الحقبة ليست كيانات وإنما تشيد بنسق معايير أدبية، وبمواضعات ،و"ديفيد بركنس"اعتبر الحقبة حكاية ضرورية ؛ويريد بهذا الكلام أنها ربط ضروري بين المنظر واقتراحاته وبين الوقائع النصية المختلفة .وقد تبنى محقبوما بعد الحداثة هذه النظرة التشييدية ؛فقد اقترح "فوكو"تحقيبه القائم على الإبستيمات ،وبنى ياوس تحقيبه على أفق الانتظار[1].

ومما سبق يتضح أن الفكرة السائدة هي اعتبارالتحقيب معطى يتحدد بالمواضعة الاجتماعية و المواضعة الأدبية وأنه يخدم مقاصد إيديولوجية .

ومن هنا عمل المستشرقون على فرض بعض الأنساق الفكرية ،والأدبية، والمنهجية على فكر الشرق، وتراثه الأدبي مساهمين في وضع تصورات جديدة لتاريخ الأدب العربي منذ القرن التاسع عشر بتأليف كتب عديدة ،فقاموا بتحقيق الكثير من كتب التراث العربي القديم ، والملاحظ أنهم اعتمدوا في كتاباتهم على ذلك الفكر التجريبي والتدقيقي الفقه لغوي، والتنظيمي التراثي الذي عرف به القرن التاسع عشر في أوربا الذي طبق على تاريخ الأدب الأوربي نفسه .و هو وليد المناهج التاريخية والفقه لغوية التي كانت سائدة في الأوساط الأكاديمية عندهم[2].

وسعوا إلى تنظيم المادة الأدبية الضخمة من التراث العربي في إطار تسلسل زمني وثيق الصلة بالأحداث السياسية، وبذلك رسخوا تحقيبا خاصا بالأدب العربي غلّبوا فيه التحقيب السياسي على أي تحقيب آخر، وقد كانت تلك التحقيبات تختلف في عدد العصور باختلاف الأساس المعتمد[3].

وقد حاول المستشرقون الإحاطة بالأدب العربي إحاطة كاملة ،فواجهوا معضلة تأريخه ونشأته وتكوينه وتطوره وأرادوا حلها فذهبوا لتقسيمه إلى عصور(تحقيبه) ،وهو أمر جديد لم يقدم عليه مؤرخوه القدامى ،الذين انصبت جهودهم على وضع الأدباء في إطار تاريخي حسب مواليدهم ،أو وفياتهم ،أو مواضيع أدبهم لذا كان تقسيم المستشرقين الأدب إلى عصور ،أمرا غير مألوف عند العرب ، ففرضوا منهجا جديدا كان نتيجة لتطور الدراسات الأدبية في العالم الغربي ،ولم يكن للمستشرقين إلا أن يسلكوا مسلك مؤرخيهم الغربيين في دراستهم للأدب العربي.

---

[1] - محمد مفتاح ،المفاهيم ومعالم ،نحو تأويل واقعي ،المركز الثقافي العربي،ط1 ،1999،المغرب،ص121

[2] - أحمد بوحسن ،م س ،ص 117

[3] - م ن،ص118

والجدول التالي يبرز تقسيمات خمسة من المستشرقين للعصور الأدبية.

	500م	622م	662م	750م	1258م	1617م	1798م	1914م
	1هـ	41 هـ		132هـ	656هـ	923هـ	1213 هـ	1333هـ
بروكلمان	الأدب من أوله إلى سقوط الدولة الأموية			عصر الإزدهار العباسي الأول	عصر الإزدهار العباسي الثاني	العصر المغولي	العصر العثماني فتح سليم الأول مصر	العصر الحديث
	الأدب من أوليته إلى ظهور الإسلام	عصر النبي محمد (ص)	عصر الأمويين					
جيب	العصر البطولي	عصر التوسع		العصر الذهبي	العصر الفضي	العصر المملوكي		
ناليبو	الجاهلية	العصر العربي الإسلامي		العصر العباسي الأول	العصر العباسي الثاني	عصر الإنحطاط		عصر البعث الجديد
نيكلسون	العصر الحميري / ما قبل الإسلام	عصر الرسول / عصر الخلفاء	العصر الأموي	العصر العباسي		عصر العرب في أوربا	عصر ما بعد الفتح المغولي إلى العصر الحديث	
هوار	عصر ما قبل الإسلام	عصر الرسول	العصر الأموي	العصر الكلاسيكي الأول	العصر الكلاسيكي الثاني	العصر المغولي	العصر الحديث	

من خلال هذا الجدول يتحدد المدى الزمني لتاريخ الأدب العربي أنه يبدأ من العصر الجاهلي ،غير أن نقطة البداية ليست محددة تماما ، بأن المدة الزمنية لتاريخ الأدب العربي تبدأ من الجاهلية وهي نقطة غير محددة تماما تاريخيا ،وتقف عند أوائل القرن العشرين .

والملاحظ هو أن المستشرقين غير متفقين في تقسيم العصور الأدبية ،ولهذا الاختلاف محددان:

-عدد العصور:

فنلاحظ بأن عدد العصور خمسة عند" ب" و"جيب"و"ناليبو"وستة عند" نيكلسون" وهوار، وأكثر المراحل اختلافا في تقسيم المستشرقين تلك الممتدة من

الخط المستمر :تقسيم رئيسي

الخط المتقطع:تقسيم ثانوي

- اعتمدنا في هذا الجدول على كتاب أحمد سمايلوفيتش ، فلسفة الإستشراق ،ص564-565
- و كتاب حسين الواد ، تاريخ الأدب ، ص 143، و كتاب بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي.

العصر الجاهلي إلى قيام الدولة العباسية ،فمنهم من يعتبرها مرحلة واحدة ك "ب" ومنهم من يقسمها إلى مرحلتين مثل "هوار" و"نلينو" و"جيب" ،بينما يقسمها "نيكلسون" إلى أربعة أقسام رئيسة.

وإن كان أغلب المستشرقين يجعلون بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم نهاية للعصر الجاهلي، وبداية لعصر أدبي جديد، إلا أن البعثة- ودعوة الإسلام عموما- يأخذونها على أنها ظاهرة ذات طابع اجتماعي، و سياسي و فكري، ويرفضون جملة الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ،وسيتم التفصيل في هذا المعلم في الفصل القادم ،أثناء عرض النموذج المختار لهذه الدراسة .

ويتفرد" نيكلسون" بتقسيم العصر الجاهلي إلى قسمين: عصر حميري، وما قبل عصر الرسول، وغرض" نيكلسون "من هذا التقسيم التدليل على أن الممارسة السياسية كانت ناضجة في هذه الفترة ، فيتداعى الاعتقاد بأن الحكم الإسلامي هو الذي أرسى هذه القواعد .

والإجماع يكاد يكون كاملا بين المستشرقين على أن سقوط دولة بني أمية ،واستيلاء العباسيين على السلطة تدشين لعصر أدبي جديد على الرغم من أن الانتقال كان سريعا ،وعنيفا ،وحركية الأدب عادة ما تكون بطيئة .ولأن العصر العباسي ينتهي بحلول سنة 1258م -656هـ ،فسيكون عصرا طويلا ،لذا عمد أغلب المستشرقين لتقسيمه إلى قسمين مثل" نالينو" و"هوار" و"جيب "

بينما عمدوا في بعض الأحيان إلى اعتبار عصر من العصور يمتد ليغطي مرحلة طويلة في عصر واحد،عند بعض المستشرقين فمن العصرالجاهلي إلى سقوط دولة بني أمية هو العصر الأول عند "بروكلمان" ،ومن السنة الأولى للهجرى إلى غاية سقوط العصر الأموي يعتبر عصرا واحدا بكل تغيراته عند "جيب "و"نالينو"، والعصر المغولي يعد عصرا مستقلا عند" ب" و"هوار" ،في حين أنه يُضمّ إلى العصر العثماني ليكون عصرا أدبيا واحدا عند "نيكلسون" "ونالينو".

ومما سبق يتضح أن الاختلاف في التقسيم يشتد في المرحلة الفاصلة بين ظهور الإسلام وقيام الدولة العباسية ،كما يشتد في المرحلة التالية لسقوط الدولةالعباسية إلى غاية العصر الحديث ،ويعود السبب إلى النشاط السياسي الحثيث ،ففي الأولى كان قيام أول دولة للأمة العربية تحت راية الإسلام ،ثم التوسع في ظل الفتوحات وما انتاب المرحلة من ثورات ، وصراع على السلطة ،والتحول الاجتماعي من البداوة إلى الحضارة ،فكانت مرحلة نهوض، أما المرحلة الثانية فكانت مليئة بالاضطرابات والفتن واستيلاء الأعاجم على الحكم ،وعموما هي مرحلة تضعضع وانهيار.

-تسمية العصور:

لا تقوم تسمية العصور عند المستشرقين على مقاييس ثابتة،فأحيانا ينسب العصر للحدث السياسي ، ،باعتبار مؤرخي الأدب يعتمدون الأحداث السياسية معالما لبدايات ونهايات العصور.

وإذا كان هذا التصرف مبررا منهجيا ،فإن سلوك بعض المستشرقين طرق أخرى للتسمية يبقى بحاجة إلى التوضيح ومن ذلك أنهم ،أطلقوا على الفترة التي تلي سقوط بغداد أسماء كثيرة منها "العصر المغولي "كما عند "هوار" وعصر الانحطاط كما عند "نالينو "،وهذا الأخي ريتفرد في تنوع التسميات وإن التزم حدودا سياسية وزمانية إلا أنّه أعطى العصور أسماء أخرى ،فالعصر الجاهلي سمّاه العصر البطولي، والعصر الإسلامي سمّاه عصر التوسع، وبالتأمل في الكلمتين (البطولي والتوسع)تبدوان في سياق متكامل، فالذي يحقق البطولة يسعى إلى أن يتوسع ويتغلب ،أي أن الاستعداد يكون طبيعيا لمن يتمتع بشروط الغلبة أن يتوسع ،فلا يكون للإسلام أي دور حضاري في تقدم الأمة العربية لأن بوادر النهضة كانت موجودة.

وهذه الأسماء لا تعدو أن تكون ترديد صدى لأسماء العصور الأدبية لليونان،فقام المستشرقون بإسقاط رأسي لهذه العصور، وأسمائها وأحوالها على تاريخ الأدب العربي ،فالعصر البطولي عند "جب" يقابله في تاريخ آداب اليونان عصر الأبطال والحروب ،والعصر الذهبي يقابله أيضا عصر ذهبي عند اليونان ،وبما أن العصر البيزنطي كان عصر ضعف في تاريخ آداب اليونان افترض المستشرقون أن يكون في الأدب العربي عصر مماثل

وللمستشرق الإيطالي "نالينو" الفضل في نعت العصر الذي يلي سقوط الدولة العباسية بعصر الانحطاط ،وشاعت تسمية العصر المملوكي، والعثماني بعصر الانحطاط الأدبي،وقد لقي هذا الإسم رواجا منقطع النظير على الرغم من عوزه للدقة ،فالعصر كان طويلا ،وشهد نبوغ الكثير من الأفذاذ. ،كما أن معظم تراثه الشعري والنثري ما زال مدفونا في بطون مخطوطات التي تملأ مكتبات أوروبا،فلا تعدو هذه التسميات أن تكون انعكاسا لتصور وجود عصور انحطاط في ثقافات أخرى قد يكون مجرد إسقاط أو مطابقة تقسيمية (مثل ما أطلقه الفرنسيون على الأدب اللاتيني وحملته الدراسات الاستشراقية)[1]

3-1-1-مفهوم الانعكاس:

[1] ينظر :عمر موسى باشا ، تاريخ الأدب العربي – العصر المملوكي - ،دار الفكر ، دمشق ،ط1 ،1989 ،ص 11-23 .

قد يكون لهذا المفهوم خلفية في التراث العربي فقد قال ابن خلدون "إن الشعر ديوان العرب ،وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم ،وأصل يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحكمهم "[1]

وفي العصر الحديث انتقل هذا المفهوم من أوروبا إلى الأدب العربي عن طريق ما أذاعه بعض اللبنانيين بداية القرن الماضي بأن اللغة مرآة للفكر والجماعة ،ومما تردد بين المستشرقين في الجامعات وما يكتبونه في دراساتهم من أن الأدب مرآة لحياة صاحبه ،وعصره ،ويشهد بذلك "طه حسين" فيما رواه عن الدروس التي تلقاها عن أستاذه"كارل نالينو" بالجامعة الأهلية المصرية سنة 1910 م ،"لأول مرة تعلمنا أن الآداب مرآة لحياة العصر الذي ينتج فيه لأنه إما أن يكون صدى من أصدائها وإما أن يكون دافعا من دوافعها ،فهو متصل بها على كل حال وهو مصور لها على كل حال"[2]

ومما سبق يتضح أن لا أحد من المستشرقين أو من الدارسين العرب الذين أرّخوا للأدب العربي يخرج عن مقولة أن النص من إنتاج الأديب ،وأن الأديب من إنتاج العصر.

وعلى هذا الأساس من الفهم راحوا يبحثون عن الجاهليين في آدابهم ،وقد أعطى مفهوم الإنعكاس صيغته الجلية طه حسين عندما رأى أن الأدب "مرآة لنفس صاحبه ،ومرآة لعصره ،وبيئته ،كلما عظم حظه من الجودة والإتقان "[3]

وعلى الرغم من أن مفهوم "الانعكاس"كان الأكثر انتشارا بين مؤرخي الأدب، فقد كان أيضا الأكثر قابلية للنقد 5،وقد يضيق المقام لعرض حجج أنصار هذا المفهوم وحجج المعارضين له ،ولكن مبدئيا فإن تحقق الانعكاس بين الأدب والمجتمع يفترض أن يكون الواقع من جهة، والأدب من جهة مقابلة ،حتى يمكن أن يتلقاه من الخارج وإلا انتفى معنى الانعكاس،لكن الحقيقة هي أن الأدب جزء من الواقع، فمَدْحُ حسان بن ثابت الرسول صلى الله عليه وسلم عمل واقعي كان له صدى في حياة المسلمين ،واستعمال الأمويين شعر الأخطل في معاركهم ضد خصومهم من العلويين والخوارج عمل يشكل قطعة من الواقع.

وخلاصة القول أن تقسيم العصورالأدبية عند المستشرقين كان مختلفا سواء في عدد العصور أو في تسميتها ومن هنا يثبت بأن هذا التقسيم كان خاضعا

---

[1] - كارل نالينو ،تاريخ الآداب العربية حتى عصر بني أمية ،من مقدمة الكتاب لطه حسين،دار المعارف القاهرة ،ط2 ، 1970 ،ص10

[2] - طه حسين ،في الأدب الجاهلي، مطبعة فاروق،ط3 ،1933، ص30.

3 - حسين الواد ،في تأريخ الأدب،مفاهيم ومناهج ، ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،ط2 ،1993.،ص72

للمواضعات ،مما جعل حركية الأدب عرضة للقسرية من خلال تلك الاختلافات بين المستشرقين في التقسيم .

وبإلقاء نظرة فاحصة على اختلاف التحقيب عند المستشرقين، يمكن تسجيل نوع من الاضطراب الحاصل من صعوبة التوفيق بين المنطلقات النظرية التي اعتمدوا عليها، و المبنية على حتمية التوافق بين العصور السياسية والظواهر الأدبية،وبين ما هو عليه الواقع الأدبي.

وقد يكون هذا الاضطراب هو السبب في لجوؤهم إلى تقسيمات ثانوية ،التي تظهر في الجدول أعلاه في صورة خط متقطع ، وبدت هذه التقسيمات الثانوية محاولة لاستدراك النقائص، أو ردم الهوة الناشئة بين المنطلقات النظرية التي يذكرها مؤرخ الأدب في بداية كل عصرمن حهة ،ومسيرة الأدب من جهة أخرى ،لعلها تكون مخرجا من هذا المأزق المنهجي ،وذلك بالتحايل على ما استعصى من الظواهر الأدبية ليتم إخضاعها للمتغيرات السياسية.

فقد أسقط المستشرقون في تقسيمهم للعصور الأدبية مقاييس أرسيت في البحث التاريخي .واعترضتهم مشاكل منهجية وإجرائية ،وشعر بعضهم بهذا الحرج ،مما اضطر "نالينو" إلى القول بأن هذه الحدود التي ذكرتها لكل عصر ليست إلا حدودا صناعية اصطلاحية ،وقصارى القول أن هذا التقسيم هو وسيلة لتسهيل بيان سير الآداب رقيا أو تقهقرا فحدود كل عصر كالأعلام التي ينصبها أهل البدو ليهتدي بها ابن السبيل[1]

ولم يُنِر المستشرقون أهم مواطن حركة تاريخ الأدب بل تركوها معتمة ،ويتعلق الأمر بالفترة الانتقالية من عصر لآخرفقد اكتفوا بما يشبه التمهيد التاريخي لكل فترة دون بيانٍ لفترة الانتقال على مستوى الأدب .

وغني عن البيان أن الكثير من الأوضاع السياسية تكون عرضة للتقلبات والاضطرابات المفاجئة فعندها يكون اعتبار هذه الأحداث، والتواريخ الفاصلة معالما لحركة الأدب، مما يطرح عدة أسئلة ،فهل أن مثيرات هذه الحركة داخلية ذاتية؟ أم أنها مفروضة من خارج العملية الإبداعية ؟فتتسلل من جهة السياسة حينا أومن بين جنبات المجتمع حينا آخر .

وهذه الحركة في حد ذاتها أين تتبدى قسماتها في النصوص الأدبية أم في الأعلام الذين أنتجوها بتأثيرا ت أجناسهم وبيئاتهم أم عند المتلقين الذين أُنتِجت لهم ؟

---

[1] - نالينو ،م س ،ص48-49 .

وهكذا يتوضح بأن المعالم الزمنية بين العصور الأدبية، وحيثياتها تمثل إحدى معضلات التأليف في تاريخ الأدب حسب منهجية التقسيم إلى عصور.

الفصل الثاني

إجراءات ""بروكلمان" في تقسيم العصور الأدبية

1- **كتاب تاريخ الأدب العربي**

2- **منهج "بروكلمان" في تقسيم العصور الأدبية**

3- **التقسيم السياسي و حركية الأدب عند "بروكلمان"**

تمهيد

1-النموذج:

يعتبر النموذج ركنا مهما في المعرفة الإنسانية العلمية، و الأدبية ،والفنية ، وتعود جذور هذا المصطلح الى أفلاطون الذي اعتبر الوجود وما فيه من موجودات مختلفة الأشكال هي بمثابة نماذج منجزة محققة ،ولكن ناقصة إذا ما قورنت بالمثل الذي حاكته[1].

أما الحقل الذي تجسد فيه هذا المفهوم فهو بالأساس الحقل العلمي والتقني، أين ينظر إلى النموذج على أنه صورة مصغرة للموضوع " Maquette " الذي يراد إنجازه في صورته النهائية، حيث يخضع لقياسات مصغرة ،ويكون بمثابة مرحلة تسبق مرحلة تجسيده في الواقع بأبعاده الحقيقية كما هو الحال في الهندسة المعمارية.

لكن هل يعني هذا أن النموذج لا يُعمل به إلا في المجالات العلمية؟ في حقيقة الأمر انتقل النموذج من المجال العلمي إلى ميادين المعرفة الإنسانية. ولعل الفرق بين المجالين أن النماذج في العلوم الدقيقة ترمي إلى إقرار القوانين و تجريبها، بينما يكون النموذج في الأدب أو تاريخ الأدب هو تثبيت المادة الأدبية ، التي تمثلها النصوص الأدبية المنجزة أو المتحققة على أساس نسق واحد ،فتتمثله في كتب تاريخ الأدب و تسير على خطاه.

وهكذا يكون النموذج محكوم بعوامل الزمن ، فما كان نموذجا في القرن التاسع عشر، قد لا يكون كذلك في القرن العشرين ، فالنموذج ديناميكي جدلي يخضع للتكوين ،و الانباء والتحول ثم التلاشي ، ليظهر بعده نموذج جديد فيه ثوابت ومتغيرات ؛لأن عناصر النموذج الأول قد لا تقوى على مراقبة ذاتها. ،و الإنتاج في دائرته .

و يبنى النموذج في تاريخ الأدب، بعد استقراء كتب تاريخ الأدب ، ويراعى فيه تكرار أهم أركانه في الأعمال اللاحقة ،وذلك بعد النفاذ إلى مكوناته وجمع دقائقه المعرفية على إثر قراءات متعددة ومتتالية تكون بمثابة التجريب .

إن إرساء النموذج يكون بعديا عكس النموذج العلمي الذي يستوجب وضع النموذج قبل الإنجاز ، فالزمن في تاريخ الأدب طويل مكون من مقاطع زمنية تتجسد فيما يصطلح عليه بالحقب أو العصور الأدبية.[2]

---

[1] - أفلاطون ، الجمهورية تقديم جيلالي اليابس الأنيسي موفم للنشر 1990 الكتاب السادس ص 288 – 289 .

[2] - أحمد بوحسن ،العرب وتاريخ الادب ،ص26.

و إذا اعتبر النص حامل معرفة أولى، و الممارسة النقدية هي معرفة المعرفة ،فإن إخضاع معرفة المعرفة للدرس والقراءة هي معرفةٌ في دورها الثالث [1] و هو دور يتطلب معطيات كثيرة و يتميز بحساسية بالغة ،نظرا لحيثيات الأدوار المعرفية الأولى التي تتراكم مضافا إليها متطلبات المعرفة في الدور الثالث .

و لإنجاز هذا العمل يصبح اعتماد النموذج، لا سيما في دراسة تاريخ الأدب، بالغ النفع يسهلّ رصد حركة الأدب و بيان مدى تساوقها مع التاريخ ومع المفاهيم والمؤثرات ذات البعد الإنساني، وكل ذلك في إطار عينة واحدة هي النموذج المختار، و المتجسد في كتاب" ت أ ع" لِـ "ب".

هذه الدراسة ، التي تناولت الأدب العربي من منظور تاريخي تشكلت نتيجة معلمين: أولهما سند إبستمولوجي أملته المسيرة الحضارية الثقافية وفعل التراكمات العلمية لعصر الأنوار في أوروبا، و ما حملته الاتجاهات الفلسفية من ملامح وضعية وتطورية ،إضافة إلى النزعة التاريخية وفعلها في صيرورة الإنسان والبحث عن القوانين المتحكمة في الظواهر الطبيعية [2]

أما المعلم الثاني فيتمثل في توجهات المدرسة الاستشراقية الألمانية التي تتميز كمّا ونوعا عن غيرها من مدارس الاستشراق الأوروبية .

2-المستشرقون الألمان :

توصف توجهات المستشرقين الألمان المتعلقة بدراستهم للحضارة العربية الإسلامية بالاعتدال، إذا ما قورنت بدراسات نظرائهم في دول أوروبية أخرى ، كفرنسا ،و بريطانيا وهولندا ..

و لا يعني أن هذا حكما عاما فمن بين الألمان من اشتط في رأيه، وعلى رأسهم المستشرق الكبير "نولدكه " "Noeldeke " (ت .1930)، و ما صدر عنه في حق الشعر الجاهلي والقرآن الكريم من آراء متطرفة،وفي هذا السياق يُذكر أيضا "فولرز" "Vullers" ت(1880 م) ونظراته في القرآن وتهذيبه[3].

و من الذين تنعت دراساتهم بروح الإعجاب و التقدير، حتى وصل إلى حد التضحية في سبيل أدبنا المستشرق الألماني "رايسكه" " Reiske "ت (1774 م)

---

[1] - محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث، منشورات إتحاد الكتاب العرب دمشق 2004 ، ص 9 .
في القرن19وبداية العشرين كان التنظيم وفق التاريخ والأجناس والأنواع والأصناف في حد ذاته هو العلم كل تواريخ العلوم والآداب كتبت في هذه الفترة

[2] - عبد السلام مسدي ، في آليات النقد الأدبي ، دار الجنوب للنشر تونس 1994 ، ص 85 .

[3] - صلاح الدين المنجد ، المستشرقون الألمان ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ط1 ، 1978 ، 7/1 .

المتفرد في دراسته ،و الذي سمَّي نفسه " شهيد الأدب العربي " ،فقد اعتمد على نفسه واستطاع الإلمام بالنحو العربي ،و كان كلما أمعن في دراسة الكتب العربية ازداد بالعربية ولوعا ،و قام بترجمة بعض النصوص إلى اللاتينية ،و قد أشاد المستشرق "فليشر" بمستوى هذه الترجمة [1]

و كانت عناية "رايسكه" كبيرة بالشعر و أدت آراؤه المنصفة به إلى نقمة اللاهوتيين الألمان عليه فأبغضوه أشد البغض[2] وكان يعبر بصراحة عن آرائه فلا يحفل بالنتائج مما جلب عليه الكساد .

و من المستشرقين الألمان الذين عرفوا بالتفاني "وستنفلد " " F Wustenfeld " ت(.1899م) وقد كُف بصره من كثرة التدقيق، والعمل على نشر النصوص العربية طيلة ستين عاما .فقل نظير أعماله الكثيرة الوفيرة ولا تضاهيها إلا أعمال"غوستاف فلوجيل" [3] .

وفي هذا الإطارتذكر جهود المستشرق الألماني " كريستمان " "Christman "ت(1613م) حتى بلغ به الحرص على طباعة التراث العربي أن أعد بنفسه للمطبعة الحروف العربية في قوالب من خشب ،كما أعد بنفسه كتيبا لتعليم اللغة العربية [4].

ويفوق مجموع ما نشره المستشرقون الألمان من الكتب العربية ما نشره المستشرقون الفرنسيون و الإنكليز معا . وعموما فقد عرف الاستشراق الألماني بالتفاني في العمل و الجلد و التزام المنهج العلمي الدقيق الذي يعتبر عند بعضهم مثالا نادرا غير أنه عند بعضهم الآخر لم يسلم من المآخذ واتسم بالنقص والغلط ، بل وصل إلى حد التجني .

و هذا النقص والغلط والتجني قد نشأ إما عن جهل بأسرار اللغة العربية ،أو عن إيمان بأفكار مسبقة ذات صلة بدوافع غير بريئة أو لكون بعض المستشرقين مارس وبإسراف وتعسف إخضاع التراث العربي لمناهج غربية بنيت دعائمها أساسا من واقع التراث و المعرفة الغربيين .

---

[1] - عبد الرحمن بدوي ،م س ص 298

[2] - يقول فوك عنه "أنه حر التفكير ولم يساير هم في ادعائهم أنّ محمد صلى الله عليه وسلم كان نبيا زائفا وغشاشا وأن ديانته خرافات مضحكة ،ولم يشأ أن يقسم تاريخ العالم إلى نصفين نصف مقدس ونصف دنيوي Profane بل وضع العالم الإسلامي في قلب التاريخ العالمي"الدلراسات العربية في أوربا .

[3] - عبد الرحمن بدوي ، م س ،ص399.

[4] - صلاح الدين المنجد ، م س ،ص7

و من خلال هذه اللمحة الخاطفة يمكن تصور المناخ المعرفي الذي استظل "ب" بظله، والاطلاع على الدوافع الفكرية، و الاستشراقية التي نهل منها، واستقى آراءه، و أفكاره باعتباره أكبر باحث أكاديمي عرفته الجامعات الأوربية و قد تجاوز تأثيره الأوساط الاستشراقية إلى الأوساط العربية . بيد أن التأثير الأكبر" لبروكلمان" على العرب يأتي من عمله الهام المجسد في النموذج المختار لهذه الدراسة الذي لا يكاد أي مؤلّف لتاريخ الأدب العربي لعرب أو مستشرقين يخلو من الإشادة به وبيان فضله. فلايكاد يشذ أحد (عربي و مستشرق)عن الإشادة به وكيْل القريض له .

1-كتاب تاريخ الأدب العربي:

سافر"ب" إلى لندن واستنبول عام 1895 للمساهمة في العمل على مؤلف " ابن سعد " بطلب من" إدوارد زاخاو "Edward sachau" وأمضى الشتاء في استنبول، ولم يكتف بتنفيذ ماطلب منه بل قام بنقل نسخة من عيون الأخبار " لابن قتيبة " وقامت أكاديمية برلين يطباعة مؤلف "ابن سعد".

وظهر المجلد الثامن الذي أنجزه " ب" عام 1904 أما عيون الأخبار فقد وجد ناشرا تعهد بالقيام بتكاليف النشر على أن يعد "بروكلمان" في الوقت نفسه كتابا آخر يكون الإقبال عليه أكبر خاصة و أن عيون الأخبار "متن لايهم إلا عددا قليلا من المختصين وكان هذا بمثابة السبب الخارجي لتأليف كتاب "تاريخ الأدب العربي " الذي اعتمدت عليه شهرة "ب"[1]

و يعد هذا المؤلّف أوفى كتاب أوربي عن تاريخ التراث العربي، فقد غطّى فترة زمنية طويلة ،امتدت من العصر الجاهلي إلى زمن وضع الكتاب وأمضى" ب" قرابة الخمسين سنة في إنجاز هذا السفر الضخم،و الكتاب وضع أصلا بالألمانية بالعنوان التالي :

Geschichte der Arabis chen Litteratur

و يرمز له اختصارا في الأوساط الأكاديمية بـ (GAL)

1-1-قراءة في النسخة الألمانية:

ينظر هذا الكتاب إلى التراث العربي في إطار الحضارة الإسلامية، لهذا استبعد "ب" منه كتابات النصارى و اليهود، التي خصوا بها أبناء عقيدتهم دون غيرهم باعتبارأنهم لم يساهموا في التعبير عن الحضارة الإسلامية .

---

[1] - عمل على نشر الطبقات الكبرى مجموعة من العلماء الألمان تحت إشراف "سخاو" ومنهم "ب"

و قد نشر" ب" الطبعة الأولى من كتابه هذا في مدينة "فايمر" الألمانية بين 1897(– 1902م)، و قد كان للكتاب صدى كبيرا ،فمنذ ظهوره أخذت كتب تاريخ الأدب العربي تصدر تباعا في الشرق و الغرب،و يمكن القول أنها اتسمت بميسم التأثر ب "ب" بصورة مباشرة أو غير مباشرة[1].

وبقي "ب" بعد النجاح الذي أحرزته الطبعة الأولى في عمل دؤوب ، يجمع ويرتب، ويجوب الأقطار، و يراسل الأصدقاء * حتى توافرت له مادة غزيرة تزيد بكثير على مانشره ، في الطبعة الأولى .

---

[1] - "ب" ، (ت أ ع) ،مقدمة المترجم عبد الحليم النجار ، دار المعارف ط4 ،1959 ، 4/1 .

* أنظر الشكل (1)

Halle a.S. 1. Juli 57

الى العلامة الجليل صلاح الدين المنجد

سيدي العزيز بعد التحيات والاحترام فقد تفضلتم بارسال كتاب فضائل الشام ودمشق للكتبي وقد عزمتم على تحقيقه ونشره فاشتهيت قراءته واستنسخت من احاديثه المهمة فتفضلوا بقبول شكري على المنحة الجليلة على اصحاب العلوم العربية ودمتم بالخير

الخالص

Brockmann

Halle/Se. 4. Liebknechtstr. 76 A.E. 57

العلامة صلاح الدين المنجد

تحيات طيبات

واشكر كم خالص الشكر على انكم انبأتموني بجلوس كتابي الاستاذين الجليلين محمد كرد علي في المذكرات واحمد امين في حياتي فاني ما زلت اتوقعها الى الآن كما كثر الكتب الجديدة الخارجة عن المطابع المصرية والشامية وعزّ عليّ ان اقرأها واضيف بضعة اسطر عنها الى دراستي في التراجم الشخصية عند العرب فان تفضلتم بارسالها الى شكرتكم خالص الشكر

دمتم بخير وتقبلوا خالص الاحترام

الخالص

Brockmann.

رسالتان من الاستاذ بروكلمن الى صلاح الدين المنجد

*-الشكل 1
عن صلاح الدين المنجد ،المستشرقون الألمان ،ص154.

فما كان منه إلا أن نشر ذيلا للكتاب في ثلاثة أجزاء أولهما سنة 1937 ،والثاني في سنة 1938 ،و الثالث سنة 1942، و كان النشر في " ليدن " ثم نقح الجزأين الأصليين، و نشرهما مرة أخرى، و قد وضع أرقام الطبعة الأولى على هامش الطبعة الجديدة ،و طبع الجزء الأول سنة 1943 والثاني سنة 1949 في ليدن[1].

و نجد أن الكثير من الدارسين، يولي الجانب الفهرسي من مؤلف"ب" هذا عناية فائقة، لدرجة اعتباره مقصدا في حد ذاته ،غير أن حقيقة الأمر تبين بأن هذا الإجراء لا يعد و أن يكون خطوة ضرورية في سبيل تجسيد قراءة تاريخية للأدب و عصوره وفق منظور عام ، فجمع الوثائق المخطوطة والمطبوعة و التأكد من صحة نسبتها لأصحابها ،ومقارنتها بعضها ببعض هي بمثابة خطوة تأسيسية لا يمكن لمؤرخ الأدب أن يتجاوزها أو يقلل من خطرها .

و في هذا الصدد سعى" ب" إلى الاطلاع على كافة الفهارس بالمكتبات التي عرفت في عصره ،و شرع في إفراغ جميع محتوياتها ،فاستخدم بطاقات يدون عليها اسم الكتاب، ومؤلفه ،ورقمه في المكتبة التي يوجد بها إن كان مخطوطا ، وإن كان مطبوعا يشير إلى تاريخ و مكان طبعه .

و لتوثيق هذه الكتب قام بالبحث عن تراجم المؤلفين ، فاستعان بكتب التراجم ،و الطبقات للعرب القدامى ك"ابن سلام"،و"ابن النديم" ،وراجع في سبيل ذلك عددا كبيرا من الكتب ،و المقالات العلمية التي تناولت التراث العربي في مختلف المجالات، و في خطوة تالية قام بتصنيف هذه البطاقات بحسب العصور التاريخية، و السياسية ،و في كل عصر بحسب الموضوعات المختلفة التي ألّف فيها باللغة الغربية ، وتحت كل موضوع يذكر الأشخاص الذين كانت لهم جهود في هذا الموضوع وذلك وفق ترتيب زمني، أو حسب المدارس التي ينتمون إليها[2].

وقد قسم "ب" كتابه(الأصل الألماني) إلى أربعة كتب وكان تقسيمه للكتاب تقسيما زمنيا ،وأدخل في كل فترة مباحث كل علم وقد استقل عن غيره من العلوم ،فالتقسيم الأكبر زمني (عصور) والتقسيم الداخلي موضوعي ،وتناول :

الكتاب الأول : أدب اللغة العربية الأمة من أوليته إلى سقوط الأمويين (150 قبل هـ إلى132 هـ)

وخصص هذا الجزء للحديث عن أوليات الشعر العربي إلى سقوط دولة الأمويين ،وتوزع هذا الجزء إلى ثلاثة أبواب ،يحوي كل باب منها عشرة فصول فاقتصر الباب الأول على المدة التي سبقت الإسلام ،فتحدث فيه عن اللغة العربية وأوليات الشعر العربي،وقوالبه ،وطبيعته،وروايته،و مصادره،وعن الروايات

---

[1] - رمضان عبد التواب ، م س ص 61.

[2] - م،ن،ص،ن.

للقصائد الطوال كالمعلقات أو السموط ،وشرع بعدها في عرض شعراء الجاهلية حسب، الأهمية ،والمكانة.

أما الباب الثاني فقد خصصه للحديث عن عصر النبي صلى الله عليه وسلم فتطرق للقرآن الكريم وتفسيره ،وقصص الأنبياء ،وما إلى ذلك من القضايا التي تحدث عنها القرآن الكريم.

كما تعرض إلى بعض الشعراء أمثال "حسان بن ثابت"و"كعب بن زهير"وغيرهما من الشعراء المخضرمين..

أما الباب الأخير فتعرض فيه لعصر الأمويين فتحدث عن شعرائهم وشعراء الأحزاب،المناوئة لهم كشعراء الخوارج وشعراء الشيعة ...وختم هذا الباب بالفصل العاشر الذي تحدث فيه عن النثر الأموي .

الكتاب الثاني: منذ بداية العصرالعباسي سنة 132هـ إلى سقوط بغداد في يد المغول سنة 665 هـ ،وقد قسم هذا الكتاب إلى مرحلتين :الأولى تنتهي حوالي سنة 400هـ، واعتبر هذا العصر هو عصر النهضة العربية ،غير أنه رد سبب هذا التألق إلى الدور الفارسي في إثراء الأدب العربي ،وامتد تأثير العجم إلى أبواب العلوم الأخرى التي نمت نموا عجيبا في ذلك العصر .

أما المرحلة الثانية فتبدأ من نحو 400 إلى 656 هـ ،واعتبر أن التدهور الذي أصاب الخلافة العباسية قد انعكس على الأدب ،وقد وصل هذا التدهور مداه باكتساح المغول للخلافة العباسية ،لكن يذكر بعض الإستثناءات التي بلغ فيها الأدباء درجة الإجادة.

وهناك فرق في طبيعة التراث بين العصر العربي الوطني –وفق تعبير "ب"–وعصر التراث الإسلامي العربي ،فقد كان الشعر يحتل مكانة الصدارة في أولهما ،وتنوع التراث في الثاني ليضم إلى جانب الشعر أعمالا في النثر الفني ،وعلم اللغة والنحو ،والتاريخ ،وأدب المسامرات ،والحديث والفقه ،وعلوم القرآن الكريم ،والعقائد ،والتصوف ،والفلسفة والرياضيات ،والفلك والجغرافيا ،والطب ،والعلوم الطبيعية ،فذكر"ب"مؤلفات كل فرعمن هذه العلوم بجانب حديثه عن حركة الترجمة ،والموسوعات .

الكتاب الثالث : ويبدأ من حكم المغول إلى سنة 1949 وهو مقسم إلى ثلاث ؛الأولى من الغزو المغولي حتى فتح مصر على يد سليم الأول سنة923هـ وكان عرضه لهذه المرحلةعلى أساس العلوم المختلفة في كل إقليم على حدة فجعل مصر والشام وحدة جغرافية وحضارية واحدة ، وأفرد للعراق والجزيرة بابا ثانيا ،وتناول في الأبواب التالية المناطق الآتية :شمال الجزيرة العربية ،جنوب الجزيرة العربية،إيران

والهند والترك والدولة العثمانية ،والمغرب العربي ،وإسبانيا الإسلامية ،وبهذا أدخل البعد الجغرافي إلى عرضه فصار بعدا جديدا منضويا تحت العصر وينضوي تحته العصر وينضوي تحته الفرع من فروع العلم .

أما المرحلة الثانية فتناول بالمنهج نفسه التراث العربي من دخول سليم الأول مصر إلى حملة نابليون سنة1798م واعتمد على التقسيم الجغرافي في عرضه لهذه المرحلة ،ويلاحظ في هذه المرحلة أنّه أفرد فصلا للسودان ضمن العصر الجغرافي ،وهو في هذا يراعي طبيعة التراث الذي كان يقوم بتصنيفه .

وكانت المرحلة الثالثة مخصصة لما بعد حملة نابليون ,وكان حديث "ب" مفصلا عن مصر وسوريا ،وأقل تفصيلا عن العراق ،وتضاءلت المادة أمام "ب" وهو يبحث عن التراث العربي في جزيرة العر وإيران ،وأفغانستان ،والهند والمغرب والسودان .

أما الملحق الذي أعدّه"ب" فاستغلّ فيه ما جمعه من مادة إضافية ،وأكمل فيه ما فاته في العمل الأصلي من ذكر المؤلفات أو إكمال المخطوطات .،وخصص "ب"في هذا الملحق كتابا رابعا.

الكتاب الرابع : و هو خاص بالأدب العربي الحديث في مصر منذ الاحتلال الإنجليزي و كذلك سوريا و المهجر و العراق و الجزيرة العربية و المغرب وتظهر تبعية "ب" لعوامل السياسة ومتغيراتها ،فيجعلها مؤشرات لحركية الأدب .وسيأتي التعليق والتوضيح على هذه الكتب أثناء مناقشة تقسيم "ب" للعصور الأدبية .

و الملاحظ أن مواضيع الجزء الأول و الثاني الأصليين موجودة في الجزأين الأول و الثاني من أجزاء الذيل مع الزيادات و التصويبات و قد أشار" ب" في أجزاء الذيل إلى أرقام صفحات الجزأين الأصليين، بحيث يسهل على الباحث العثور على الموضوع الذي يريده بسهولة .

ونشير أيضا إلى أن الكتب الثلاثة الأولى موجودة في الجزأين الأول ،و الثاني من الذيل ،أما الكتاب الرابع الذي موضوعه الأدب العربي الحديث ،فقد اختص به الجزء الثالث من أجزاء الذيل ،و فضلا عن ذلك فإن هذا الجزء يحتوي على ثلاثة فهارس مهمة للكتاب كله بأجزائه الخمسة ، الأول منها لأسماء المؤلفين ، والثاني لأسماء الكتب ،و الثالث لأسماء الناشرين والمحققين الأوروبيين، و تم ترتيب الأسماء في كل فهرس على نظام الأبجدية اللاتينية، و عمد" ب" إلى الإشارة في الفهارس إلى الأجزاء الأصلية بالحرف (G) اختصار

لكلمة Grunduek الألمانية ومعناها الكتاب الأصلي، كما يشير إلى أجزاء الذيل بالحرف (S) اختصار لكلمة Supplement بمعنى الذيل أو الملحق[1].

فإذا وجدنا أمام إسم عبد الملك بن قريب الأصمعي الرموز التالية : S1; G1 104 163 فهذا يعني أن الأصمعي يوجد عنه كلام في الصفحة 104 من الجزء الأول الأصلي ،وصفحة 163 من الجزء الأول من الذيل [2].

1-2-ترجمة الكتاب إلى اللغة العربية :

كتاب" تاريخ الأدب العربي "ل " ب" وضع بالألمانية لدراسة الأدب العربي، و لا خلاف بأن الترجمة فن صعب، و أصعب أنواعه هو الترجمة الأدبية لا سيما الشعرلأنه يفقد الكثير من رونقه .

وتطرح الترجمة الشعرية صعوبات جمة ،مما يجعل القارئ دوما يشعر بأنها تختلس ما هو جوهري في الأثر الأصلي [3]،أين ينفتح النص الشعري على تعدد المدلولات ،و تحيل بدورها إلى تعددية القراءة ،مما يجعل مهمة الترجمة محفوفة بالمخاطر،فتصبح ممارسة تأويلية تتطلب إنتاجا ، و توليدا للنص من جديد .

و تزداد هذه المخاطر أو تقل حسب لغة المصدر، و لغة الهدف ، و قد تكون العملية أقل صعوبة إذا كانت اللغتان تنتميان إ إلى عائلة واحدة أين تتقارب الخصائص اللغوية، و الثقافية والعادات و الأعراف الاجتماعية و العكس صحيح .

و للجاحظ رأي في هذه القضية مفاده أن الشعر لا يستطاع أن يترجم ،ولايجوز عليه النقل و متى ما حول من لغة إلى أخرى تقطّع نظمه و بطل وزنه ،وذهب حسنه ،و سقط موضع التعجب منه[4].

وحجة الجاحظ فيما ذهب إليه قوية استند فيها إلى النظم و الأوزان والحسن ، فإذا سقطت هذه العناصر من الشعر فقد الكثير من مقوماته الفنية والجمالية والموسيقية ، فما الشعر إلا فن جميل .

---

[1] - رمضان عبد التواب م س ص 63 .

[2] - م ن ،ص ن.

[3] - ادموند كاري ،الترجمة الأدبية ،ترجمة عبد النبي ذاكر ،مجلة المترجم،ع12 سنة2005 ،جامعة وهران ،دار الغرب للنشر والتوزيع ص193.

[4] - الحيوان الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون شركة مصطفى البابي الحلبي ،مصر ، ط 2 ص 75 .

و الموضوع الذي يفرض نفسه في هذا المقام هو-لا محالة- تراجم المستشرقين للأدب العربي، و دراسا تهم له .،وفي هذا الإطار تصبح الترجمة ذات طابع إشكالي، خاصة عندما يتعلق الأمر بنصوص إبداعية ، وفي مقدمتها الشعر، مما يتطلب في المترجم إلى جانب الإحاطة بلغة المصدر طاقة تصويرية و تخيلية فائقة، ودراية عميقة بخفايا اللغة العربية، و خبايا نفوس الناطقين بها ،وهي شروط لم تتوفر للكثيرمن المستشرقين.

وعلى الرغم من هذا العجز لم يتردد المستشرقون -بل أقبلوا بنهم -على التراث العربي يترجمونه ،و.خلل كبير، ومجحف أن يتصدى مستشرق لترجمة قصائد فحول شعراء الجاهلية ،بمؤونة لغوية عربية زهيدة، لم يبذل في تحصيلها إلا بضعة شهور ،و الأعجب من ذلك أن تعتمد مثل هذه الترجمات على مافيها من هنات في أهم الدراسات الأدبية.

ويكفي حجة وبرهانا إلقاء نظرة على الفهارس الضخمة الموجودة في كتاب" ت أ ع" ل" ب" ،والمترجمة في معظمها ،لتتضح خطورة هذه القضية على الأحكام التي خلص إليها، و الآراء التي تبناها ،ويعترف واحد من أبرز المستشرقين ،وهو" نولدكه"بصعوبة التوغل في الحكم الدقيق على القصائد العربية بالقدر الذي يتأتى للنقاد العرب؛ لأن ذلك يحتاج إلى معرفة بدقائق اللغة العربية والاستعمال الشعري وهو الأمر الذي يعجزعنه أي أجنبي [1].

و تبدو علاقة الترجمة بكتاب " ب" وثيقة الصلة، إما بشكل مباشر مع النصوص والدراسات العربية قديمها و حديثها ،و إما بطريق غير مباشر عن طريق ترجمات المستشرقين لنصوص الأدب العربي، و دراساتهم لها ليعتمد عليها في هذا الكتاب المصنف باللغة الألمانية ،والمخططان التاليان يبينان وجود مسارين للترجمة:

---

[1] - تيودور نولدكه ،مقال ضمن كتاب عبد الرحمن بدوي ، دراسات المستشرقين للشعر الجاهلي،دار العلم للملايين،ط1 ،1979.

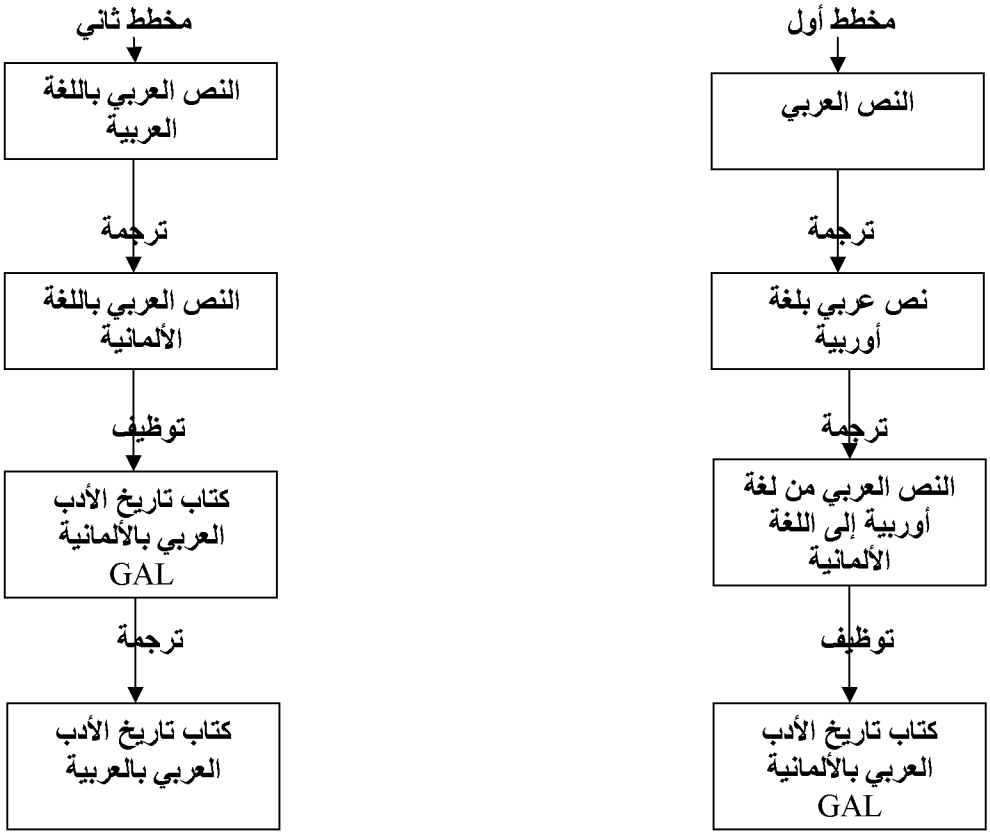

1-اعتمدنا في هذا المخطط على كتاب تاريخ الأدب العربي لبروكلمان.

من خلال المخطط الأول : تتضح المراحل التي مر بها النص العربي، إلى أن وصل إلى المتلقي العربي، من خلال الترجمة العربية لكتاب "ت أ ع"إذ أن "ب" وظف النص الذي وجده بلغة أوربية في دراسته،وذلك بعد أن ترجمه إلى اللغة الألمانية، ثم يتلقاه القارئ العربي بعد ترجمة الكتاب برمته إلى اللغة العربية .

أما المخطط الثاني :

ففيه وظف "ب" النص العربي باللغة الألمانية في دراسته، ليُتَـرْجَم الكتاب برمته الى اللغة العربية .

فإذا كانت الترجمة من لغة إلى لغة قد تُفقد النص الكثير من أصالته، فيمكننا أن نتصور مقدار ما يحدث للنص العربي في رحلته الترجمية، بعد أن يمربعدة أدوار

للترجمة، فإذا أعيد في الدور الأخير إلى لغته الأصلية غالبا ما يصل إلينا كائنا آخر يختلف عن أصله .

و بالعودة إلى فهارس" ب" ،و لنأخذ مثلا من النصوص المترجمة إلى الألمانية[1]
المعلقات السبع نشرسير"ارنولد" ليبزج 1850 م
Septem Moallakat ed .F.Arnold,Lipsia 1850
والترجمة الانجليزية للسيدة "بانت" و نظمها من طرف مستر، بلنت،
The seven golden Odes of pagan Arabia ,known also as the Moallakat transl from the original ar bay lady Anne Blunt , London 1903

فتبدو الأدوار الترجمية التي مرت بها المعلقات حتى تصل إلى الألمانية التي بني عليها"ب"أحكامه كأنها نوافذ بزجاج نصف شفاف فتتراءى صورة لا تنطبق تماما مع الأصل، فهذه عيّنة من القضايا الترجمية في هذا الكتاب .

ولا يمكن أن تغض هذه المشاكل من قيمة الكتاب، الذي- نظرا لأهميته- سعى العرب بدورهم يترجمونه إلى اللغة العربية، و قد كانت مهمة شاقة وطويلة، فقد شرع في هذا العمل د. عبد الحليم النجار، و ذلك في حياة مؤلفه تحت إشراف الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ،فسلك فيه "النجار" طريقة المزج والتأليف بين الكتاب الأصلي و ملاحقه ،و هذه الطريقة في الترجمة ارتضاها" ب"، وساهم في وضع خطتها بعد أن حصلت الإدارة الثقافية على موافقته، و إذنه بالترجمة سنة 1948 .

و قد صدرت الترجمة من دار المعارف في أجزاء ،و رقم الإيداع الدولي للكتاب هو 1977/4554 أما ترقيمه الدولي فهو ISBN 977-247-29-0 [2]

و استغرقت المرحلة الأولى من الترجمة ستة أجزاء من القسم الأول قام عبد الحليم النجار بعبء ترجمة ثلاثة أجزاء و لما توفاه الله تولى د. رمضان عبد التواب و د.سيد يعقوب بكر ترجمة الجزء الرابع و الخامس و السادس .

ثم توقف المشروع ردحا من الزمن، لتستكمل و يصدر القسم الثاني من الكتاب بالعربية سنة 1993، و ضم الجزءين الثالث و الرابع المترجمين سابقا،و ضم القسم الثالث الجزءين السابقين أي الخامس و السادس ،و صدر القسم الرابع الذي يتكون من الجزء السابع و الثامن و القسم الخامس الذي تكون من الجزء التاسع ،و بذلك

---

[1] - ب ، ت أ ع ، 1 / 69 .
[2] - م ن، 320/1

يكون قد انتهى المجلد الأول من كتاب تاريخ الأدب العربي، و استمر العمل فيه مدة أربعة وثلاثين عاما، و بعد صدور الطبعة الألمانية بمدة خمسة و تسعين عاما .[1]

ثم أصدرت هيئة الكتاب في القاهرة من محتويات المجلد الثاني من "ت أ ع "لِـ" ب" الذي ضم من الجزء العاشر حتى الجزء الخامس عشر، و ذلك إلى غاية 1999 وقد ساهم عشرة مترجمين في نقل هذا الكتاب من الألمانية إلى العربية [2]
و لا يمكن المقارنة بين عدد صفحات الكتاب باللغة الألمانية ،و ما ترجم باللغة العربية فالتقدير الكمي لا يعبر عن حقيقة الأمر بشكل دقيق لأن المترجمين في غالب الأحيان اعتمدوا طريقة المزج ،والتأليف بين الكتاب الأصلي و ملاحقه ليتوصلوا إلى كتاب موحد النسق متصل الموضوعات.

1-3-منحى تاريخ الأدب العربي عند "بروكلمان" :

يعتقد "ب" أنه يمكن إطلاق لفظ أدب«بأوسع معانيه على كل ما صاغه الإنسان في قالب لغوي ليوصله إلى الذاكرة »[3] وبهذا فهو يعتمد المعنى العام للأدب

ويرى تبعا لذلك أنه إذا كان تاريخ إحدى اللغات الميتة لا يمكن قراءته إلا من خلال آثارها الباقية ،عدت عندئذ النقوش، و الوثائق والرسائل وما شابه ذلك من آداب تلك اللغات ،أمّا إذا تعلق الأمر بلغة واسعة الانتشار كالعربية بثروتها اللغوية، والمعرفية الزاخرة، فعندها يكون الأدب هو كل ما وصل إلى السامعين، والقارئين وانتشر صداه بين الناس، فأثر في مشاعرهم أو زاد من معارفهم .

ومن ثمّ فإن اقتصار الأدب على الشعر في كتابة تاريخ الأدب العربي لن يكون مجديا في سبيل تحقيق غاياته ،لأن الشعر وحدَه لا يعطينا صورة كاملة عن نمو الثقافة الإنسانية، فمن الضروري أخذ كل ما أنتجه العلماء بعين الاعتبار ؛لأن اللغة العربية تجمع شعوبا كثيرة تُنتِج بهذه اللغة ،لهذا يتوجب على مؤرخ الأدب العربي إدخال كافة ظواهر التعبير اللغوي في دائرة عمله، ولا يقتصر على فن القول في نطاق أضيق إلا في العالم الحديث الذي يقترب فيه العالم الإسلامي من الثقافة الاوربية[4].

وبهذا الطرح جعل" ب" مفهوم الأدب العربي يضيق حينا ويتسع أحيانا أخرى حسب ما تنتجه الحضارة العربية الإسلامية ،فنجده حتى نهاية الحكم الأموي يقتصر

---

[1] - محمد سيد دغيم ،واقع التجزئة العربية وانعكاساته على فهرسة التراث ،جريدة الحياة ،صفحة التراث ،ع15285 / 2005-02-05 ،

[2] - قائمة المترجمين الذين ساهموا في نقل كتاب "ت أ ع" ل "ب" ، كتبت في صفحة التقديم ،في طبعة جديدة 1993، ،التي أشرف عليها د فهمي حجازي.

[3] - ب م س ،1/3. .

[4] - م ن ،1/4.

على الشعر ،ولا يعير النثر كبير اهتمام ،بينما يتسع مفهوم الأدب مع العصر العباسي ليضم كافة العلوم الدينية، والدنيوية ويستمر هذا الوضع حتى بداية العصر الحديث الذي سلّمت فيه اللغة العربية تَركتها إلى لغات الأمم التي جاء دورها لتُسْهم بقسطها في قيادة ركب المدنية

وهكذا عادت اللغة العربية كما بدأت لغة محلية ينحصر أدبها الخاص في فن القول وصناعة البيان تتجاذبها نزعتا القدم والحداثة وتبعا لهذا التصور يتوجب عرض رؤية "ب" حول اللغة العربية، التي صيغ بها هذا الأدب الممتد زمنه لأكثر من أربعة عشر قرن .

1-4-اللغة العربية:

ويرى"ب" أنه على الرغم من التشتت الظاهري للعرب قبل الإسلام فقد ربطت بينهم وحدة معينة في الأفكار والديانة والعادات جعلت منهم أمة واحدة، ودليل ذلك لغة شعرهم التي كانت لغة فنية قائمة فوق اللهجات وإن غدّتها جميع اللهجات[1]

ومنطق الأمور يبين بأن تكلم أي شعب بلغة واحدة أو تواضع شعرائها على لغة فنية واحدة لا يعني بالضرورة قيام وحدة ترقى إلى الإحساس بمفهوم الأمة الواحدة . ويظهر بأن العرب لم يكن لهم شعور قوي بأنهم أمة واحدة ،و إنما كان شعور الفرد بالقبيلة هو الغالب، وما يرجح صحة هذا القول ذلك الكم الهائل من الشعر القبلي ،فالعربي يمدح قبيلته ويتغنى بانتصاراتها ،ويهجو أعداءها من القبائل الأخرى ،وقلّما وجدت أشعار فيها التغني بالعروبة والافتخار على الأمم الأخرى[2].

وحتى الوحدة في الديانة ،والعادات بين العرب، فمقولة فيها نظر ؛فعلى الرغم من أن الوثنية دين غالب بين عرب الجاهلية ،فقد كانت معبوداتهم مختلفة ،وتتفاوت درجات تدينهم، فما نجده من إجلال للأصنام في "مكة" لأنها تمثل المركز الديني للعرب لانجده بنفس القدر في مضارب قبائل أخرى.

ويتجلى ذلك واضحا في الشعر الجاهلي الذي تقل فيه الإشارة للحيا ة الدينية و"ب" نفسه يذكر أن«الشعور الديني لم يكن غالبا على نفوس الجاهليين »[3]،مع وجود لفئات نصرانية ومجوسية ,وبقايا من متبعي الحنيفية ،ولو كان مفهوم الأمة حيا في نفوس عرب الجاهلية لما نشبت كل تلك الحروب الطاحنة ، التي قد يستعان فيها أحيانا بعناصر غير عربية، كما فعل امرؤ القيس في ثأره من بني أسد بعد

---

[1] - ب ، م س 42/1.

[2] - أحمد أمين ،ضحى الإسلام ،مكتبة النهضة المصرية ،ط7 ،1933، 17/1

[3] - ب ،م س، 66/1

قتلهم لأبيه فقد سار إلى القيصر "بوستبيانوس "في القسطنطينية، الذي وعده بأن يساعده على الثأر لوالده ،كما يقول المؤرخ الرومي "نونوز"[1] ، ولم يعب عليه أحد من معاصريه ذلك بداعي أن العرب أمة واحدة ،وقد قال واصفا توجهه إلى قيصرمستنجدا على بني أسد[2].

إذَا نحن سِرنَا خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً وَرَاءَ الحِسَاءِ مِنْ مدافِعِ قَيْصَرَا
وَكُنّا أُنَاسًا قَبْلَ غَزْوَةِ قَرْمَلٍ وَرِثْنَا الغِنَى وَالمَجْدَ أَكْبَرَا أَكْبَرَا

ونجده لايتردد في الفخر بصنيعه فيواصل قائلا[3]:

فَدَعْ ذا وَسَلْ الهَمّ عَنْكَ بِحَسْرَةٍ ذَمُولٍ إذَا صَامَ النَّهَارُ وهجَرا
تُطَايِرُ ظِرّانَ الحَصَى بِمَنَاسِمٍ صِلابِ العُجَى مَلْتُومُهَا غَيْرُ أَمْعَرَا
عَلَيْهَا فَتًى لَمْ تَحْمِلِ الأَرْضُ مِثْلَهُ أَبَرَّ بِمِيثَاقٍ وَ أَوْفَى وَ أَصْبَرَا
هو المُنزِلُ الآلافَ مِنْ جَوِّ نَاعِطٍ بَنِي أَسَدٍ حَزْنَا مِنَ الأَرْضِ أَوْعَرَا
شَاء كَان الغَزو من أرض حمير ولكنه عمدا إلى الروم أنفرا

و كثيرا ما يربط "ب" مبحث اللغة العربية بعنصري البيئة والعرق تأسيا بالناقد الفرنسي" تين" ،الذي بنى منهجه على ثلاثة أسس :العرق والبيئة و العصر، فقد أشار إلى مؤثرات المحيط الخاصة بالمؤلف والتي ينبغي بذل جهد لتحديد أثرها في استعداده الخاص[4].

ويتضح كيف أن "ب" لايدخر جهدا في سبيل الإحاطة بهذه العناصر فيبحث في مدى نقاوة الدم العربي، أو امتزاجه بعناصر إثنية أخرى، ويدقق في وصف تضاريس بلاد العرب، وما اتسم به عصرهم من مؤثرات انعكست آثارها على لغة الأدب،هذه اللغة التي يرى أنها قد استوعبت كل خصائص الأصل "السامي" أكمل استيعاب ،ولم تضارعها لغة من نسبها السامي في مرونتها ،ودقتها في التعبير عن العلاقات التركيبية، وهي مع واقعيتها في وصف الأشياء تتأجج بروحانية تمكنها من التعبير عن أرق أحاسيس الحب، وأقوى خوالج الشعور بكرامة الرجولة[5].

والكاتب ليس مجاملا في حمل اللغة العربية على أعناق بقية اللغات السامية الأخرى ، فقد توصل إلى هذا الحكم من واقع تخصصه في اللغات السامية «إذ أن

---

[1] - بطرس البستاني ،أدباء العرب في الجاهلية والإسلام ،مكتبة صادر ،بيروت ،ط6 ،1953 ،ص120.

[2] - لويس شيخو، شعراء النصرانية ،مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين ،بيروت ،1890 ،45/1مدافع قيصرا:أعماله وما اتصل ببلاده وما دفع عنه ليحميه .

[3] - م ن، 46/1.،معنى (صام النهار) قام واعتدل ،قوله (هو المنزل الآلاف من جو ناعط) يفخر على بني أسد ويُخوفهم منه ،وناعط حصن بأرض همذان وقوله (حزنا من الأرض)أن عليكم يا بني أسد بالنزول لما غلظ من الأرض وخشن و التحصن بالجبال .

[4] - ب ، ت أ ع ،6/1..

[5] - م ن ،43/1.

العلاقات القائمة بين اللغات السامية ولغات شرقي وشمالي إفريقيا ظلت تشغله طول حياته»[1]

ومن جهة أخرى فهو يعتقد بأن ماتتصف به هذه اللغة من ثراء لا يعد أمارة على ثقافة عقلية رفيعة، فالعرب الرحل مثلهم مثل الشعوب المزاولة للصيد ،والقنص يحسنون ملاحظة أدق صفات الحيوان وخصائصه ، ويسموها تسمية دقيقة.

و على الرغم من هذا بقيت-حسبه- اللغة العربية عاجزة على اختراع ألفاظ تدل على المعنويات العامة، والمدارك الكلية، بل اكتفت بالإكثار من الصفات، والخصائص، وقد استخدم الشعراء هذه الثروة اللفظية، وأعاروها جاذبية شعرية لمدة من الزمن، ثم انتابها الشحوب، والاضمحلال عندما جمدت هذه اللغة في أيدي المقلدين[2].

وكان الأجدر أن يربط "ب" بين آداء اللغة العربية، والناطقين بها ،فالعجز لاينسب للغة ما بمعزل عن أحوال أهلها ،لأنه في عصور تالية لم تجد اللغة العربية أي صعوبة في تحمل تكاليف الحضارة، إذ استوعبت العلوم المختلفة بكل رحابة ،وقد أفرد "ب" في كتابه قسما للمترجمين وترجماتهم للعلوم إلى اللغة العربية[3].

2- منهج بروكلمان في تحقيب تاريخ الأدب:

و يتضح من خلال كتاب "ب" "ت أ ع "، وطريقة ترتيب أجزائه أنه اتبع منهجا تاريخيا، اتكأ فيه على تقسيم خارجي مبني على التحقيب السياسي (غالبا) ،وتقسيم داخلي يقوم على الموضوعات.

ومنهج" ب" واحد يبدأ بنبذة في تاريخ العلم يليها ذكر الشخصيات الأدبية، والعلمية، ويذكر شيئا عن حياته العلمية، ويسرد مصادر ترجمته، ومؤلفاته من مخطوط ،ومطبوع .

و هكذا فإن هذا الكتاب يمثل مرحلة مبكرة لتجسيد قراءة تاريخية للأدب العربي ، وهي قراءة تحاول مدارسة الظاهرة الأدبية، وتفسير نشأة الأثر الأدبي ، وربطه بزمانه ،وبيئته ،وشخصياته ،فتعتمد على المادة لأدبية ،والمعرفية ،وتستعين بالتاريخ، الذي يعبر جوهره عن الذاكرة الإنسانية باعتبار أن تاريخ الأدب جزء من تاريخ الحضارة[4].

---

[1] - يوهان فوك ،كارل بروكلمان مقالة ضمن كتاب صلاح الدين المنجد ،المستشرقون الألمان ،ص155.

[2] - ب ، ت أ ع ،ص43.

[3] - م ن ،4/89-124

[4] - لانسون ،منهج البحث الأدبي ،ضمن كتاب محمد مندور ،النقد المنهجي عند العرب ،ص397 .

هذا المنظور الغربي قد اعتمده "ب" في قراءته ل"ت أ ع" ،وبنفس الأدوات المنهجية، و الإجرائية التي اعتُمدت في قراءة الأدب الأروبي ،و أبرزها التحقيب السياسي الذي يجعل عصور التاريخ السياسي عصورا لتاريخ الأدب العربي .

و قد انفرد "ب " بتقسيمه العصور الأدبية إلى قسمين رئيسين؛ لأنه يعتقد بأن الإسلام لم يؤثر تأثيرا عميقا في الشعراء العرب، و يرى تبعا لذلك أن شعراء العصر الأموي قد سلكوا مسالك أسلافهم الجاهليين، لاعتقاده أن روح الإسلام لم تسد حقا، و لم يؤثر الإسلام تأثيرا عميقا في شعر العرب إلا بعد ظهور العباسيين[1] ،لهذا نما في عهد العباسيين أدب إسلامي بلسان عربي ، فقسم بناء على ذلك التاريخ الأدبي العربي إلى مرحلتين أساسيتين :

1- أدب الأمة العربية من أوليته إلى سقوط الأمويين سنة 132 هـ/750م

ثم عاد وقسم هذه المرحلة الى أقسام هي :

1-1- الأدب العربي إلى ظهور الإسلام

1-2- محمد "صلى الله عليه وسلم " و عصره

1-3- عصر الدولة الأموية

وهو يعني ب" أدب الأمة العربية" الأدب الذي يعبر تعبيرا مباشرا عن الروح العربية البدوية، قبل اختلاطها الشديد بالعناصر غير العربية،وتدوم هذه المدة إلى غاية سقوط الدولة الأموية ،وأفرد "ب" لمحمد صلى الله عليه وسلم، ولعصره، ومن به من الشعراء فصولا أخرى .

وامتد هذا الصنيع ليشمل كذلك فصولا أخرى من العصر الأموي تدخل في القسم الخاص بأدب الأمة العربية، ذلك العصر الذي كان حُكَّامه مرتبطين أشد الارتباط بحياة البادية ،وبمثلها وبلغتها،وبانتهاء الحكم الأموي ينتهي في رأي" ب" عصر الأدب العربي الوطني الذي كان يحتل فيه الشعر مكان الصدارة .

وتنوع التراث في العصر الإسلامي ليضم إلى جانب الشعر أعمالا في النثر الفني ،وعلم اللغة، والنحو، والتاريخ، وأدب المسامرات ،والحديث، والفقه بمذاهبه المختلفة، وعلوم القرآن الكريم والعقائد والتصوف والفلسفة والرياضيات والفلك والجغرافيا والطب والعلوم الطبيعية، وذكر مؤلفات كل فرع من هذه العلوم بجانب حديثه عن حركة الترجمة والموسوعات[2].

2 -الأدب الإسلامي باللغة العربية

---

[1] - ب ،ت أ ع ،36/1

[2] - م ن ،مقدمة المترجم ،1/ ك.

بدأ مع العباسيين عصر جديد نما فيه أدب إسلامي بلسان عربي سمته الأولى هي العقيدة الإسلامية والتي تربط بين كل الأدباء والمؤلفين من فرس وترك ،وبدو ومصريين ،ومغاربة فكانت بذلك العربية لغة التعبير عن هذه الحضارة.

وشرع" ب "في تناول الحياة العقلية بالوصف، والنقد،والتحليل ،فعرض الفنون، والعلوم ،وترجم مشاهير العلماء ،والكتاب والأدباء
مصحوبة بكل ما وقف عليه من آثارهم في مكتبات الشرق والغرب وما أثير حولها من دراسات[1].

وتنوع التراث في العصر الإسلامي ليضم إلى جانب الشعر أعمالا في النثر الفني ،وعلم اللغة، والنحو، والتاريخ، وأدب المسامرات ،والحديث، والفقه بمذاهبه المختلفة، وعلوم القرآن الكريم، والعقائد ،والتصوف، والفلسفة، والرياضيات ،والفلك ،والجغرافيا ،والطب ،والعلوم الطبيعية، وذكر مؤلفات كل فرع من هذه العلوم بجانب حديثه عن حركة الترجمة والموسوعات [1].

ولم يستمر الإزدهار الحقيقي للأدب العربي أكثر من ثلاثة قرون، حتى لقيت الثروة المادية، و الحياة العقلية تدهورا ،وذلك مع اضمحلال الوحدة السياسية للدولة العباسية،التي سقطت على يد المغول ،إلا أنه يعتقد أن الأدب العربي بوصفه بنية فوقية لم يمت بعد هذه العواصف، ولكنه أصيب بالجمود منذ ذلك التاريخ .

وعلى الرغم من أن الشعر قد فقد الكثير من أصالته إلا أن تأثيره التربوي في الشعوب التي دخلت الإسلام كان محمودا، ويعتبر "ب" أن أهم حدث سياسي في ذلك العصر هو دخول السلطان العثماني "سليم الأول" مصر ، فوحد الشعوب الإسلامية من أهل السنة في دولة واحدة حول شرقي البحر الأبيض المتوسط، ويمتد هذا العصر إلى أواسط القرن التاسع عشر ميلادي، الذي شهد بداية التأثير الغربي في العالم الإسلامي ، وانطلاقا من هذه الوقائع يقسم" ب" تاريخ الأدب الإسلامي إلى خمسة أعصر[2]:

2-1- عصر ازدهار الآداب في عهد العباسيين بالعراق منذ حوالي (132هـ إلى 390هـ / 750م – 1000م) تقريب .
2 -2 – عصر الإزدهار المتأخر للأدب منذ سنة 1000م تقريبا إلى سقوط بغداد على يد هولاكو(656هـ -1258م) .

---

[1] - ب ،م س ،ترجمة فهمي حجازي وجماعة من المترجمين ،من مقدمة المترجم ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ط 1، 1993، 19/1.

[2] - م ن ص 1/37.-38.

2 -3 – عصر الأدب العربي منذ سيادة المغول إلى فتح مصر على يد السلطان سليم سنة (923هـ /1517م) .
2-4- عصر الأدب العربي من سنة (923هـ / 1517م) حتى أواسط القرن التاسع عشر
2-5-الأدب العربي الحديث

2-1-معالم التحقيب عند "بروكلمان":

إشكال التحقيب عموما، وعند "ب" بوجه خاص يتشعب إلى إشكال اصطلاحي وإشكال إجرائي .

فالحقبة أو العصر الأدبي مصطلح مركب من عنصرين بطبيعتين مختلفتين هما :الحقبة (العصر)، والأدب والخوض فيهما باعتبارهما متلازمة فرضها دارسو تاريخ الأدب العربي يقتضي السير في طريق ذات شقين، مع الحرص كل الحرص على عدم فقدان التوازن .

إن للتحقيب الأدبي متطلبات معرفية و علمية، و خلفيات إيديولوجية، حتى لا يكون هذا التحقيب اعتباطيا و عبثيا ،و إنما يكون نتيجة لقرارات، و تأويلات لمتون ،و نتيجة للتأمل في مسار الأدب .

و بالنظر إلى هذه المتطلبات و الخلفيات، ينبغي الاستدلال بمعالم ومفاهيم موجهة ورابطة، بين النصوص فللعصر أو الحقبة معلمان معلم البداية، و معلم النهاية، بالإضافة إلى مفهومها الموجه للتأويل ،فهذه العناصر تكون المقولة الجامعة لأجناس وأنواع عديدة، لوجود خصائص مشتركة بينها ، فتنتظم بهذا الجمع الوقائعُ النصية و التاريخية ،في الذاكرة حتى لا تبقى تلك الوقائع مبعثرة و متناثرة لا يجمع بينها جامع و لا ينظمها ناظم [1]

ويفترض أن هذه المعالم كانت كالمحطات الأساسية للأحداث السياسية الكبرى ذات التأثير الكبير في الأدب العربي، وهي بالأساس قيام دولة وسقوط أخرى فنجد" ب" يسم الأدب بالعصر الذي يُلحقه به كقوله (عصر الأدب العربي منذ سيادة المغول إلى فتح مصر على يد سليم الأول سنة 923هـ) ويتبعه مباشرة ب(عصر الأدب العربي من سنة 923هـ-1517م إلى أواسط القرن التاسع عشر)، وهي مدة طويلة جدا تقارب الخمسة قرون ، والملاحظ أن هذه المدة شهدت حكم المماليك لمصر والشام لكن" ب" أهمل دور هذه الدولة في الأدب ،أما على مستوى المعالم فإن كل معلم يمثل النهاية لعصر سابق والبداية لعصر لاحق

[1] - محمد مفتاح المفاهيم معالم ، نحو تأويل واقعي ، المركز الثقافي العربي ، دار البيضاء ،ط1 ،1999 ، ص 120 .

وإذا كانت معالم العصور هي معالم بداية ،و معالم نهاية ،والعصور الأدبية تتوالى دون فاصل فإن معلم نهاية عصر ما ينطبق تماما على معلم بداية العصر التالي ؛ فمثلا نهاية العصر الأول تكون بسقوط الأمويين سنة132هـ والتاريخ نفسه يشهد بداية العصر الإسلامي باللغة العربية.

ويحاول في بداية كل عصر إيجاد المسوغات التاريخية التي تفسر حيثيات تلون الأدب بلون عصره وكان تركيزه الأكبر منصبا على الأحوال السياسية ولكن بانتقائية تفتقر إلى التأسيس النظري فضلا عن ما يدعم هذه الانتقائية من مادة نصية .

وهذا الأمر يقود إلى طرح سؤال وهو :هل أن تقسيم العصور عند "ب" كان طبيعيا اقتضته حركية الأدب عبر التاريخ؟ أم أنه كان قسريا ؟ بمعنى هل أن الظاهرة الأدبية في حركيتها الدائمة يمكن أن تركن إلى السكون للحظة زمنية قصيرة جدا، فتغير مسارها مستجيبة لطوارئ الأحداث السياسية ومتغيراتها، التي تؤشر على النتاج الأدبي، وتكون معالم تدل على تغير هذا المسار ؟أم أن "ب"هو من فرض عليها ذلك بوضع معالم مصطنعة اصطناعا، فلا تعبر عن حقيقة حال الأدب، ولا تلقي الضوء إلا على تلك النصوص التي تعكس تبَدِيَات هذه الأحداث ، وتسير في ظلها ، أما تلك التي تتخذ لنفسها مسالك أخرى بعيدة عن تداعيات السياسة، وما تفضيه إلى باقي مناحي الحياة فتبتعد عن تجسيد روح العصر، فلا ينظر إليها ؟

2-2- العصور وحركية الأدب:

2-2-1- الحدود بين العصور :

اعتبر" ب" المعالم التي تفصل بين العصور في صورة أحداث سياسية فاعلة حدودا بين الوقائع النصية في العصرين المتجاورين، فتمنع تدفقها وتواصلها بصورة طبيعية ، فيظهر إشكال الحدود بين العصور، فالمعلم المؤشر عليه بسنة 132 هـ رَسّمَه ليكون معلم نهاية عصر أدب الأمة العربية ،وفي نفس الوقت يطابقه تماما على تاريخ بداية العصر العباسي ،فإذا وقفنا عند النتاج الأدبي لسنة 132هـ فهل نعده من عصر أدب الأمة العربية أم أنه ضمن أدب العصر العباسي ؟

إن هذه السنة (132هـ)وإن شهدت على المستوى السياسي صراعا داميا ،أفضى إلى انتقال السلطة بعنف إلى الأسرة العباسية ، غير أنّ هذا الصراع لا يُرى له أثرا على مستوى الأدبي، ولم نشهد انهزام أدب وانتصار أدب آخر ،ولعل أقرب مثال نجده في عبد الحميد الكاتب ، فعلى الرغم من قتله في تلك السنة

بالذات يذكر" ب" أن الجاحظ الذي عاش في كنف الدولة العباسية،ويَكنُّ لها الولاء ينصح باتخاذ رسائل عبد الحميد أساسا لثقافة الكاتب[1].

وقد أقر" ب" بأن الشعر بقي على حاله، من الجاهلية إلى غاية أواخر العصر الأموي ،ولم يصبه أي تغييرعلى الرغم من الأحداث السياسية الجسام التي شهدتها هذه الفترة، والتي أثرت بشكل قوي على المجتمع العربي ، بانتقاله من مفهوم القبيلة الضيق إلى مفهوم الأمة الواسع .

لكنه عاد وأخضع هذا العصر إلى تقسيمات ثانوية ، ليصبح ظهور الإسلام معلما يفصل بين الجاهلية والإسلام ،وقيام الدولة الأموية معلما فاصلا بين عصر الرسول (ص) وعصر بني أمية، وأهمل تماما فترة الخلفاء الراشدين ، ويكون" ب"متناقضا عندما يعتبر ظهور الإسلام حدا فاصلا بين الجاهلية والعصر الإسلامي ،ثم يصر على أنّ الأدب بقي على حاله حتى العصر الأموي.لم يبق على حاله وهي نقطة تحتاج إلى وقفة كأن الإسلام لم يغير الأساليب العربية ولم يَثُر عليها شكلا ومحتوى.

و في العصر الثاني من الأدب الإسلامي والذي حدده بين 400هـ إلى 656هـ وأطلق عليه في الجزء الأول من الكتاب عصر الازدهار المتأخر قال" ب"« اضمحل الأدب العربي الذي كان مزدهرا في العراق في ظل سيادة العباسيين باضمحلال قوتهم السياسية »[2].

فيجعل بهذا الأدب ظلا للمتغيرات السياسية، ويَعتقد أنه على الرغم من الوهن الذي بدأ يسري في كيان هذه الدولة، فإن الانحطاط لم يبلغ مداه إلا بالاكتساح المغولي ،وقد شهد الشعر انتفاضة خصبة ففي مصر تحت حكم بني أيوب ابتكر "عمر بن الفارض" و"البهاء زهير" نوعا من الشعر مزجا فيه القوالب القديمة وابتكرا أسلوبا جديدا يحرر الشعر من القيود القديمة ويقربه من الحياة ،ويعطي الطبيعة والتقاليد الشعبية حقها دون أن يترك القالب القديم وبقي تأثير هذا الشعر خصبا إلى العصر الحاضر[3].

ففي المقولة الأولى يجعل الأدب ظلا للمتغيرات السياسية ،و لايلبث أن يعلن إعجابه بأسلوب "ابن الفارض[4]"و "البهاء زهير"[5] الذين برزا في ظل الحكم

---

[1] - ب ، ت أ ع،262/1.

[2] - م ن ، ترجمة رمضان عبد التواب والسيد يعقوب بكر،دار المعارف ،ط 2 ،1/5

[3] - من ،ص ن.

[4] - شرف الدين أبوالقاسم عمر بن الفارض(577ـ ـ632هـ)

[5] - هو أبو الفضل زهير بن محمد المهلبي العتكي بهاء الدين الكاتب (581-637هـ)

الأيوبي بمصر و يقول"ب" عن ابن "الفارض" بأن« شعره الذي ينقطع للتصوف تماما ترك كل زخارف الصنعة، وجدد بذلك الشعر الدنيوي.

و بوصفه شاعرا روحيا لم يشق غباره،ولم يلحق به أحد »[1] أما "البهاء زهير"، فقال عنه بأنه لم يستعمل قالب القصيد إلا في مدح الحكام ،غير أن قيمته تظهر في قصائده الغنائية القصيرة، وقصائد المزاح التي تضم أيضا بعض الألغاز،كما أن شعره المتحرر من كل قيود الشعر القديم لايزال- دون شعر جميع الشعراء القدامى- يجد صدى في نفوس المثقفين المحدثين في مصر وقد شهد بذلك سلامة موسى في تعليقه على "السقف الباكي" لأبي شادي[2].

ومع كل ما ذكره "ب"عن عصور تاريخ الأدب، إلا أنه لم يعتمد دولة الأيوبيين عصرا أدبيا ،على الرغم من أن تميز الشاعرين كان زمن حكم الأيوبيين ،خاصة وأنه اعتبر بأن تأثير طريقهما في الشعر امتد حتى زمن متأخر.

ونجده في موضع آخر يقول« بأن الحكم الفاطمي لم يلتفت إلى النشاط الأدبي فلم تظهرإلا في نهاية حكمهم بعض الأعمال أما في عهد الأيوبيين والمماليك الذين ازدهرت في عصورهم الحضارة المادية ازدهارا عظيما فقد نال الشعر أيضا دفعة قوية»[3]،ألم يكن الأجدر" ب " ترسيم معالم عصورسياسية أقر هو بأهمية أثرها على الأدب ؟

والذي يمكن استخلاصه من هذا الموضوع أن مبدأ الحدود بين العصور لم يتوافق تماما مع الحركة الأدبية وتدفقها،وحتى النظر إلى المعالم بأنها نقاط ثابتة أمر يتجاوزه الواقع، فالزمن دائم الحركة، ولا يمثل المعلم إلا محطة، ما إن تطؤها رجل الزمن حتى تغادرها بالرجل الثانية، وتتبعها بالأولى ،فلا يَمْثل المعلم إلا لحظة سريعة، فهل تكفي هذه اللحظة، ليغير الأدب من شكله ولونه ومقوماته الفنية،ويَبْرَأ من عصر مضى ليلبس لبوس عصر الجديد ؟

وبالمقابل هل يمكن للأدب أن يدير وجهه عن أحداث جليلة مدوية أثرت في عقل العربي ووجدانه، وقلبت حياته جذريا،ويبقى وفيا لعهد مضى؟

ولإنارة هذه الزواية المعتمة يتوجب دراسة عصر من العصور التي أرخ بها "ب" للأدب العربي ولن يكون اختيار العصر اعتباطيا بل سيقوم على ظهور الوجهين معا وهما تحكيم الحدود الزمنية على الظاهرة الأدبية، وتحرر الظاهر

---

[1] - ب، ت أ ع،5/67-68.
[2] - م ن،5/78-79.
[3] - م ن،5/63.

الأدبيـــة مـــن عامـــل الزمن، ومتغيراته السياسية ,ولعل العصر المرشح لهذا التمثيل لن يكون إلا العصر الأول في تقسيم" ب"

2-2-2-الفراغ بين العصور:

لقد أبقى "ب" فترات الانتقال من عصر إلى عصر غامضة، وهو يعتمد في هذا الانتقال على الحديث عن الأوضاع السياسية التي يتم إسقاطها بشكل رأسي على الوقائع النصية الأدبية في غالب الأحيان.

ففي نهاية العصر الأموي، وبداية العصر العباسي يقول بأن سلطان الدولة الأموية كان متجاوبا مع نزعات الأمة العربية،و موافقا لطابعها الشعبي الذي أضعفها فيما بعد سلطان القبائل أمام صولة العجم، الذين رجحت كفتهم الدولة العباسية،فقد استطاع البرامكة وهم بيت من بيوتات إيران أن يحتفظوا بالوزارة مدة نصف قرن، وسرعان ما ظهر تأثير العجم في آداب العرب[1].

وبالتأمل في هذه الفقرة يلفت انتباهنا استعماله لفظة "سرعان" التي توحي بالتحول السريع للأدب بتأثير العناصر العجمية، وقد أورد "ب" من الكلام بعدها ما ينقض معناها ،فيقول عن تأثير العجم : «لقد تغلغلت أناقة التعبير ودقة الذوق التي اختصوا بها في أساليب الشعر البدوي باطراد ،حتى أمكن أن تتلاشى طبيعة ذلك الشعر البدوي بعد ثلاثة أجيال »[2].

فبمقابلة عبارة "سرعان ما ظهر تأثير العجم" بعبارة "تغلغلت باطراد" سنجد علاقة قلقة بسبب تضارب في التقدير الزمني لتأثير العجم على الشعر، فنتساءل هل كان التأثير سريعا أم بطيئا ؟ لكن بعدما يعلن "ب" أن طبيعة الشعر البدوية قد تلاشت بعد ثلاثة أجيال، يتضح أن عبارة "تغلغلت باطراد" تتساوق مع عبارة" حتى أمكن أن تتلاشى طبيعة الشعر البدوي بعد ثلاثة أجيال" بينما لفظة "سرعان" فإنها تعكس قسرية إسقاط الحدث السياسي على الحركة الأدبية مما يضر بمصداقية التقسيم إلى عصور.

وعادة ما يبدأ"ب" كل عصر أدبي بمقدمة تمهيدية يتناول فيها متغيرات الأحوال السياسة والاجتماعية ،ثم يسقط هذه المتغيرات على مالحق الأدب واللغة والفكر من ازدهار و رقي، أو ما أصابها من انحطاط واضمحلال تكون هذه المتغيرات هي المتسببة فيه .

لكن في تحوله من عصر لآخر يكتفي بسوق الأحداث دون بحث عِلّاتها، فتتوالى العصور الأدبية عبر تسلسل زمني، دون إضاءة للفترات التي تتداخل فيها

---

[1] - ب ،م س ،7/2.

[2] - م ن،8/2.

الظواهر المتناقضة، وتتشابك ويحتد الصراع فيها فتمثل فترات تداعي أسس قديمة، وتأسيس أخرى جديدة .

غير أنه يمكن العثور على مساحات ضمن حركية الأدب الدائمة ،تتعايش فيها المتناقضات جنبا إلى جنب، وفي الوقت الذي يُظَنُ أن الشكل الأدبي القديم قد اندحر أمام الجديد، يبرز من يمثله أقوى تمثيل، وعندما تتشابك المتناقضات، ويحتد الصراع بينها،ويقوى حتى تستعصي على الأفهام، تكون فترات الانتقال أحوج من غيرها إلى الدرس المعمق إلى أن تتوضح معالم الجديد الذي يأخذ مكانه ضمن سيرورة الأدب.

وقد انتبه النقاد العرب القدامى لمظاهر التغيير، والتجديد في الأدب ،فكانت قضايا الجديد والقديم ،والطبع والصنعة والسرقات ،والموازنات وغيرها مدارا لنقاش مثمر، و طويل امتد من عصر التدوين إلى قرون بعده ، و يظهر كيف سكت" ب" عن فترات الانتقال من عصر أدبي إلى آخر ،فجاءت تواريخه عصورا تتلو عصورا دون عناية بمنطق توالد العصور، ومجيء بعضها إثرى بعض، فالعصور عنده تتوالى و لا تتوالد .

2-2-3-خصائص العصور الأدبية:

أفضى تحديد العصور الأدبية ، في تاريخ الأدب ،وترسيم معالمه الزمنية الفاصلة، بين العصور، إلى النظر في الخصائص التي تشترك فيها آداب العصر الواحد، وإذا تعذر الوصول إلى هذه الخصائص الجامعة، انهار منهج التقسيم إلى عصور ،لذا فإن قضية خصائص العصورهي إحدى القضايا الجوهرية في هذا الموضوع[1].

وقد حاول" ب" في مقدمات العصور الوقوف على الخصائص التي تميز الأداب لتنتظم ضمن العصر الواحد،فرأى أن العصر الجاهلي يتصف الشعر فيه بالذاتية والطبع والصدق والأصالة ، وإرساء قالب القصيد[2].
ورأى بأن الشعر في العصر الأموي على الرغم من أنه بلغ مرحلة جديدة من الخصب والازدهار، لكن الخلف الجديد من الشعراء لم يقو على مجاراة شعراء الجاهلية، في قوة اللغة ،وتحليق البديهة في الآفاق البعيدة.

ويرى بأنهم وإن حاكَوا مذاهب القدماء في قوالب قصيدهم، لكنهم في الوقت نفسه قد تخلوا عن كل لون من الأصالة[3].

---

[1] - حسين الواد ، م س.،ص154.
[2] - ب، م س ،1/51-62.
[3] - م ن ،1/187-188.

ومن ثمة فإن نمذجة قالب القصيد من جانب شعراء الجاهلية لم تفسح مجالا لبروز الخصائص الفردية لشعراء العصر الأموي، الذين قاموا بسكب المعاني المعبرة عن بيئتهم في قوالب القدماء ، بما فيها من اضطراب السياسة، ومنازعات القبائل، وكل مظاهر العصبية القبلية، مما جعل شعرهم زاخرا بالحياة [1]

أ ما النثر فيكاد ينكر وجوده ويبرر ذلك بأن أسلوب النثر الديني الذي جاء به محمد [صلى الله عليه وسلم]–ويقصد القرآن الكريم– لم يجرؤ أحد على مضاهاته،والنسج على منواله ،لإعجازه ،ولم تبق آثار نثرية صحيحة ،ومباشرة لتلك المرحلة[2].

وعن خصائص العصر العباسي في قسمه الأول، يرى أنه تميز بأناقة التعبير ،ورقة الذوق الناشئ عن زوال الطابع البدوي تدريجيا، وهكذا إلى نهاية كل العصور .

وفي ثنايا الدراسة يحاول" ب "التماس هذه الخصائص في الأدباء ،وأجناسهم، ونصوصهم ملحا على قضية الانتماء الجنسي للأدباء فيقول عن العصر العباسي الذي شهد نهضة أدبية «يجب علينا إذا أن نتساءل عند كل كاتب أو مصنف في هذا العصر عن أصله والأمة التي ينتسب إليها»[3].

كما يلتمس هذه الخصائص في ظهور بعض الأنواع الأدبية واضمحلال أخرى ...وهكذا إلى أن ينهي عرض عصوره الأدبية .

وما يمكن أن يقال عن هذه الخصائص التي يصطبغ بها كل عصر أنها تتصف بالتعميم ويجوز إطلاقها دون تخصيص لكن أيها يمكن عده ميزة ينفرد بها أديب عن غيره من الأدباء أويتصف بها نص دون غيره من النصوص؟ 'فمثلا بداوة الشعر التي ألبسها" بروكلمان" العصر الأول من أوليته حتى أفول دولة بني أمية هل تَصْدُقُ على شاعر مثل "عدي بن زيد "الذي تأدب مع ابن أحد المرازبة على طريقة نبلاء فارس [4]

---

[1] ب- م س،ص/188.

[2] - م ن ،250/1.

[3] - م ن ،8/2.

[4] - عبد المتعال الصعيدي ،زعامة الشعر بين امرئ القيس وعدي بن زيد ،المطبعة المحمودية التجارية بالأزهر ،مصر ،ط1 ،1934م ،ص117.

فكانت نشأته حضرية مما انعكس على شعره و الذي قال" ب " عن سبب إحجام بعض العرب عن رواية شعره أن ذلك راجع لطبيعة ألفاظه فهي ليست ألفاظا نجدية[1].

وقد بلغ التعصب بالقدامى أنْ قصروا عن الاحتجاج بشعر عدي إلا في المآخذ ،فعابوا عليه مثلا التكرار في الألفاظ والمعاني ولكنهم تجاوزوا عن امرئ القيس حين فعل ذلك[2].

أما اعتبار"**ب**" الشاعر الجاهلي بأنه غير مبال بالجائزة الرنانة التي نزلت بمكانة شعراء المديح المحترفين منذ عهد النبي [صلى الله عليه وسلم] إلى درك المتسولين بالغناء[3]

ويقصد أن مدح الشعراء الإسلاميين النبي (صلى الله عليه وسلم) هو الذي نزل بالمدح إلى درجة التسول،،ويبدو أنّ حكمه هذا لا يستقيم مع الروايات التي تذكر أنّ النابغة ،وحسان بن ثابت ، وغيرهما من شعراء العرب في الجاهلية قد قصدوا ملوك اللخميين، وبني جفنة رجاء الجائزة.

أما المثال عن الحالة الثانية ،فنجده في حديثه عن حرص الشاعر الجاهلي من أجل التأثير على السامعين، بالسعي إلى التوسع في استخدام الثروة اللغوية التي يكثر فيها الغريب ،والإبعاد في التشبيهات وانتقاء الصور التي لاتتبادر إلى الذهن، والاستعانة بالمؤثرات الصوتية مجسدة في الموسيقى اللفظية والعروضية ،أفلا نجد هذه الغاية عند الكثير من الشعراء في مختلف العصور ؟

ويتضح من خلال الحالات السالف ذكرها بأن اشتراك أدباء العصر الواحد ، وتمييز كل عصر أدبي بخصائص لا يشاركه فيها عصر آخر أمور بالغة الصعوبة إن لم نقل أنها مستحيلة التحقق.

3- منهج "بروكلمان" بين التقسيم السياسي وحركية الأدب:

جعل " ب" قيام الدُوَل وسقوطها معالما للعصور الأدبية، فاعتمد على الأحداث السياسية الكبرى لترسيم هذه المعالم لكن هل التزم بهذا التأصيل طيلة الدراسة ؟

---

[1] - ب ، م س ،126/1.

[2] - عبد المتعال الصعيدي ، م س ،ص117.

[3] - ب ،ت أ ع ،57/1.

الواقع أن "ب" كان ملتزما بالتقسيم السياسي في معظم مراحل دراسته إلا أنه شذّ عن هذا الالتزام في أهم مراحل مسيرة الأدب العربي وهي تلك الممتدة من العصر الجاهلي إلى سقوط دولة بني أمية .

وعلى الرغم من أن بداية هذه الفترة تمثل فترة النضج لنموذج القصيد العربي الذي أخفق الباحثون قديما وحديثا في معرفة بداياته و أطواره إلا أن نهاية هذا العصر مُعلّمَة بحدث سياسي كبيرهو سقوط الدولة الأموية، وبين المعلمين أحداث جسام لم يأخذ "ب" بها في تقسيمه وهي البعثة المحمدية ،وهجرة النبي عليه الصلاة والسلام، ودعوته ووفاته ،وما تبعها من حركة ردة و الخلافة الراشدية والفتوحات ،فيحق التساؤل عن مسوغات هذا الإهمال ومبرراته .

يقر " ب" بأن علماء العرب ميزوا في تاريخ شعرهم بين عصرين : عصر الجاهلية الوثنية وعصر الإسلام ونظروا إلى ممثلي المرحلة الأولى على أنهم نماذج لايلحق شأوها وقد ذهبوا إلى أكثر من ذلك فقد هوّنوا من شأن الشاعر لمجرد أن ولادته كانت بعد ظهور الإسلام أما الطبقة الوسطى التي عاشت في الجاهلية و الإسلام فهي طبقة المخضرمين [1] .

وفي هذا الشأن يروي ابن مناذر ت (198هـ ،785هـ) أنه كان يقول لأبي عبيدة "اتق الله واحكم بين شعري وشعر عدي بن زيد ولاتقل ذلك جاهلي وهذا إسلامي ، وذاك قديم وهذا محدث فتحكم بين العصرين ولكن احكم بين الشعرين ودع العصبية [2].

كما أن ابن رشيق ت (456 – 1064 هـ) قسم التاريخ الشعري العربي حتى عصره إلى : جاهلي ومخضرم و إسلامي ومحدث ويقول : وصار المحدثون طبقات أولى وثانية على التدريج وهكذا في الهبوط إلى وقتنا هذا [3] .

وبعد أن عرض" ب" مذهب القدامى في تقسيم الشعراء أعلن مخالفتهم في قضية هي غاية في الأهمية، فيعتقد بأن نمط الشعر الجاهلي امتد ليشمل عصر صدر الإسلام والعصر الأموي، فلا يرى أثرا عميقا للإسلام على الشعر بقوله :«ولم يؤثر الإسلام تأثيرا عميقا في شعراء العرب كما يريد النقاد العرب أن يقنعونا بذلك، فقد سلك شعراء العصر الأموي دون مبالاة في مسالك أسلافهم الجاهليين ،ولم تسد روح الإسلام حقا إلا بعد ظهور العباسيين »[4].

---

[1]–ب ، م س، 36/1.

[2]–أبو الفرج الأصفهاني ،الأغاني ،تحقيق أحمد عبد الستار فراج ،دار الثقاف بيروت ،ط3 ،1975 ،108/18.

[3]–ابن رشيق ،م س ، 113/1.

[4]ب ، م س ، 1 /36.

ولا يتساوق هذا الرأي مع ما انتحاه من تقسيم يعتمد على الأحداث و المتغيرات السياسية الكبرى ، لكن مامدى توفيقه في هذا الخروج ، وهل هو بدافع الرغبة في التحرر من المقاربة السياقية فتشكل بواكيرا لمقاربة داخلية للأدب؟ أم أن "ب" تحدوه أهداف أخرى ؟ وهل فعلا أن الإسلام بتشريعه وقواعده العقيدية و المعرفية لم يؤثر في وجدان الشعراء ؟ وما غرضه من إغفال دور النثر في هذه المرحلة؟

3-1-الأدب والحياة الجاهلية :

درج المؤرخون على تسمية الفترة السابقة للإسلام بالجاهلية وقد فهم جمهور من الناس ومنهم طائفة من المستشرقين أن الجاهلية مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم أو أنها تعني الجهل بالله سبحانه وتعالى ورسوله وشرائع الدين فقالوا THE TIME OF IGNORANCE ،غير أن المعنى المقصود هو السفه و الطيش وسرعة الغضب وما خلفته الوثنية من أخلاق قوامها الحمية، و الأخذ بالأثر و النزاع القبلي و الأنانية ،فتأججت الحروب، وكثر الغزو و السلب ،و سموا حروبهم أياما وأصدق مثال عن هذه الحالة من التمزق قول القطامي [1].

وكنّ إذا أغَرْنَ على قبيل فأعْوَزَهن نهب حيث كانا
أغرن من الضَباب على حلال وصبة أنه من حان حان
وأحيانا على بكرأخينا إذا لم نجد إلا أخانا

فالظلم شريعة الأقوياء، ويرونه ضرورة للعيش في هذا المجتمع ،وهذا أحد العقلاء وهو زهيربن أبي سلمى يقول :

من لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم [2]

وغالوا في العادات الحسنة لدرجة أصبح الكرم سفاهة وتبذيرا، وحماية المستغيث وإن كان على باطل يقتضي إفناء الحيين في حرب طويلة الأمد والعصبية تضلل النفوس ، وغالوا حتى في الظلم و الجهل،مما دفع بعمرو بن كلثوم إلى القول في معلقته [3].

ألالا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقد بدا هذا الجهل في عرف بعض الجاهليين أساسا مطلوبا من أجل البقاء ، في ظل قسوة الحياة وشراستها، ليصبح منطق الجهل معيارا لاستجلاء طبيعة الحياة الجاهلية وإدراك كثير من معالمها .

---

[1]محمد بن علي الهرفي وعبد الرزاق حسين ، نبيل المعيش في النص الإسلامي و الأموي ، ص مؤسسة المختار ، القاهرة القاهرة ط1 ،1998 ،ص 7 .

[2]الزوزني ، م س، ص 88.

[3]–م ن ،ص127

وهذا هو النوع الذي قصده القرآن الكريم ففي سورة الفرقان قال الله تعالى :

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَ إِذَا خَاطَبَهُمْ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ "[1].

وفي سورة الأعراف "﴿ خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ اعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾" [2].
وفي الحديث الشريف أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر وقد عيّر رجلا بأمه :" إنك امرؤ فيك جاهلية"[3].

وقيام حياة العرب قبل الإسلام على المجتمع القبلي اقتضى وجود ناطق باسمه يذود عنه ويخلد أمجاده ، فاضطلع الشاعر بهذا الدور إذ سجل مآثر قومه وأذاع مفاخرهم وأخاف الأعداء ونال من الخصوم ، فكان نبوغ الشاعر حدثا عظيما ، قال ابن رشيق كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها وصنعت الأطعمة ،واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الأعراس ويتابشر الرجال و الولدان، وكانوا لا يهنؤون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم أو فرس تنتج [4]
وحياة العرب في الجاهلية كانت محفوفة بالمصاعب و الأخطار، وعرضة للمشاحنات و المنازعات ، وكان الشعر يعضد السيف في الدفاع عن الأعراض والأحساب و الذود عن البيضة فيغير الشاعر بقافيته و إنشاده كما يغير الفارس برمحه وحسامه فإذا فتّ السيف في الأعضاء فتّ الشعرفي القلوب [5]

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه" الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه" [6]

وكانت العرب تدعى بأن على العاقل تجنب إثارة الشاعر و اتقاء شر لسانه ، لسلاطة ألسنة بعض الشعراء وعدم تورّعهم عن التعرض للناس، و التكلم عنهم بالباطل، فتجنب الأشراف ممازحة الشاعر خشية لفظة قد تسمع منه مزحا فتعود جدا ،كما قال دعبل الخزاعي[7] .

لاتعرضن بمزح لامرئ طَبِن ماراضه قلبه أجْراه في الشفة
فرب قافية بالمزح جارية في محفل لم يرد إثماؤها نَمَتِ

---

[1]– سورةالفرقان ، الآية 63.
[2]–سورةالأعراف ،الآية199
[3]–ابن منظور ، لسان العرب ، مادة جهل 524.
[4]–ابن رشيق ،م س، 65/1
[5]–زكي مبارك ، الموازنة بين الشعراء ، دار الجيل بيروت ط1 ، 1993 ، ص 344.
[6]–ابن رشيق ، م س 27/1.
[7]– إبن رشيق ، م س، 77/1.

كما تحمل الأخبار الكثير ممن رفعهم الشعر في الجاهلية ومن أزرى بمكانتهم فمن النوع الأول المحلق الذي رفع الأعشى من شأنه بعد أن كان فقيرا مغمورا[1].

ومن الذين أزرى بهم الشعر الربيع بن زياد وقد رُمِيَ بِلَبيد [2].
و هكذا فقد كان للشعراء في الجاهلية منزلة الحكام يقولون فيرضى قولهم، ويحَكّمون فيمضي حكمُهم.

3-1-1 خصائص الشعر الجاهلي عند "بروكلمان":

يصر" ب" بأنه ثمة نمطا ثابتا للقصيدة في العصر الجاهلي كان بمثابة محور الالتقاء بين الشعراء و تتمثل عناصر الثبات و النمطية عنده في البداوة و الصدق والأصالة و الذاتية و بناء القصيد.

- البداوة : ويرى "ب" أنه من سماتها وصف حيوان الركوب والمرعى، ويقصد به الجمل ،إضافة إلى الطبيعة ولم يقف شعراء الجاهلية عند التعداد الجامد لأعضاء الحيوان بل قد أشاعوا نسمة الحياة بإدخال التشبيهات الجزئية .

---

[1] – م ن، 51/1
[2]– م ن ص ن.

ويرجع "ب" اهتمامهم المبالغ فيه بالإبل إلى أنها مصدر لأهم ضرورات حياتهم؛ لذا فقد كان البعير يلهب رغبة العربي في الصياغة والتصوير الفني[1].

وإرجاع "ب" هذا الاهتمام بالإبل إلى غاية نفعية قد يكون له جانب من الصحة،غيرأن كثرة ترحال العربي في الصحاري القاسية ،و التي لا يقوى على صحبته فيها إلا الجمل ، فيتحمل الجوع والعطش ،وطول المسير خلّف في نفس الشاعر العربي شعورا بالامتنان لهذا الحيوان،ممّا جعله يخُصّه بكل تلك الأشعار،فها هو طرفة حينما يكون مهموما يلجأ إلى ناقته السريعة لتنفس عنه بعض ما هو عليه [2]:

وإنّي لأمضي الهمّ عند احتضاره بعوجاء مرقال تروح وتغتدي

ولم تكن الإبل هي الحيوان الوحيد الذي خصه الشعراء بالاهتمام فالخيل لاتقل أهمية عن الإبل، والحديث عنها لا يخلو من لمسات إنسانية فهذا عنترة بن شداد يَرق لِما نال جواده من آلام وقع السهام عليه أثناء المعركة فيقول[3].

فازْوَرَّ من وقع القنا بلَبَانِه وشَكَا لِي بِعَبْرَةٍ وتَحَمْحُمِ
لوكان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلّمي

-الصدق والأصالة : يعتقد "ب" أن حرص الشعراء الجاهليين على هذين العنصرين جعلهم لا يبالون بما تستبشعه النفس ويمجه الذوق ويسوق" ب "مثالا يصف فيه طرفة عمرو بن هند في قوله[4] [5]

له شربتان بالنهار وأربع من الليل حتى آض سخدا مُوَرَّما

والأصح أن هذه القصيدة كانت في هجاء ابن عمه عبد عمرو وقيل كان زوج أخته التي شكت لأخيها طرفة سوء معاملته لها.

---

[1] - ب ،م س،56/1.

[2] – طرفة ، الديوان ،تح عبد الرحمن المصطاوي ،دار المعرفة ،بيروت لبنان،ط1، 2003،ص27.الاحتضار :الحضور،العوجاء :الناقة التي لا تستقيم في سيرها لفرط نشاطها ، المرقال :وهو بين السير والعدو

[3] - الزوزنني ،م س ص152 ، الازورار الميل التحمحم من صهيل الفرس ما كان فيه شبه الحنين ليرق صاحبه له

[5] - طرفة ابن العبد ، م س ،ص77. ويروى :" حتى آمن جبسا موَرّما ".آض:عاد.سخدا :ريان أي يشرب من اللبن مرتين في النهار ،وأربعا في الليل حتى انتفخ وتورّم.

-**الذاتيـــة:** يـــرى" ب" بـــأن الشـــاعر العربـــي لـــيس موضـــوعيا وهـــو لا يجـــد كفايته في كلام واقعـــي محـــض ويضـــع فنـــه فـــي خدمـــة فخـــره بنفســـه واعتـــزازه بمجد قبيلته كمـــا فـــي معلقـــة "الحـــارث بـــن حلـــزة" و"عمـــرو بـــن كلثـــوم"3 ،كمـــا يعتقـــد أنـــه فيمـــا عـــدا الأعشـــى فـــي إشـــادته بوفـــاء الســـموءل فالشـــعر العربـــي ليس موضوعيا.

وتُبرز مقولة" ب" الموقف الذي ينطلق منه ونظرتـــه إلـــى طبيعـــة الشـــعر العربـــي، فقد قام بإسقاط التقسيم الغربي للأنـــواع الأدبيـــة علـــى الشـــعرالعربي، وبحـــث إن كـــان ذاتيا أوموضوعيا

وهو يعتقد أنه فيما عدا الأعشـــى فـــي إشـــادته بوفـــاء الســـموءل فهـــو يعتبـــر أن الشعر العربي ليس موضوعيا بقوله"علـــى أن العربـــي مـــن حيـــث هـــو شـــاعر لـــيس موضوعيا تماما ليجد كفايته في فن كلامي واقعي محض ،وإنمـــا يضـــع فنـــه قبـــل كـــل شيء في خدمة فخره بنفسه واعتزازه بمجد قبيلته"[1]

وهو يومئ بهذا إلى قصـــور وعجـــز بالعقليـــة العربيـــة عـــن التصـــوير الـــواقعي للأشياء في عبارة "ليس موضوعيا تماما ليجد كفايته فـــي فـــن كلامـــي واقعـــي محـــض " ويعد هذا الموقف ترسيخا لأحد القوانين التي كرّسها "تـــين" وهـــوالعرق فـــالعربي ينتمـــي إلى عرق –كما يقول – لغته عـــاجزة عـــن التعبيـــرعن المعنويـــات العامـــة والمـــدارك الكلية فاكتفت بالإكثار من الصفات والخصائص[2].

فيرى بأن الشاعر العربي منغمس في الذاتية التي تســـيطر تمامـــا علـــى تفكيـــره ممـــا يعني أن الشعر الجاهلي يتمحور حول "الأنـــا" الفرديـــة وتظـــل تنجـــذب إليهـــا فـــي كـــل الظروف لذا فهو شعر غنائي .

غير أن الشعر الجاهلي وإن كـــان يتحـــدث عـــن ذاتـــه ووجدانـــه فإنـــه لاينســـلخ عـــن ماضيه وإطاره الاجتماعي ودليل ذلك شعر زهير بن أبـــي ســـلمى خاصـــة فـــي معلقتـــه التي تحدث فيها عن هم جماعي تجـــاوز فيـــه ذاتـــه ليتحـــدث عـــن قضيةإنســـانية بالغـــة الأهمية وهي مساوئ الحروب والدعوة لنبذها ومدح دعاة الســـلام وقـــد كـــان تصـــويره للحرب يتسم بالواقعية والصدق فيقول :[3]

---

[1] - نفسه ،ص56/1-57.

[2] - نفسه ،43/1

[3] - الزوزني ،م س ، ص 81

الضرى :شدة الحرب واستعار نارها وكذلك الضراوة والفعل ضري يضرى والغضراء والتضرية الحمل على الضراوة،ثفال الرحى : خرقة او جلدة تبسط تحتها ليقع عهليها الطحين اللقح واللقاح حمل الولد الآلم أن تلد الأنثى توأمين

وما الحرب إلّا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم[1]
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة وتَضْرَ إذا ضَرّيْتُموها فتَضْرَم
فتَعْرُكُكُم عرك الرّحى بثِفالها ! وتَلقَحْ كشافا ثم تُنْتَجْ فتُتْئِم

والبيت الأول يمثل قمة الواقعية التي ينكرها "ب" على الشعر الجاهلي فيضع المتحاربين أمام الأمر الواقع ولا يزيد عليه فما الحرب إلا ما عهدتم وجربتم، وحديثي عنها ليس من أحكام الظنون وإنكم إذا أوقدتم نار الحرب دُمِمْتُم ومتى أثرتموها ثارت، فتعرككم عرك الرحى الحبّ مع ثفاله ،والحرب تلقح في السنة مرتين وهي مصدر لكل صنوف الشر.

وإذا كان تصنيف الشعر عند الأوربيين يتصف بالصعوبة والتعقيد فإن تصنيف الشعر الجاهلي ضمن النظريات الأوربية أكثر تعقيدا لاختلاف المرجعية والحضارة ،والثقافة التي أفرزت هذا الشعر ،ولأن نظرية الأنواع الأدبية بتقسيماتها المختلفة عند الغربيين جعلت تحديد أوتعريف النوع الأدبي غير نهائي[2].

-القصيد :

ويرى" ب "بأن الفن الكلامي لايكتسب قيمته الكاملة إلا إذاظهر في وحدة أطول وأكبر وهي وحدة القصيدة .

ويخلص " ب" إلى أن لفظ "القصيدة"بعيد القدم فقد يكون "الغرض والقصد" بحسب الأصل غرضا من أغراض السحر ثم صار غرضا أساسيا ليتوسع فيما بعد إلى بقية الأغراض، والقصيدة تتسم بالنظام الدقيق إذ يتطلب استهلالها بالنسيب، والحنين إلى الحبيبة النائية عند رؤية أطلالها وهو راكب في القفار ثم يتحول إلى وصف مسيره وراحلته ولايتجه إلى حقيقة قصده إلا في آخر القصيدة.

ويكون هذا المنهج قد رسخ منذ زمن بعيد وقد ذكر امرؤ القيس سلفا له في الشكوى والوقوف على الأطلال يدعى ابن خذام و الذي أعيا اللاحقين من الأدباء والنقاد في معرفته وتحديد زمانه[3]

كما يعتبر وصف المهاة والعيس من لوازم الأسلوب الذي اعتمده الفحول، كما أن نماذج التصوير وفنون التشبيه كانت تؤخذ باطراد ،وقد جمع "ابن رشيق" في العمدة ما أتى به القدماء من تشبيهات جديدة والتي صارت نفسها من لوازم المنهج

---

[2] - موسى سامح ربايعة ،الأنواع الأدبية في الشعر الجاهلي ،ع11 ،س9 ،1416(1995)،جامعة اليرموك الأردن ،ص270

[3] - ب ، م س،1/60-61.

والأسلوب فيما بعد ،وفي اعتقاد" " أن هذه النمذجة كانت مساعدا للمتأخرين على انتحال شعر القدماء[1].

لكن النموذج الذي وضعه ابن رشيق كان بعد تدوين الشعر القديم ضمن مصنفات أشهرها المفضليات والأصمعيات وحماسة أبي تمام.
و بالنظر إلى الفترة التي عاش فيها "ابن رشيق "والممتدة بين (390هـ إلى 456) فقد كانت بعد انطلاق عملية التدوين بفترة طويلة وليس من المعقول أنه هو الذي رسّم نموذج القصيد العربي حتى يكون عاملا مسهلاعلى انتحال الشعر.

ويتضح أن " ب" قام باستبناء هذا النموذج بالاعتماد على المعلقات بشكل خاص وبعض القصائد الطوال عند العرب في الجاهلية .

و يمكن الاتفاق مع "ب" في أن تلك الخصائص صنعت نمطا مكررا فبنيت القصيدة على مقدمات الأطلال وتذكر الأحبة و الرحيل ومنه إلى الغرض الأساس.

لكن لا يمكن التغاضي عن أشكال أخرى للطوال والمقطوعات التي كانت تتجاوب مع تجارب المبدعين، مثل لامية العرب التي تنسب للشنفرة وبعض المقطوعات الشعرية و التي قد تكون أجزاءا ناجية من النسيان أم أن أصحابها نظموها استجابة لمواقف معينة فعبرت كل منها عن الموقف الشعوري دون زيادة عليه.

و إذا كانت هذه السمات العامة تميز الشعر الجاهلي وتشكل مسلكا فنيا التزم به شعراء هذا العصر فحسب اعتقاد "ب" أن هذا النموذج بقي مهيمنا طيلة العصر الإسلامي (صدر الإسلام) و العصر الأموي ،و لِتَبَيُّن صحة هذا الاعتقاد أو خطئه يتوجب التعرض للإنتاج الأدبي لهذه الفترة ولن يكون ذلك إلا بانتقاء لعدد من النصوص و البحث في طياتها ليتضح إما استمرار النمط الجاهلي الذي لايخالطه شيئ جديد وبذلك ينتصر مذهب " ب" ، و إما وجود أثر الإسلام فينتقض هذا التقسيم

3-2-الإسلام و الشعر :
أحدث الإسلام انقلابا في البُنى الروحية و الاجتماعية و السياسية للعرب ، فألغى قيما وأنشأ محلها قيّما أخرى ، و أسس نظما وشرائع جديدة ودعى إلى معتقدات ومبادئ ليس للعرب بها عهد في كافة النواحي الدينية و الدنيوية ،

---

[1] - ب ،م س،1/60-61..

فقلب حياة العرب من حال إلى حال وحمّلها أعباء رسالة مجيدة فانطلقت تؤديها في صبر و استجابة [1].

وكانت مناحى الاستجابة متعددة أهمها الاستجابة الفكرية و الروحية ، فخرج العربي من الخواء النفسي و الروحي إلى امتلاء الوجدان و العقل و الضمير وكانت له استجابة اجتماعية فهجر الكثير من العادات المناقضة لروح الإسلام كالعصبية و الظلم وسفك الدماء و اقتراف الفواحش إلى إعطاء الفرد حقوقه مقابل أدائه واجباته وجعل الناس سواسية لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، فقوّى الإسلام اللحمة بين المسلمين في مجتمع متآلف لقوله تعالى :" و وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا واذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا"[2].

أما الاستجابة السياسية فتمثلت في نشوء أول دولة للعرب يجمعها المعتقد الواحد تشمل كامل الجزيرة العربية لها كيانها بين الأمم الأخرى ونشأ الإحساس المشترك بالانتماء إلى أمة واحدة ، التي ما انفكت تتوسع حتى بسطت نفوذها على مشارق الأرض ومغاربها .

فإذا كانت الاستجابة الروحية و الاجتماعية والسياسية على هذا الحال ، فهل أن الحركة الأدبية كانت مواكبة لها فطبع الإسلام بميسمه على الأدب شعره ونثره أم لا .

لا يمكن الجزم بأن القضية في مجال الأدب كانت بالوضوح الذي هي عليه ، في مجال السياسة و الاجتماع فمن العسير تحديد التغيرات التي تلحق الظاهرة الأدبية ورصد تطوراتها بشكل واضح ويكون وضع الفواصل الزمنية من أعقد الأمور ، فقد تمتد الظاهرة الأدبية إلى زمن لاحق بكامل ، صفاتها وخصائصها الفنية أولا ، وقد تمتد أيضا مجزأة ، أو تكون مضمحلة لتتحول هذه الخصائص و الصفات إلى شكل من الأشكال [3].

3 -2-1--موقف الإسلام من الشعر :

---

[1]- محمد عبد المنعم خفاجي ، الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط3 ، 1984 ، ص 9.

[2]- آل عمران / 103.

[3]-سالم المعوش ، القواعد المعرفية الإسلامية .في أدب صدر الإسلام ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط1 ، 2001 ، ص 11.

2-سورة الصافات ،الآية.36

3-سورة الأنبياء،الآية5.

من المعروف أن موقف الإسلام من الشعر مر بعدة مراحل تبعا استجابة العرب للإسلام: :

-**المرحلة الأولى :** وتزامنت مع اتهام المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر يرجع بعض النقاد سبب هذا الاتهام إلى عدم تمييز عرب الجاهلية بين النثر الفني والشعر،فأخذوا ينعتون النبي -عليه الصلاة والسلام-بالشاعر تارة ،وبالكاهن تارة أخرى

والذي يدل على هذا الاعتقاد ما جاء في القرآن نفسه ،فقد أشار إلى ادعاء العرب المشركين في النبي﴿و يَقُولُونَ أَ ئِنَّا لَتَارِكُوٓا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍمَجْنُونٍ﴾[1] ،وفي قوله «﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾[2]

وتمثل موقف القرآن الكريم في إبعاد هذه الشبهة عن النبي -عليه الصلاة والسلام- و التحذير من الشعر الذي يحيد عن تعاليم الإسلام بدليل أن الآيات من سورة الشعراء قد استثنت الذين آمنواوعملوا الصالحات لقوله تعالى﴿و الشُّعَرَاء يَتْبَعُهُمُ الغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ،وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ ءَا مَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾[3]

فلا يناصب الإسلام العداء للشعر من حيث هو شعر وإنما يستهدف الشعر الذي يهاجم الدين وينتقص منه .

المرحلة الثانية : وتتفق زمنيا مع هجرة .رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ليصبح الشعر سلاحا يعضد أسلحة الحرب ،فانبرى عدد من الشعراء بتشجيع من النبي عليه الصلاة و السلام الذي خاطب حسانا قائلا " اهج المشركين فإن روح القدس معك " [4].

المرحلة الثالثة : و بانتهاء أسباب توجيه الشعر في المرحلة الثانية بدأت مرحلة جديدة وذلك بعد فتح مكة و الطائف ، حيث انتهى الشعر الهجائي بين المسلمين من جهة وقريش وحلفائها من جهة أخرى وصار الشعر المقبول هو الذي لا يتعارض مع تعاليم الإسلام فلا إفحاش ولا قذع و لاتعرض لحرمات المسلمين فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم " من قال في الإسلام هجاءا مقذعا فلسانه هدر" [5].

---

[1] -سورة الصافات،الآية 36.
[2] -سورة الأنبياء،الآية 5.
[3] -سورة الشعراء،الآيات:224-225-226-227
[4] -ابن سلام ،م س ، ص217.
[5] - إبن رشيق ، العمدة 170/2.

ويتوجب الوقوف على نصوص ممثلة لهذه المراحل ومن أجل الوصول إلى حقيقة تأثير الأحداث و المتغيرات السياسية و الدينية على الشعر أو انتفاء هذا التأثير .

أما المرحلة الأولى فلا نعثر على نص شعري يمثلها وكان القرآن حديث النزول والانبهار به قد كفّ الألسن عن قول الشعر إلا فيما ندر .

وفيما يخص المرحلة الثانية فهي فترة زاخرة بالشعر و الشعراء، فقول الشعر صار بموجب التكليف الديني لأجل صد شعراء قريش و الإعلان عن الهوية الإسلامية وخير من يمثل هذه المرحلة حسان بن ثابت الشاعر المخضرم.

لقد كانت فترة صدر الإسلام هي عصر المخضرمين وقد حاول عدد منهم استيعاب القواعد المعرفية والفنية للدين الجديد ، وربط الأدب عندهم بوظيفة رسمت مسبقا تتمحور حول الدفاع عن الدعوة فبدأت المعاني الإسلامية تظهر على الشعر بالتوجه نحو تفاعل مع المنظومة العقائدية الجديدة مدونتها الفكرية و اللغوية و النصية ، وذلك في بعض تشكلات المعنى و في بعض البنى اللغوية، ليصبح الشعر تعبيرا عن الدين الذي يشكل الهوية الجديدة بمجموعة تقارع من أجل ، ويمكن تمثل هذه المرحلة في قصيدة عدمنا خيلنا لحسان بن ثابت [1]

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلاء
ديار من بني الحسحاس قفر تعفيها الروامس و السماء
وكانت لا يزال بها أنيس خلال مروجها نعم وشاء

ثم ينتقل إلى ذكر المحبوبة باستعماله لفظة التخلص المعهودة عند الجاهليين " دع" قائلا:

فدع هذا ولكن مَنْ لِطَيْفٍ يُؤَرِّقني إذا ذهب العشاء

ويستغرق ذلك سبعة أبيات وهو عدد معتبر بالنظر إلى الغرض الأساس المتمثل في المدح و الرد على الخصوم .

ويحاول البعض تجاوز هذه الأبيات عند الاستشهاد بالقصيدة في المجال الدَعَوي، لكن هذه الأبيات هي واقع لايمكن محوه، لذا نجد عددا من الدارسين يحاول تفسير هذه المقدمة المحيّرة ، فكيف يجرؤ حسان بن ثابت على تناول مواضيع التشبيب و الخمر، لتكون افتتاحية تسبق مدح الرسول صلى الله عليه وسلم؟

---

[1] حسان بن ثابت، ديوان حسان بن ثابت ، شرح ، يوسف عيد ، دار الجيل ، بيروت ص11 – 19.

ولم يسلم الجواب من الخلاف ، كأن تكون هذه الأبيات هي آخر ماقاله حسان في الجاهلية ، وقال مصعب بن الزبير :كان حسان ابتدأ هذه القصيدة في الجاهلية و أكملها في الإسلام ،واعتُبر قوله فيها

ونشربها فتتركنا ملوكا و أسد ما يُنَهْنِهُنا اللقاء

أن الخمر تجعلهم يتوهمون أنهم ملوك و أسد، مما يدل على أن ليس لهم من أنفسهم سيادة وشجاعة ، و الرد على هؤلاء أن حسان لم يكن بصدد مدح الخمر و الإشادة بها وإنما قصد وصفها في ذاتها و أثرها على شاربها .[1]

ومن الدارسين من له تفسير آخر لهذه المقدمة .،فيرى بأن هذا النموذج على الرغم من أنه في موضوعه يشبه الطريقة الجاهلية لكنه يتميز بإشارات رمزية فالأطلال عند حسان رمز لتلك الحقبة السابقة للإسلام ،ولايتضح أي تعلق من جانب الشاعر بهذا ، الطلل فهي تقترن بالجاهلية والغواية ، أما حديثه عن المرأة التي تيمته وهي (شعثاء) فالشعثاء من النساء وهي مغبرة الرأس، متلبدة الشعر، والشَعَث تفرق الأمر و انتشاره وخلله ،وهي أيضا صورة أخرى للجاهلية بما فيها من الملذات و المغريات،و الفعل " تيم" يعني : عبّد و ذلل فتصبح الجملة " شعثاء تيمته" دال' على الذل و العبودية والضلال و الهلاك ، فما شعثاء إلا الجاهلية التي استعبدت الشاعر.

أما حديثه عن الخمر فيرى أصحاب هذا المذهب أنه يحمل شفره شديدة الخصوصية، فالخمر تصنع عالما زائفا في نفس صاحبها ، و لاريب أنه حينما يفيق من ذلك الزيف يجد الواقع لايفارقه ،وحسان يكشف عن الأثر الزائف للخمر في قوله .

ونشربها فتتركنا ملوكا وأسدا ما ينهنهنا اللقاء

وما يدعم هذا الطرح هو ذلك الانتقال المفاجئ إلى الغرض الأساس في قوله

عدمنا خيلنا إن لم ترونها تثير النقع موعدها كداء

فالانتقال يشبه الإفاقة من حلم كئيب يرغب صاحبه في إبعاد صور لم يعد يحبها [2]

وإذا أخذنا الرأي الأول الذي يعتبر أن هذه المقدمة قد قيلت في الجاهلية ، و أكملها حسان في الإسلام فلهذا الكلام مايدعمه عند "ب" الذي يرى بأن عملية بناء القصيدة في الجاهلية كانت تستغرق وقتا طويلا تجعل الشاعر ينشد لرواته و أحبائه

---

[1]-عبد الرحمن البرقوقي ، شرح ديوان حسان بن ثابت ، ص 4.

[2]-محمد بن علي الهرفي ،عبد الرزاق حسين ،نبيل المحيش،في النص الإسلامي والأموي،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع،القاهرة،ط1 ،1998.ص 50.

أول الأمر لئلا ينساه ثم يزيد عليه ، وقد يبدل بعض أبياته بأخرى فتختلف الرواية [1].

لكن لماذا يُبْقي حسان هذه المقدمة دون تكملة كل هذا الوقت أي إلى قبيل فتح مكة و إذا تركها ، فكان بإمكانه أن يبدأ بمقدمة أخرى مناسبة لتجربته الجديدة .

أمّا الذين اعتمدوا التفسير الرمزي لهذه المقدمة فإن هذا الطرح أبعد مايكون عن ذهن حسان، فلو كان يقصد تعبيرا رمزيا لشمل القصيدة بأكملها،لكنه في بقية الأبيات يسمى الأشياء بأسمائها .

وقد يكون المخرج من هذا الإشكال في ما يعتقد بأن ظاهرة وصف الخمر كالوقوف على الأطلال ، فالرسول- صلى الله عليه وسلم -كان يدرك تماما أنه لا يعدو أن يكون تقليدا فرضته ضرورة اكتمال الصورة الفنية ، وكان الناس آنذاك حديثي العهد بالجاهلية وكانوا يتساهلون مع الشعر، ويغتفرون مايذكرونه عن الخمر و الغزل، على أن كل هذا تقليد فني لا يدل على سلوك خلقي [2].

ومن الأمثلة التي تدل على تجاوز الرسول- صلى الله عليه وسلم- عن حسان أنه قد أنشد يوما :

لقد غدوت أمام القوم منتطقا بصارم مثل لون الملح قطّاع
يحفز عني نجاد السيف سابغة فضفاضة مثل لون النّهْي بالقاع

فضحك النبي عليه الصلاة و السلام ،فحسان قد عرف بالغاية القصوى من الجبن ثم يصف نفسه بأنه من رجال السيف و الجلاد [3]

ويعد المطلع الشعري الشبيه بمطالع الجاهليين يصل حسان إلى الجزء الإسلامي فيقول:

عدنا خيلنا إن لم ترونها تثير النقع موعدها كداء
يبارين الأعنة مصعدات على أكتافها الأسل الظماء

فهو يتوعد قريش بحرب حامية واللفظ هنا قوي جزل لكنه لايلبث أن يميل الأسلوب إلى السلاسة والرقة فتشيع المعاني الإسلامية من بيت إلى آخر في قوله :

تظل جيادنا متمطرات تلطمهن بالخمر النساء
فإما تعرضوا عنا اعتمرنا وكان الفتح و انكشف الغطاء
و إلا فاصبروا لجلاد يوم يعز الله فيه من يشاء

---

[1]-ب ،م س ، 16/1
[2]-فايز ترحيني ، الإسلام و الشعر ، دار الفكر اللبناني ، ط1 -1990. ص 110-111
[3]-شرح ديوان حسان ،م س، المقدمة ص ق.

ومن خلا ل هذه الأبيات يظهرتأثر حسان بقيم الدين الحنيف، فالمسلم يدرك أن كل شيء مقترن بمشيئة الله ، فعلى الرغم من إدراكه أن المسلمين على حق والمشركين على باطل لم يقل "سيعزّنا الله" بل تأدبا وإيمانا بمشيئة الله قال : يعز الله من يشاء".

وحسان يعلم بوعد الله في سورة الفتح : "﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾"[1].

وبعد تلك الأبيات يصورحسان موقفا حواريا استلهم مادته من القرآن والأحداث التي كانت بين المسلمين و المشركين فيقول:

وجبريل أمين الله فينا ... وروح القدس ليس له كفاء
وقال الله: قد أرسلت عبدا ... يقول الحق إن نفع البلاء
شهدت به فقوموا صدقوه ... فقلتم : لانقوم و لانشاء
وقال الله : قد يسرت جندا ... هم الأنصار ، عرضتها اللقاء

والأبيات هذه استوحى معانيها من القرآن ،فإرسال الله نبيه وتأييده بروح القدس ودعوة قومه للإسلام و إعراض غالبيتهم عنه ، ونصرة أهل المدينة للنبي والاسلام حتى صار يطلق عليهم اسم الأنصار ..

ثم يقول :

لنا في يوم من معد ... سباب أو قتال أو هجاء
فنحكم بالقوافي من هجانا ... ونضرب حين تختلط الدماء
ألا أبلغ أبا سفيان عني ... فأنت مجوف نخب هواء
بأن سيوفنا تركتك عبدا ... وعبد الدار سادتها الإماء

ويقول أنه مهما كان مجال المقارعة فللأنصار دور في الرد على المشركين ، خاصة إذا تعلق الأمر بالهجاء فسنرد بالقوافي اللاذعة المفعمة ، ويستهدف "حسان " "أبا سفيان" وهو ابن الحارث بن عبد المطلب الذي هجا النبي عليه الصلاة و السلام وهو ابن عمه فيصفه بأنه مجوف هواء أي لا قلب له مستلهما من قول الله تعالى : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَ أَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾"[2]

---

[1]-سورة الفتح ،الآية 27.

[2]-سورة إبراهيم ،الآية42-43.

ويدعو حسان إلى من يبلغ أبا سفيان ،ويذكره بما فعله المسلمون ببني عبد الدار في غزوة أحد، في مرحلتها الأولى لما توالى سادة بني عبد الدارعلى حمل راية المشركين، وكانت سيوف المسلمين تعمل فيهم تقتيلا فتفرقوا، فحملت الراية امرأة، فعادوا وتجمعوا حولها [1].

وهو هجاء مؤلم للكفار ثم يواصل الرد على أبي سفيان :

هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء فشر كما لخير كما الفداء
هجوت مباركا برا حنيفا أمين الله شيمته الوفاء

وسرعة التأثر تجعل لشعره الهجائي اندفاعا قويا وعنيفا ،فكأن صدر الشاعر يغلي كالمرجل فتطاير حممه، فيقذف بلسانه الهجاء المقذع .

والقصيدة في قسمها الإسلامي مشبعة بروح السجال والمقارعة بين" الأنا "التي تعبر عن الهوية الجديدة (الإسلامية) والمجسدة في ضمير المتكلمين الذي تكرر فيعدمنا ،خيلنا ،جيادنا ،اعتمرنا...وبين الآخر الممثل للهوية الجاهلية ويظهر في ضمير المخاطبين كما في :تروها ،تعرضوا ،اصبروا ،وفي ضمير المخاطب المفرد الذي يقصد به أباسفيان .

ويتمثل حسان الصراع الديني في هذه الثنائية ولا يتوانى في شحن المضمون الفخري والمدحي والهجائي القديم بعناصر جديدة مستمدة من الدين، فتتعالق مع نصوص قرآنية مما يجعل الشاعر يبدي التسامي على الطرف الآخر،وذلك حينما يعبر بأن الله يمد الفئة الأولى بالعون والتأييد، فتتراءى هزيمة الفئة الثانية مهما كان عددها وعدتها؛ لذا صار عنصر الدين في الشعر تعبيرا عن الهوية الجديدة .[2]

ويتراءى لنا ما أشيع على شعر حسان الإسلامي بأنه اتصف باللين والضعف بسبب موقف الإسلام من الشعر، ففيه الكثير من التغليط إذ يرى عدد من الدارسين أن عصر الفحول قد انقضى قبيل الإسلام ،ولم يبق منهم في الإسلام إلا حسان وكعب بن زهير والحطيئة وهم جميعا من الفحول 'إضافة إلى لبيد الذي يتقدمهم جميعا وهو من فحول الصف الأول 1

---

[1]-شرح ديوان حسان ،م .س ، ص 8.

2-عباس بن يحي ،تحولات المكون الديني في الشعر العربي ،مجلة حوليات التراث ،ع1س2004،الجزائر.

[2] - فايز ترحيني ، م س ،ص103.

وتذكر المصادر أن لبيدا انقطع عن قول الشعر في الإسلام، ويشك الكثير من النقاد والدارسين المحدثين في صحة هذا الخبر ومنهم" ب" بالنظر إلى الكثير من الأشعار التي تشع بمعاني القرآن الكريم كقوله[1]:

بلينا وما تبلي النجوم الطوالع وتبقى الجبال بعدنا والمصانع [2]
فلا جزع إن فرّق الدهر بيننا وكل فتى يوما به الدهر فاجع
وما الناس إلا كالديار وأهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع[3]
وما البر إلا مضمرات من التقى وما المال إلا معمرات ودائع

فيبدو لبيد متأثرا بالقرآن الكريم لفظا ومعنى إذ يقول الله تعالى ﴿وَكُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾[4]

والفرق واضح بين شعر لبيد الجاهلي خاصة المعلقة، وهذه المقطوعة فألفاظه قوية فيها إغراب وعباراته متينة السبك، والقيم الجاهلية بادية عليها بوضوح ،أما هذه المقطوعة فتبدو سلسة مستأنسة حتى أن"ب" في غمرة نقضه للخبر الذي يروي كيف أن لبيد انقطع عن قول الشعر بعد الإسلام إلا بيتا واحد وحتى هذا البيت اختلفوا فيه .

فإن" ب" يعتقد أن للبيد شعر إسلامي ويقول «وقد قيل إن لبيد لم يقل شعرا في الإسلام ،وليس هذا بصحيح فإن كثيرا من شعره مطبوع بطابع الوحي». وأضاف بأنه «قادر على صياغة موضوعات البداوة صياغة ساحرة مما يزيد شعره نفاسة ما يتردد فيه من نغمات دينية »[5]

وبهذا يقع "ب" في تناقض كبير،فيأتي على الأساس الذي وضعه لتقسيم العصور عندما اعتبر أن الإسلام لم يظهر أثره على الشعر العربي إلا مع العباسيين،بينما قال عن شعر لبيد "مما يزيد شعره نفاسة ما يتردد فيه من نغمات دينية".

و إذا كان حسان يمزج بين النموذج القديم وعناصر جديدة استمدها من القرآن ،ولبيد مختلف في إسلامية شعره ،وجب العثور على نماذج أخرى أكثر تمثيلا للعصر ،ولن نجد في هذه الفترة من يتمثل روح العصر الإسلامي مثل النابغة الجعدي الذي يقول[6]:

---

[1] – لبيد بن ربيعة العامري ،شرح الديوان ،تح إحسان عباس سلسلة التراث العربي رقم8،الكويت 1962 ،ص168

[2] – المصانع الأبنية الضخمة ،

[3] – بلاقع :ج بلقع وهو الأرض القفر .

[4] – الرحمن ،26–27.

[5] – ب، م س ،145/1.

[6] – النابغة الجعدي،الديوان، منشورات المكتب الإسلامي،دمشق،د ط،1964،ص132–133.

الحمد لله لا شريك له فمن يقلها فنفسه ظلما
المولج الليل في النهار و في الليل نهار يفرج الظلما
الخافض الرافع السماء على ال أرض ولم يبن تحتها دعما
الخالق البارئ المصور في ال أرحام ماء حتى يصير دما
من نطفة قدها مقدرها يخلق منها الأبشار النسما
ثم عظاما أقامها عصب ثمت لحما كساه فالتأم
ثم كسا الريش و العقائق أبشارا وجلدا تخاله أدما
والصوت و اللون و المعاش والأخلاق شتى وفرّق الكلما

وبارز للعيان تزاحم ألفاظ ومعاني القرآن الكريم في هذه القصيدة ازدحاما كثيفا متراصا،فنكون أمام تناص للقصيدة مع الأساليب القرآنية.

و تكشف هذه الأبيات عن صدق إحساس الشاعر، وعمق إيمانه،واستيعابه الواعي لروح الإسلام .

فيبد أ بحمد الله متأثرا بسورة الحمد وتليها وقفة نأملية في عجائب الخالق في هذا الكون الواسع وخلق الإنسان فيتحدث عن آية تعاقب الليل والنهار مستوحيا ذلك من قول الله تعالى ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَ ٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ المُلْكُ والذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾[1] وهو متأثر أيضا بقول الله تعالى ﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[2]

أما أطوار خلق الإنسان فاستلهمها من قول الله تعالى﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾3

فيتضح كيف أن الإسلام ترك ميسمه قويا على الشعر ولا يمكن إنكارأثره ،كما أن الربط "ب" بين النموذج الجاهلي ،وبين البداوة أمر مردود لأن كلا من الطابع البدوي والطابع الحضري كان موجودا حتى في العصر الجاهلي،ويعُدّ الكثير أن

---

[1] -سورة فاطر ،الآية 13

[2] - سورةالرعد، الآية2 .

3- سورة المؤمنون،الآيات 12-13-14.

امرأ القيس ممثلا للشعر البدوي بينما يمثل الشعر الحضري عدي بن زيد في العصر الجاهلي.

وقد يكون هذا المبحث في غنى عن استعراض كافة صور تأثير الإسلام على الأدب-على كثرتها- ،والذي ظهر على شعر الفتوح ،في زمن الخلافة الراشدية،وفي شعر النضال السياسي الذي تبنته الأحزاب المعارضة للحكم الأموي ، ويظهر أثر الإسلام جليا في النثر كما في خطب الرسول صلى الله عليه وسلم ،وخطب الخلفاء ، وكذلك في الرسائل التي ازدهرت في العصر الأول للإسلام ،ثم في العصر الأموي لاسيما عند عبد الحميد الكاتب.

ويمكن الاكتفاء بالنماذج التي سبق عرضها ليتضح المأزق المنهجي الذي وقع فيه"ب" سواء عند إرسائه للمعالم الزمنية ، أو عند تنكره لها.

الفصل الثالث

تاريخ الأدب العربي بين بروكلمان ومؤرخي الأدب العرب

1- مشاكل التحقيب عند بروكلمان

2- بروكلمان و مؤرخو الأدب العربي

3- مراجعة تاريخ الأدب

1- مشاكل التحقيب عند بروكلمان :

مشاكل التحقيب عند "ب" هي نفسها- تقريبا مع فروق بسيطة- عند جل مؤرخي الأدب مضاف إليها تداعيات البعد الاستشراقي ،إذ يمثل" ب" التحقيب بـ*"شكله التقليدي"* وبصورته التجريبية ،والملاحظ أنه كثيرا ما يُغَلّب التاريخ الجماعي على التاريخ الفردي ،فيصبح مفهوم الحقبة عام ،وعائم يقصد به تارة التقويم السنوي ،وتارة الأحداث التاريخية والسياسية .

ويميل"ب" إلى اعتبار الحقبة هي التي تصنع الأدباء ،،وهذا التقسيم يشكل حرجا لتاريخ الأدب من حيث أنه يلزم اتخاذ المعيار الذي إن لم يكن ثابتا فسيثير الفوضى والخلط ،أما إذا كان ثابتا فيفقد المرونة الضرورية التي تستلزمها التجميعات المختلفة التي تفرض نفسها على مؤرخ الأدب بصورة تكاد تكون طبيعية.

وبالنظر إلى مضامين الحقب ، فهي تستجيب لنماذج غير كرونولوجية (وحدة الأسلوب،الجيل، المبدأ) أكثر مما تستجيب لمعيار موحد منسجم في التحقيب التاريخي ،وإذا تخلت عن هذه النماذج ستكون فارغة، واعتباطية وغير ملائمة للحدث الأدبي[1].

ومشاكل التحقيب تتلاحق ،فمجرد الاختلاف في الامتداد المعتمد في تحديد زمن الحقب يثبت اختلاف المبادئ بين مؤرخي الأدب ،وقد بين "هربر سيزار" Herbert Sezar "أن الحقب والأنماط الحقبية ليست تقسيمات لأشياء موجودة قبلا لكنها أشكال تحقق تطورا لأشياء لا وجود لها واقعيا خارجها".[2]

فالحقب ليست أشياء مجردة بل تستجيب لنماذج ومقتضيات تاريخية أو سياسية ويسعى تاريخ الأدب إلى جعلها حقبا أدبية بشكل خاص ،ويحمل التحقيب بهذا بذرة تناقض صعب الحل ،فينبغي أن تتشكل الحقب بالاعتماد على نماذج تهيمن عليها ،وتمنح لها مبرر التميز عن الحقب الأخرى غير أن هذه النماذج يتعذر استخراجها إلا من الحقب المختلفة .

وتتعلق المشاكل التي يعاني منها "ب" مع غيره من مؤرخي الأدب بموضوع" تاريخ الأدب" في العلاقة بين التاريخ والأدب ،وتأثير التحقيب على أدبية الأدب ، وتتابع العصور أو الحقب باعتبارها وحدات مكوِّنة تتمتع باستقلالية فاصلة ، فكل عصر له مكونات أولية هي الأدباء، والنصوص التي أنتجوها ضمن إطار زماني.

---

[1]- أوسكار تاكا ،تاريخ الأدب ،قضايا المنهج ،مجلة علامات،المغرب ،ع2 ،س1 ،1994.

[2]- م ن.

أما المشاكل التي تخص تقسيم العصور عند "ب" فتتضح في بعض التفسيرات التي يستعين فيها بالمنهج الفيلولوجي، كاعتماده على مبدإ الملابسات المتشابهة .

ورغم هذه المشاكل فلا ينكر الدارسون المحدثون أهمية الاشتغال بمفهوم التحقيب السياسي للأدب باعتباره أداة إجرائية، أو تصور نظري يصلح لمعالجة موضوع تاريخ الأدب ، وذلك على غرار ميادين أخرى مثل التاريخ و الاقتصاد والسياسة و العلم وغيرها ، فالتحقيب – بهذا المنظور يعد –وسيلة علمية لاستقصاء وقائع موضوعات الأدب، وتأطيرها زمانيا.

ويلجأ مؤرخ الأدب إلى هذه الوسيلة الإجرائية لأجل إقامة تصور للأعمال الأدبية المنجزة في الماضي ، ولعل أقوى عنصر في التحقيب الأدبي هو القوة التشييدية ،وذلك بإبراز مختلف تضاريس وتجليات الموضوع، ومكوناته التي يبنى عليها، فيصنع تصورا يضيء موضوع تاريخ الأدب[1].

وبهذا يستبني التحقيب الماضي الأدبي، معتمدا على تعالقاته مع تصاريف السياسة والاجتماع، و بكل ماله علاقة بالأديب و النص في فترة زمنية معينة .

وللتحقيب الأدبي ركنان أساسيان هما الموضوع أو المادة الأدبية (النصية) والحدود الزمانية ، فالمادة النصية مع منتجيها في تعالقاتها الزمانية يمثلان كلا متداخلا ومتشابكا ،وهذا ماجعل معظم المنظرين للتاريخ الأدبي ، يحذرون من فقدان التوازن بين الطرفين لأن التعامل مع طرف يولّد تصورا يخص ركنا دون آخر ، فالإمعان في التاريخ وملابساته مثلا يؤدي إلى تشييد موضوع التاريخ على حساب الأدب.

1-1-مبدأ الملابسات المتشابهة :

استعان" ب" بالمنهج الفيلولوجي[2] في تفسير بعض الظواهر الأدبية ضمن الحقب ، فنجده لا يخرج عن تلك الشروط التاريخية و المعرفية المؤطرة للتاريخ الاستشراقي للأدب العربي ،والتي تقوم على الوعي بأثر التاريخ، وفعله في صيرورة الإنسان ، و البحث عن القوانين المتحكمة في الظواهر الطبيعية الإنسانية في ظل التوجه الفكري الأوربي للقرنين الثامن عشر والتاسع عشر ،والذي انشغل بإعادة كتابة التاريخ الثقافي الأوربي بصورة تحقق له التقدم،و الاستمرارية جاعلة منه تاريخا نموذجيا مثاليا للبشرية .

---

[1]– أحمد بوحسن ،م س ص50 .

[2]– تسعى الفيلولوجيا إلى تأسيس علم يبحث في التحقق من صحة الموروث العلمي والثقافي للأمم وتمييز الصحيح من المنسوب.

فالتاريخ الأوروبي هو التاريخ العام و الرسمي للإنسانية كلها وما عداه فهوامش مهما حظيت بالاعتراف فلن تتعدى كونها " بركا" أشبه بالبحر الميت المعزول عن النهر الخالد المتدفق من بلاد اليونان [1].

ومن هنا نرى" ب" في بحثه عن أولية الشعر العربي و إن أقر بصعوبة تحديده، يعمل بمنهج الملابسات المشابهة التي وجدت عند أمم بدائية أخرى فيرى أن الشعر العربي « فنا مستوفيا لأسباب النضج والكمال منذ ظهر العرب على صفحة التاريخ ،ولا تستطيع رواية مأثورة أن تقدم لنا خبرا صحيحا عن أولية الشعر ،وإذا فلا يسعنا إلا أن نستخلص من الملابسات المشابهة عند الشعوب البدائية الأخرى نتائج معينة يمكن تطبيقها أيضا على العرب» [2]،

ويجد "ب" أثرا لهذا الزعم فيما رُوي من أوائل شعر الهجاء عند العرب ، فقد كان الشعر في يد الشاعر بمثابة السحر الذي يقصد به تعطيل قوى الخصم بتأثير سحري ، ويستند " ب" فيما زعمه إلى أن الشاعر العربي كان إذا اعتزم الهجاء لبس زيا خاصا شبيها بزي الكاهن .

وتصبح –حسب "ب"– كلمة شاعر تعني أنه كان شاعرا بقوة شعره السحرية ، وتكون غايته إحداث آثار سحرية ، فكل ما يهواه الشاعر ويتمناه يصوره بخياله تصويرا فنيا ويسوق أمثلة عن شعوب تشبه العرب في بدائيتها– حسب زعمه– ، وفي هذا الصدد يعرض "ب" أغنية لإحدى الأمهات من قبائل" الهوتنوت[3] " الإفريقية وهي تغني لابنها قائلة:

يا شبل ياذا البصر الحديد ... و من يرى بالنظر البعيد
كم لك بين الوحش من طريد ... تسوقه يوما بلا قيود
يا فارع الأذرع و السيقان ... يا محكم الأعضاء و البنيان
سوف أرى سهمك غير واني ... يصرع كل معتد و جاني
و سوف تحوي سلب الشجعان ... من الهريرو [4]الشيب و الفتيان

ويرى" ب " أن هذه الأبيات شبيهة بقول أم الفضل بنت الحارث الهلالية و هي تُرَقص ابنها عبد الله بن العباس [5]:

1- محمد عابد الجابري ، الاستشراق في الفلسفة منهجا ورؤية ضمن كتابه : التراث و الحداثة ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ط1 1995.

[2]– ب ،م س ،ص44..

[3]– الهوتنوت : مجموعة من الشعوب في جنوب إفريقية و هي في تكوينها الجسماني توصف بقامات قصيرة ،و أنوف فطس ، فهي تختلف كثيرا عن بقية الشعوب الإفريقية .

[4]– الهريرو شعب قوي محارب من الشعوب البانتوني جنوب إفريقيا ،و عمله الأساس رعي الأبقار

[5]– م ن، ص 47 .

ثكلـــــــت نفســـــــي و بكـــــــري إن لـــم يســـد فهـــرا و غيـــر فهـــر
بالحســـــب العـــــدّ و بـــــذل الـــــوفر حتـــى يـــوارى فـــي ضـــريح القبـــر

فيحاول" ب" التسوية بـين الأم الإفريقيـة فـي غنائهـا لابنهـا، وبـين أم الفضـل فـي ترقيصها لعبد الله دون أن يُفصّل في فحوى كل أغنية .

فما تمنته الأم الإفريقية –حقيقة–لا يخرج عـن دائـرة الأعـراف البدائيـة، فهـي تريده أن يتغلب على الأعداء بمنحه أوصافا من الطبيعـة المحيطـة بـه، اسـتمدتها مـن الوحوش والحيوانات المفترسة ، بينما أم الفضل فبنظـرة ثاقبـة و فراسـة عربيـة قلّمـا تخطئ،راهنت بحياتها وحياة بكرهـا ،أن عبـد الله سـتكون لـه مكانـة رفيعـة يبلغهـا بحسبه و كرم أخلاقه .

و الفرق واضح بين المثالين ،و فيه مـا يـؤدي إلـى بطـلان الادعـاء أن العـرب كانوا أمة بدائية ، فإذا كان هذا حال من تغني لتـرقيص طفلهـا الصـغير فكيـف يكـون شأن من يعالج المسائل الجسام ممّا تناوله الشعر العربي.

و لو كان بالعرب قصورا حضاريا امتد إلى فكرهم ،و مـن ثمـة إلـى لغـتهم كمـا يزعم أغلب المستشرقين و منهم "ب" لما خاطبهم القـرآن بكـل ذلـك الرقـي الفكـري ، والإعجاز البياني ،و لمَا حرّك عقولهم ووجدانهم .

و الحقيقة أن القبيلة عند العـرب كانـت جماعـات مـن الأعـراب الـذين يسـكنون الخيام، و يقطنون الصحراء،كما أن هناك قبائل كثيرة كان منهـا مـن يسـكن الحواضـر و القرى ف"الأوس" و "الخزرج "كانت تسـكنان المدينـة و " ثقيـف" تسـكن الطـائف و "قريش "تسكن بطحاء مكة و "تغلـب "و"بكـر" و "إيـاد" كـان بعضـها حاضـرة تسـكن الجزيرة و ما بين النهرين ، و غيرها من القبائل كان أكثرها أهل مدر .

و كثيرا ما نجد قبيلة واحدة تحيا حياتين مختلفتـين: فقسـم يتحضـر ويسـتقر، علـى حين يبقى قسم آخر في أهل الوبر، و قد قيـل "قـريش" الأبـاطح أشـرف و أكـرم مـن "قريش" الظواهر، " فـ"قريش" الأباطح هم الحاضرة من قطـان الحـرم ،أمـا الظـواهر فهم أعراب البادية [1]

و خلاصة القول أن عرب الجاهلية لـم يكونـوا مجتمعـا واحـد بـل كـانوا طبقـات اجتماعية متباينة، فمن الخطإ إطلاق حكم عام ببدائيـة العـرب فيوسـم عـرب الجاهليـة جميعا بالبداوة و الجهالة، فإن كـان بعـض الأعـراب يجولـون البـوادي والصـحاري

[1]– ناصر الدين الأسد ، مصادر الشعر الجاهلي ص 6 .

بمعزل عن العالم المتمدن، فقد كانت فئات أخرى متصلة بالمدنية ،ومطلعة على حضارة أهل زمانها تمارس الزراعة و التجارة و بعض الحرف.[1]

كما أن رحلات التجارة إلى خارج الجزيرة،وكذا الأسواق و المواسم العربية التي تقام من حين إلى آخر يؤمها العرب من مختلف البقاع، الذين تتفاوت حظوظهم من البداوة و التمدن،وقد كانت هذه الأسواق فضاءات واسعة تتيح الاختلاط بالتجار من الفرس و الهنود والمصريين والرومان كي تعطي فرصة للاختلاط بأمم أخرى، والإطلاع على حضاراتها .

ولا خلاف في أن هذه المرحلة من حياة العرب بها بعض الغموض ، لكن نصوص .القرآن الكريم تعطي فكرة عن عرب الجاهلية الأولى، وعرب الجاهلية الأخيرة الذين تصفهم بأنهم لم يبلغوا معشار ما أوتيت دول أسلافهم من قبل إذ يقول الله تعالى:﴿ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ و مَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَاءَاتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [2]

ويصف القرآن الكريم قوم عاد بفن العمارة و الصناعة في قول الله تعالى : ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةٍ تَعْبَثُونَ ؟ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ، فَاتَّقُوا اللهَ وَ أَطِيعُونِ ، وَ اتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ، أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.[3]

ويصف "ثمود" بالزراعة الخصبة و فن العمارة في قول الله تعالى ﴿أَتَتْرُكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ؟ فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ ،وَزُرُوعٍ وَ نَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ،وَ تَنْحِتُونَ مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ؟﴾.[4]

و كثيرا ما يمر عرب الجاهلية بديار أسلافهم ، ليروا ما حل بهم:﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ,اَثَارُوا الأَرْضَ وَ عَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[5]

---

[1]– ناصر الدين الأسد ،م س ، ص10

[2]– سورة سبأ ، الآية 45 .

[3]– سورة الشعراء الآيات 128 – 134

[4]– سورة الشعراء الآيات 146 –149 .

[5]– **سورة الروم** ، الآية 9 .

و هكذا يحمل القرآن الكريم الكثير من الإشارات عن حال العرب في الجاهلية الأولى من قوة و حضارة، و في الآيات أيضا تأنيب لعرب الجاهلية الأخيرة ،الذين لا يتعظون بما حلّ بأسلافهم على الرغم من أن حظهم من الحضارة أقل بكثير.[1]

و في القرن الأول من الميلاد يفيض "ديودوروس" الصقلي في حديثه عن الحضارة الزاهية التي قامت في بعض أنحاء الجزيرة العربية ،وقال ونكلر "wenkler" إن تاريخ الجزيرة العربية كما توضحه النقوش يظهر لنا مجموعة من الحكومات، و الدول المنظمة منذ القدم.[2]

و لم تنقطع صلة الحضارة، أو بتعبير أدق الاستعداد للقيام بتكاليف الحضارة بين قدماء العرب ، و المتأخرين فقد قال سايس A.H.sayce " لم يكن المسلمون الذين انطلقوا من الجزيرة العربية، و فتحوا العالم المسيحي ، وأسسوا الممالك إلا من نسل أولئك الذين كان لهم في القدم أثر عميق في مصير الشرق.[3]

وينبغي الأخذ بعين الاعتبار ارتباط الشعر بالحياة العامة للعرب، التي كانت فيها الكثير من المحطات الهامة في تاريخهم الطويل ،من بلاطات الملوك، و ما شهدته من حركة شعرية قوية، إلى الأسواق و أيام العرب الشهيرة إلى موطن الأمة العربية، و ما طبعت به من ظواهر طبيعية ،و ما نتج عنها من آثار أخلاقية واجتماعية و سياسية.

فاهتم العربي بهذه الحياة أيما اهتمام حتى يوفر لنفسه أسباب البقاء، وأكثر ما يثير الاهتمام في هذه الحياة تلك المكانة التي يحظى بها الشعر و الشعراء ،وهو مجال فسيح يعج بالأخبار و الروايات التي يمكن التزود بها في رحلة البحث عن أولية الشعر العربي .التي مهما قيل عنها فإن إشكالية البحث تظل قائمة حولها.

1-2- التحقيب و أدبية الأدب :

إذا كانت أدبية الأدب موضوع تأسس لأجله علم قائم بذاته هو نظرية الأدب، فإن الحقبة الأدبية أو العصر الأدبي امتداد زمني محدد يحيط بالأعمال الأدبية المنجزة في فترة محددة ،وذلك بالنظر إلى المنجزات الإنسانية التي تزامنت معها.

مما يعني ضرورة مراعاة انغراس الحقبة الأدبية في التاريخ العام ،وما يصاحب ذلك من تداخلات وتأثيرات سياسية و اجتماعية وفكرية و اقتصادية ، وبهذا تُستبعد نقاوة الأدب من الأفعال غير الأدبية ، وهذا يستدعي دائما مراعاة

---

[1] - **ناصر الدين الأسد** ، مصادر الشعر الجاهلي ص 13 .

[2] - Margolouth ,Relations Betwen Arabs and Israelites prior to the Rise of Islam , P 24 .
عن ناصر الدين الأسد ، مصادر الشعر الجاهلي ص 11 .

[3] - A.H.sayce , Early Irael , P 128 ص عن نفس المصدر السابق

الحضن التاريخي العام الذي يجمعها مع معارف و أفعال إنسانية أخرى، لتتميز الحقبة الأدبية عن الحقبة التي تسبقها و التي تليها[1].

وهذا يدعو إلى إعداد تصور يبرز تجليات التمايز نظريا وعمليا بين العصور ، وقد سعى " ب" إلى فعل هذا في بداية كل حقبة ،فحاول تحديد كل حقبة بعزل الفعل الأدبي في إطار محدد بالتركيز على تعالقاته بالأفعال غير الأدبية ، وخصوصا الأفعال السياسية ، ويمثل هذا الجهد الشق النظري .

لكن الملاحظ أنه عند شروع"ب" في عرض الأدباء،وتقييم أعمالهم بعد تحديد تموضعاتهم، باعتبارهم وحدات مكونة للحقبة يقع في اضطراب شديد، فيتناقض مع منطلقاته النظرية .

ومن الأمثلة عن هذا التناقض الشاعر الجاهلي " عدي بن زيد" ، والكاتب الأموي "عبد الحميد الكاتب" ، اللذان ينتميان للعصر الأول. الذي اعتبر"ب" أن البداوة صفة لازمة فيه ،خاصة في الفترة الجاهلية، ولكن عدي تنتفي عن شعره صفة البداوة ،أما "عبد الحميد الكاتب" فقد أسس للكتابة النثرية ،و امتد تأثير طريقته إلى عصور لاحقة، وهذا ينفي فكرة استمرار الأدب بنفس الخصائص ، والأنواع والمواضيع من العصر الجاهلي إلى سقوط دولة بني أمية

وفي موضع آخر وسم "ب" أدب عصر مابعد الفترة القديمة للأدب الإسلامي من 400 هـ إلى 656 هـ بالاضمحلال لكن أثناء عرضه لعدد من الأدباء يخرج عن هذا الحكم، ومن ذلك قوله بأن هذه الفترة ازدهرت فيها الرسائل الإخوانية والخطب والمواعظ ، ويذكر من مشاهير الخطابة منذر بن سعيد الأندلسي، ويذكر من الرسائل الإخوانية رسالة أبي الحسن علي بن منصور بن القارح الذي أجابه عليها "المعرّي" برسالة الغفران، وأورد أيضا استنكار الإمام الغزالي للخطب المسجوعة المزيّنة بالشعر في كتابه إحياء علوم الدين [2].

أما في الشعر فقد أشاد" ب" بشرف الدين أبي القاسم عمر بن الفارض وبأبى الفضل زهير بن محمد المهلبي العتكي بهاء الدين الكاتب [3].

فكل هذه الأسماء التي أشاد بها تنتمي إلى عصرأدبي وصفه بالاضمحلال ،لكنه عند اطلاعه على قيمة إسهامات أصحابها يعترف بتميزها ، ممايدل على

---

[1]–أحمد بوحسن،مس ،ص51.

[2]– ب ،م س ، 137/5

[3]–ذكر "ب" بأن شعرابن الفارض وبهاء الدين بقي تأثيرهما إلى العصر الحاضر انظر 5/2.

صعوبة استجابة الوقائع النصية لفترة من الفترات –وبشكل كامل– لخصائص جامعة.

ومما سبق يتضح أن حصر الأدب ضمن إطار زماني له سماته وخصائصه التي تنعكس بصورة آلية ومباشرة على الأدب ، فيه تعدِي على حركية الأدب ومساس بأدبية الأدب ، ومكمن الصعوبة هو في التعامل مع حقل يصعب تحديده وهو الأدب ، ومع حقل يتردد بين حقلين معرفيين وهما الأدب والتاريخ .

ومن هنا يجب الاعتراف بأن إضافة أي مجال معرفي للتاريخ يجعله تابعا له ، فكيف يمكن التعامل مع هذا الحقل المتداخل ، مع التزام آليات التاريخ، وآليات الأدب لتجتمعا وتنتجا معرفة تاريخية أدبية تتميز عن الأدب من جهة وعن التاريخ من جهة أخرى ، لتنشئ في الأخير كيانا خاصا هو تاريخ الأدب .

فثمة إشكالية تشغل المبدعين، و النقاد ،والمهتمين بنظرية الأدب على السواء تتعلق بطبيعة الإبداع الفني ،وصلته بالتاريخ فيطرح السؤال التالي :هل أن الإبداع مجرد إلهام تنتجه قريحة المبدع ؛فيكتسي طابع الخصوصية ويستقل عن الواقع التاريخي الذي يشكل مضمونه ومحتواه ،فيصوغه بشكل وسمات المميزة ،أم أن عملية الإبداع لا تتخلّق من فراغ بل هي وثيقة الصلة بمعطيات الواقع التي تشكل حجر الزاوية في عملية الإبداع الفني.

وللوهلة الأولى تتضح حقيقة ثابتة وهي أنه من العبث محاولة تبسيط مصطلح تاريخ الأدب ، لأن مفهوم التركيب هو جوهري و أي محاولة للمعالجة المنفصلة تجعلها منحازة لطرف على حساب الآخر ، لذا كانت اتجاهات البحوث والتنظيرات من جهة تأخذ بالمكون التركيبي للمصطلح كما هو ،ومن جهة أخرى تعكس اختلاف الممارسات للتاريخ الأدبي تبعا للتطورات و المناهج المختلفة التي ناقشت قضايا تاريخ الأدب ومنها :

1-2-1 -المنهج الذري و التحليل الجزئي [1]:

ويقوم هذا المنهج على تصور نظري لتاريخ الأدب المكون من عنصرين إذ يجب تحليل كل واحد على حدة ثم الجمع بينهما ، وهذا يستدعي تبني تصور تجزيئي ثم تأليفي ، وهنا سيكون من الطبيعي بروز عنصر على حساب الآخر ، ويمثل هذا الطرح المنظور الكلاسي المدرسي للتاريخ الأدب وقد حققت نتائج تربوية هامة غير أنه عجز عن خلق تصور نظري خاص يميز مفهوم تاريخ الأدب ، ويمكن إدراج جل كتابات المستشرقين بما فيهم "بروكلمان" عن تاريخ الأدب العربي ضمن هذا المنهج .

1-أحمد بوحسن ، م س ، ص 58.

1-2-2-المنهج الدينامي أو التفاعلي :

ويقوم على تصور يرى بأن الأدب و التاريخ يتفاعلان ويكونان قوة واحدة تستمد طاقتها من التحولات التي تقع في التاريخ و الأدب عند ما يلامس الواحد منهما الآخر وتتولد قوة جديدة هي تاريخ الأدب عندما يلامس الواحد منهما الآخر مكونة من العنصرين لتصبح عنصرا واحدا يحمل صفات العنصرين التي تتوحد وتتفاعل باستمرار ، ولعل أكبر عقبة تواجه هذا التصور هي التفاعل فهل يتم تزامنيا (آنيا) أو تعاقبيا .

1-2-3-منهج السيرورة :

وهو مفهوم يجمع بين مفهومي التجزئة و التفاعل في تاريخ الأدب ، ويجمع أيضا العناصر المكونة و الفاعلة و المتفاعلة لموضوع تاريخ الأدب، غير أن الإيجابي في هذا المنهج أنه يسعفنا على الإمساك بالمفاهيم الجزئية لتاريخ الأدب ، فتجمع بذلك التعاقب و التزامن و التفاعل ، فتحمل السيرورة بهذا المعنى الذات والزمان و المكان و الموضوع إضافة إلى احتوائها الاندفاع الذي يدفع هذه العناصر المكونة لتاريخ الأدب، فالسيرورة في النهاية تملك القدرة على احتواء النص عندما يتحرك في إطار الزمان و المكان فهي الدينامية المتواصلة والمتنامية باستمرار1 .

1-3-التاريخ الأدبي باعتباره خطاباعلميا :

لقد كانت المنطلقات الأولى لتحديد المفهوم وبيان الموضوع العام و الخاص لتاريخ الأدب مساهمة في تجذير مجموعة من المقاربات السطحية ،و الاختزالات في فهمها للمشروع اللانسوي ،ويتجلى هذا في المجال المدرسي عند تمرير خطاب تربوي لا يخلو من إيديولوجيا معينة تكتسي طابع شرعنة Legitimation خطاب غير بريء، ففرضت نماذج من القراءة الأدبية تبعا للعصور الأدبية المختلفة.

وعندها يكون من الضرورة بمكان مساءلة محتوى هذا الخطاب بغاية استكشاف آليات انشغاله، ونجاعة المقاصد التي يرمي إليها خاصة أن خطاب منهج التاريخ الأدبي على مستوى التعليم الجامعي و الأكاديمي لا غنى عنه فهو يحقق شمولية في بحث الظاهرة الأدبية ،و استقصاء تجلياتها عبر العصور الأدبية .

وقد عبرت عن هذه الأهمية الأهمية التي عبرت عنها" إيفا كوشنر" EVA Kushner الباحثة المتخصصة في التاريخ الأدبي حينما اعتبرت هذا المبحث بؤرة لكل التساؤلات المرتبطة بالظاهرة الأدبية سيما أن التاريخ الأدبي قد احتل لأمد بعيد

مسارح علم الأدب ، وطرح هذه الأزمات في علاقتها بنظرية الأدب هو الذي فتح أفاقا جديدة لمفهوم الأدب ذاته في ظل الشكلانية والبنيوية و السيمائية ...[1]

فمساءلة هذا الخطاب مطلوبة لأن أجيالا من العرب قد تثقفت على هذه المؤلفات، وتأثرت بها،بالنظر للرواج الكبير الذي لقيته كتب تاريخ الأدب.

وإذا كانت كتب المستشرقين غير ميسرة إلا لفئة محدودة من المجيدين للغات الأجنبية، فإن المؤلفات العربية المتأثرة بالتقسيم السياسي الذي أرساه المستشرقون متاحة لجمهور القراء،بطبعات كثيرة ،ومتتالية

فكتاب أحمد حسن الزيات "تاريخ الأدب العربي"فقد طبع ستا وعشرين مرة في حوالي خمسين سنة وكتاب طه حسين "في الأدب الجاهلي" طبع عشر مرات ،وما زال كتاب جرجي زيدان "تاريخ آداب اللغة العربية"إلى الآن مرجعا أساسيا من مراجع الدراسات الأدبية، أما كتاب مصطفى صادق الرافعي "تاريخ آداب اللغة العربية "فقد طبعت أجزاؤه الثلاثة فرادى ومجتمعة مرات عديدة .

وتبع هؤلاء جيل سار على دربهم فقد أرخ "علي الجندي "للأدب الجاهلي مثلما أرخ به "زيدان "و"الزيات "كما أن "شوقي ضيف "حاول في "كتابه الفن ومذاهبه في الشعر العربي"أن يترسم خطى أستاذه طه حسين فاعتمد في تقسيمه على المدارس الأدبية ،وعاد إلى التقسيم السياسي في كتابه" تاريخ الأدب العربي" كما فعل زيدان والزيات.

و المهم في هذا الطرح هو دور تعليمية تاريخ الأدب في اشتغال المستشرقين والعرب بهذا الحقل ،ف" ب" أستاذ جامعي وباحث أكاديمي فذ، و إن ذكر مترجم كتاب "تاريخ الأدب العربي" في النسخة العربية مقاصد" ب" من تأليف كتاب تاريخ الأدب العربي إلا أنه من الواضح أنها ليست كل المقاصد بالنظر إلى المدة الطويلة التي استغرقها في تأليف كتابه ، وهي فترة جعلت المؤلف يشتغل دور المؤثر و المتأثر في مرحلة لاحقة فيتلون الخطاب بين كونه منتجا لمعرفة تلقتها الأوساط الأدبية العربية لتنتج معرفة قائمة على إنتاج" ب"

والأكيد أن "ب" اطلع أولا على كتب القدامى ، باعتبارها تحمل المادة الخام التي سيشتغل عليها خاصة تلك التي أرخت للأدب العربي بدلالتيه الخاصة والعامة .

وهاهي مرتبة حسب تواريخ وفيات أصحابها :

قائمة الكتب :[1]

---

[1] – كليمان موزان ، التاريخ الأدبي بإعتباره خطابا علميا ، تقديم وترجمة حسن طالب ، مراجعة عبد النبي ذاكر ، مجلة فكر ونقد .ع28
نسخة الكترونية ،الموقع http://www.aljabriabed.net

1-طبقات الشعراء أو(فحول لشعراء)	لابن سلام	ت 232 هـ / 864م
2- الشعر والشعراء	لابن قتيبة	ت 276هـ / 889م
3- طبقات الشعراء المحدثية	لابن المعتز	قتل 296هـ / 908 م
4-العقد الفريد	لابن عبد ربه	ت 328 هـ / 939 م
5- الأغاني	لأبي الفرج الأصفهاني	ت 306 هـ/ 967 م
6- الأمالي	لأبي علي القالي	ت 306 هـ / 967م
7-معجم الشعراء	للمرزباني	ت 384هـ / 994 م
8- الموشح	للمرزباني	
10-يتيمة الدهر	لأبي منصور الثعالب	ت 424هـ / 1037م
10- تتمة اليتيمة	للثعالبي	
11- أمالي المرتضى	للشريف المرتض	ت 436 هـ / 1044م
12-دمية القصر	للباخرزي	ت 467هـ/ 1074م
13- قلائد العقيان	للفتح بن خاقان	ت 528هـ -/1133م
14- الذخيرة	لابن بسام	ت 542هـ / 1147م
15- الأنساب	للسمعاني	ت 562 هـ / 1167م
16- نزهة الألباب في طبقات الأدباء	لابن الأنباري	ت 577هـ/1181م
17- الصلة	لابن بشكوال الأندلسي	ت 578هـ/1182م
18- خريدة القصر	لعماد الدين الأصبهاني	ت 597هـ/1201م
19- المنتظم في أخبار الأمم	لابن الجوزي	ت 578هـ/1201م
20-ألف باء	للبلوي	ت 604هـ/1208م
21-معجم الأدباء (إرشاد الأريب)	لياقوت الحموي	ت 626هـ/ 1229م
22- الكامل في التاريخ	لابن الأثير	ت 630هـ/1248م
23-إنباه الرواة على أنباه النحاة	للقفطي	ت 646هـ/1248م
24-تاريخ الحكماء	للقفطي	ت 646هـ/1248م
25-مرآة الزمان في تاريخ الأعيان	لسبط بن الجوزي	ت 604هـ/ 1256 م
26-التكملة (تكملة لكتاب الصلة لابن بشكوال)	لابن الآبار	ت608هـ/1209م
الأندلسي		
27-المغرب في حلى المغرب	آخرهم أبو الحسن علي بن موسى بن أحمد بن عبد الملك بن سعيد المغرب (أندلسي)	ت673هـ/1274م
28-وفيات الأعيان	لابن خلكان	ت 681هـ/1282م
29-مسالك الأبصار	لابن فضل الله العمري	ت 749هـ/1348م
30-تتمة المختصر	لابن الوردي	ت749هـ/1348 م
(تتمة لكتاب المختصر	لأبي الفداء	ت 747هـ)
31-الوافي بالوفيات	للصفدي	ت864هـ/1363م
32-فوات الوفيات	لابن شاكر الكتبي	ت 764هـ/1363م
33-مرآة الجنان	لليافعي	ت 768هـ/1366م
34-البداية والنهاية	لابن كثير	ت 810هـ/1412م
35- روضة المناظر	لابن الشحلة	ت 810هـ/1412م

[1] - عدنان عبيد العلي ، م س ،ص ،60-61-62.

36-صبح الأعشى	للقلقشندي ت 821هـ/1418م
37-ثمرات الأوراق	لابن حجة ت 837هـ/ 1433م
38-لسان الميزان	لابن حجر ت 802هـ/1448م
39-عقد الجمان	للعيني ت 800هـ/1401م
40-النجوم الزهراء	لابن تغري بردي ت 874هـ/1429م
41-بغية الوعاء	للسيوطي ت 911هـ/ 1505م
42-معاهد التنصيص	للعباسي ت 963هـ/1006م
43-النور السافر في أخبار القرن العاشر	للعيدروسي ت 1048هـ/1628م
44-نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب	للمقري ت 1041هـ/1631م
45-شذرات الذهب	لابن العماد الحنبلي ت 1089هـ/1678م
46-نزهة الجليس	للعباس المكي ت القرن 1786/12م

و ما يجمع معظم هذه المؤلفات أنها تنظر نظرة جزئية للظاهرة الأدبية؛ فتدرس الشاعر أو الكاتب وحده، أو في إحدى قصائده ، وقد تحكم له أو عليه بناء على بيت واحد.

وهذه النظرة الجزئية إضافة إلى أن أكثرها ضيق النطاق إذ تتحدث عن الأدب الذي قيل في مدح الملوك ووصف حياتهم وقصورهم، فقد أسفرت عن بعض الأحكام الجزئية كقولهم "إن النثر بدأ بعبد الحميد وختم بابن العميد" . والحقيقة أن النثر بدأ قبل عبد الحميد خاصة في مجال الخطابة كخطب الرسول صلى الله عليه وسلم وعلي كرم الله وجهه، وتتجاهل هذه المقولة الذين جاؤوا بعد عبد الحميد، وأجادوا كالحريري (356-967م) و ابن حزم (ت 438-1046هـ) و القاضي الفاضل (596هـ-1200هـ).[1]

وإذا كان هذا هو حال أغلب هذه الكتب، فلم يخل بعضها من نظر حصيف، وبعد نظر،ولكن هل ترقى هذه المعالجة إلى درجة أنها قائمة على منهج أفاد منه "ب"أثناء إعداد كتابه " تاريخ الأدب العربي" وبصورة أخص في تقسيمه للعصور الأدبية ووضع معالمها ؟

2- بروكلمان ومؤرخو الأدب العرب :

معروف أن تقسيم تاريخ الأدب العربي إلى عصور خاضع لتبادلات السياسة هو تأصيل أرسته المدرسة الاستشراقية وتداوله فيما بعد الدارسون العرب .

---

[1]- عدنان عبيد العلي ن،م س ،ص63.

وفاعلية هذا المسلك كانت مستمدة من معطيات تارخية و فكرية وحضارية ، فقد شن المستشرقون الأوائل غارات علمية منظمة،ومتوالية على التراث العربي، وفي مرحلة تالية تصدوا لفرزه، وتحقيقه و فهرسته وطبعه طيلة قرون .

فالمادة الخام تم تجهيزها علميا، لتأتي المرحلة الثالثة ،وهي دراسة هذا الكم الضخم ،وتصفيفه ضمن منظومة خاضعة لصيرورة الأحداث التاريخية ولاسيما السياسية ، فجعلوها معالم تفصل بين حقب متتالية.

ولم يكن هذا التحقيب بداعي ترتيب المادة الأدبية للغة العربية على مر الأزمنة فحسب ،بل أملته نزعة قوية إلى التاريخ، وملابساته بفعل المعطيات النظرية، و المفهومية و الفلسفية التي سادت في القرن 19 بقيادة رواد الاتجاه الوضعي بسعيهم في كتاباتهم إلى الكشف عن المحددات السوسيو ثقافية للنص الأدبي في أفق صياغة علمية لمفهوم ، الأدب [1]

مما يعني بروز مفهوم المنهج في الدراسات الأدبية ،و قد عمل به المستشرقون المشتغلون بتاريخ الأدب العربي لأول مرة ، فهل يعني هذا بأن النقاد العرب القدامى لم يخضعوا أعمالهم لمفهوم المنهج ؟

2-1- العرب القدامى والعمل بالمنهج:

الحقيقة أن القدامى خلفوا تراثا هائلا غني بالنصوص المنتقاة ،والمرفوقة بالشروح والموازنات والملاحظات ،وقد سعى بعض الدارسين المحدثين في سياق رفض اتهامات المستشرقين- التي تدعي أن العقلية العربية قاصرة عن إدراك المفاهيم الكلية – إلى تلمس أي أثر للمنهج عند العرب القدامى.

وفي هذا السياق ينظر إلى " عبد القاهر الجرجاني"ت(471) بأن له آراء نقدية تقترب من مقولات المنهج الجمالي، فيعتقد "شوقي ضيف"في حديثه عن فلاسفة الجمال، وفي مقدمتهم "بنديتو كروتشيه" Bendeto Croce ت(1952م) أنه يلتقي مع "عبد القاهر الجرجاني" في كتابه دلائل الإعجاز ،وماذهب إليه من أن اللفظة ليس لها في ذاتها صفة جمالية مستقرة، فهي في موضع جميلة وفي آخر قبيحة ويقول " كروتشيه" إن لفظة قد تكون قبيحة ولكن حين توضع في طائفة من الألفاظ يغادرها قبحها [2].

و ابن سعيد الأندلسي ت(685هـ) يلتقي مع أصحاب المنهج الطبيعي في كتابه "المغرب" ،الذي رصد فيه نشاط الشعراء في الأندلس، وبلاد المغرب، ونبه بقوة

---

[1]- سعيد بوخليط ، العلم والقصيدة ، العرب الأسبوعي ، 24-11-2007.

[2]- شوقي ضيف ، البحث الأدبي ، طبيعته ، مناهجه ، أصوله ، ص 125.

إلى أن الشاعر ثمرة طبيعية من ثمار البيئة الجغرافية المكانية، و التاريخية بمجتمعه ، وعمليا كان سعيد الأندلسي قبل أن يعرض شعراء بلدة يعرض بيئتهم الجغرافية، و التاريخية،و السياسية ، و الثقافية [1]

أما "ابن خلدون" ت (808 هـ) فقد سبق" تين "ت (1893م) في الإقرار بالقوانين التي تتحكم في أدباء كل أمة لكن دون أن يعطيها حتمية ولا جبرية[2].

ولابد هنا من الوقوف عند الخطاب النقدي" لحازم القرطاجني" الذي كان مختلفا لما فيه من صبغة عقلية ، فكانت إشاراته المتكررة لأبي علي بن سينا بشكل ملفت ، كما أن البحث و مقارنة النصوص تكشف عن تماثل في طرح القضايا بين "حازم "و "ابن رشد "، سواء تعلق الأمر بالشعر ونظريته أو ما يتصل بالفكر الذي يؤسس الرؤيا لدى كليهما [3].

وتتواطؤ آراء الكثير من الباحثين على أن " روح العلم التجريبي" كانت حاضرة في التراث العربي،ومن هؤلاء " مصطفى عبد الرزاق" الذي واجه مزاعم المستشرقين القائلة بتأخر الحركة الفلسفية عند العرب، بداعي أن طبيعة العقل العربي متأثرة بالأوهام ،مؤكدا أن النظر العقلي بدأ في مرحلة مبكرة جدا في تاريخ العرب، بتحريض من نصوص الكتاب و السنة.

وما ميول العرب لأرسطو أكثر من آفلاطون إلا لما للأول من منهج تجريبي يبتعد عن مثالية الثاني كما أن للعرب سبق في توظيف أدوات الاستدلال في مباحث أصول الفقه وعلم الكلام [4].

ومن الطريف في هذه القضية أن بعض المستشرقين مثل جب HAR .Gibb (ت1971 م)يقرون بتجريبية المنهج الذي اعتمده العرب، وكل ذلك حتى يكون دليلا على طبيعة بنية العقل العربي الحسي التجزيئ الذري، بحيث يدرك الحالات المفردة، ويعجز عن إدراك الكليات، ويميل إلى التعامل مع المحسوس ويعزف عن التجريد[5] .

---

[1]- شوقي ضيف ، م س ،ص 92.

[2] – م ن ص 88–92.

[3] –فرجات الأخضري ، نظرية المحاكاة عند حازم القرطاجني ، مذكرة ماجستير ، جامعة باتنة 2004، 2005 – ص : هـ – و ،من المقدمة.

[4] – مصطفى عبد الرزاق ، تمهيد التاريخ ، الفلسفة الإسلامية ، مكتبة الأسرة (مصورة عن طبعة الثقافة الدينية 2007 م ، ص 7 – 34– 226).

[5]– هاملتون جب ،الاتجاهات الحديثة في الإسلام ،ترجمة هاشم الحسيني ،دار مكتبة الحياة ،بيروت ،1966 ،ص13–15.

وتولى عدد من المفكرين العرب الرد على مزاعم جب منهم مالك بن نبي ،وإدوارد سعيد.[1]

وبإلقاء نظرة على العديد من كتب النقد القديمة يتضح أن الحس التاريخي كان حاضرا في الرؤية النقدية للعرب القدامى ، وما يمكن أن يقال عن هذه الكتب أنها اعتمدت على جملة من معطيات التاريخ في معالجة القضايا النقدية كالزمان والمكان و البيئة والجنس.

وما يشوب هذا التوجه أنه لم يتجاوز الحس التلقائي الذي ينأى عن التصور النظري المضبوط و الرؤية المنهجية الواضحة التي ترتكز على خلفيات فلسفية على الرغم من أن هذه الملاحظات كانت معززة في الكثير من الأحيان بالشرح والتعليل، مما يدل على وعي بفعالية معطيات التاريخ في تفسير الأدب ،وتعليل قضاياه .

و يقول" ب" بأن علماء العرب ميزوا في تاريخ شعرهم بين عصرين ، عصر الجاهلية الوثنية ، و عصر الإسلام ، ونظروا إلى ممثلي المرحلة الأولى على أنهم نماذج لا يلحق شأوها، وقد ذهبوا إلى أكثر من ذلك فقد هوّنوا من شأن الشاعر لمجرد أن ولادته كانت بعد ظهور الإسلام ،أما الطبقة الوسطى التي عاشت في الجاهلية والإسلام فهي طبقة المخضرمين [2].

وفي هذا الشأن يروي "ابن مناذر" ت(198هـ) أنه كان يقول لأبي عبيدة :" اتق الله واحكم بين شعري وشعر عدي بن زيد و لا تقل ذلك جاهلي وهذا عباسي وهذا قديم وهذا محدث فتحكم بين عصرين و لكن احكم بين شعرين ودع العصبية"[3].

كما أن ابن رشيق ت (456هـ) قد قسم التاريخ الشعري العربي حتى عصره إلى جاهلي ومخضرم إسلامي ومحدث ويقول " صار المحدثون طبقا أولى وثانية على التدريج وهكذا في الهبوط إلى وقتنا هذا ".[4]

و إذا كان " ب" قد اعترف بأنه ثمة وعي بالتقسيم القائم على العصور عند العرب غير أنه يعلن عن مخالفته لهم في هذا التقسيم إذ يقول : " لم يؤثر الإسلام تأثيرا عميقا في شعراء العرب كما يريد النقاد العرب أن يقنعونا بذلك فقد سلك

---

[1]- انظرمالك بن نبي ،وجهة العالم الإسلامي ،تر عبد الصبور شاهين ،دار الفكر ،دمشق د ط،2002م،ص17-18.وإدوارد سعيد ،الاستشراق ،ص128-131 ،276-285.

[2] - ب ، م س، 36/1.

[3] - أبو الفرج الأصفهاني ،الأغاني ، ، 181/108..

[4] - إبن رشيق ، م س، 113/1.

شعراء العصر الأموي بدون مبالاة مسالك أسلافهم الجاهليين ولم تسد روح الإسلام حقا إلا بعد ظهور العباسيين [1].

فيعتقد" ب" أن نمو أدب إسلامي لم يكن إلا في عهد العباسيين ، وكأنه يعيد طرح قضايا سبق وأن زرع بذورها نقاد قدامى كالأصمعي وابن سلام ويتعلق الأمر بقضية تأثير الإسلام في الشعر ، وقد ذهب الأصمعي إلا أن طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية و الإسلام فلما دخل شعره في باب الخير من مراثي النبي صلى الله عليه وسلم وحمزة وجعفر رضوان الله عليهما وغيرهم لان شعره"[2].

ولم ينجح" ب" في تقديم أدلة قوية على ضعف تأثير الإسلام في الشعر، وهو مع ذلك لا يجد حرجا في القول بأن تأثير النصرانية كان بالغا عند النابغة وزهير ، وعند الأعشى ولبيد مما يدل- حسبه- على أن النصرانية كان لها نصيب من التأثير الخفي في الثقافة العقلية التي مثلها الشعر، ويستدرك قائلا بأن التعرف على دين من الأديان ليس معناه الاعتراف بذلك الدين و اعتناقه [3]

وهذا كلام غريب فكيف ينكر على من يدينون بالإسلام تأثر شعرهم بالإسلام، ويستسيغ تأثر شعر العرب الجاهليين الوثنيين بالنصرانية ، ويتجاهل بأن العرب قبل انحرافهم إلى الوثنية كانوا يؤمنون بالله الواحد فالانحراف عن التوحيد بالنسبة للجاهليين لايعني أن آثاره محيت تماما لذا فليس غريبا أن يقول زهير[4]:

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما تكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

و المتفحص للشعر الذي روي عن "لبيد" يلحظ تمايزا بين نوعين من الشعر أحدهما مطبوع بطابع الجاهلية، و الثاني مطبوع بطابع الإسلام.

والذي يمكن قوله في تأثر " ب" بتقسيم العرب القدماء أنه استفاد من بعض الإشارات التي تركوها ، لكن هذا لايتيح لنا الزعم أنه اتكأ بشكل كامل على مناهج أرسى دعائمها القدماء في تقسيمه للعصور.

2 -2- الوعي بالمنهج عند العرب المحدثين :

---

[1] -بروكلمان تاريخ الأدب العربي ،ص36.
[2] - المرزباني الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء عنيت بنشره جمعية نشر الكتب العربية ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، مصر ، 1343 هـ ، ص 62.
[3] - ب ، م س ،127/1.
[4] -الزوزني ،م س ،ص

من الصعب تحديد الأسس النظرية التي ارتكزت عليها مؤلفات مؤرخي الأدب العرب، لأنها في غالبيتها تكاد تخلو من مقدمات منهجية تلقي الضوء على المقاييس التي اتكؤوا عليها ،ومن الواضح أنهم اقتفوا أثر المستشرقين خاصة "ب"[1].

فالرؤية المحكومة بعوامل التاريخ وإن كانت قد تبلورت في سياق تطورات فلسفية وعلمية شاملة ارتبطت بالنهضة الأوربية في مختلف جوانبها بالنسبة للآخر الغربي،و الممثل في المستشرق المهتم بالحقل الأدبي الذي يتجسد هنا في كتاب "ب" إلا أنها بالنسبة للدارسين العرب لم تستند إلى نفس المعطيات، بل كانت أقرب إلى إملاء النموذج الغربي.

لقد استسلم جل مؤرخي الأدب العرب للتأصيل الاستشراقي في هذا الحقل المحكوم بالوضعية و التطورية ، و التجريبية من جهة وبنظرية الوحدة والتقدم التي تقول بوجود قوانين واحدة تحكم المسار التاريخي للأمم و الشعوب، وأن الإنسان على مر العصور يسير على درب التقدم باتجاه الكمال الإنساني من جهة ثانية، وذلك في ظل نظريات تبحث عن أسرار اللغات، وتنظر إليها باعتبارها منتظمة في سلسلة مترابطة ،وخاضعة لأنساق وقوانين معينة تجسد بتفاوت الفكر البشري، وتحاكيه في إطار مايسمى بالمقاربة الفيلولوجية التي تنتقل من دائرة اللغة إلى النقد وتاريخ الأدب. [2]

ويلمع هنا سؤال هو كيف تمّ إرساء المنهج التاريخي في دراسة الأدب عند العرب ،و ماهي الآليات التي تم وفقها انتقال التحقيب السياسي من المستشرقين إليهم ؟

ومثلما سبق ذكره فالوعي بالمنهج من جانب مؤرخي الأدب العرب كان بفعل سُنة التأثيروالتأثر بين المجتمعات البشرية ، وبدوافع تعليمية في غالب الأحيان وقد أطلق" ب" حكما عاما–دون تمييز– على مؤلفات العرب في مجال تاريخ الأدب فقال " وقد ألف في زماننا هذا " الكثير من أهل مصر و الشام و العراق كتب في الآداب العربية ضئيلة القيمة يقصد أكثرها إلى أغراض التعليم [3].

وأتى على ذكر عدد منها نوردها في هذا الجدول :

الرقم	إسم الكتاب	المؤلف	عدد الأجزاء	سنة الطبع	البلد	الملاحظات
1	تاريخ آداب اللغة	محمد دياب	2	1899م	مصر	–

[1] – محمد المساعدي ، من المنهج التاريخي إلى جمالية التلقي ، مجلة فكر ونقد ، الرباط ، ع 67 ، سنة 7 ، مارس 2005.

[2] – م ن.

[3] – ب ، م س ، ص 33.

	العربية	بك		1317م		
2	أدبيات اللغة العربية	محمد عاطف بركات	2	1906م 1324م	مصر	إشترك مع المؤلف جماعة
3	أدب الإسلام	صالح بك حمدي	–	1907م 1325م	مصر	–
4	أدب اللغة العربية	محمد حسن نائل المرصفي	–	1908م 1326م	مصر	أهمل عصر النهضة
5	تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية	حنفي بك ناصف	2	1910م 1328م	مصر	–
6	تاريخ أدب اللغة العربية	الشيخ عبد الله دراز	–	1910م 1328م	مصر	–
7	الشذرات السنية في تاريخ اللغة العربية	محمد علي المناوي	–	1911م 1329م	مصر	–
8	تاريخ آداب اللغة العربية	جرجي زيدان	3	1911م 1329م	مصر	ادعى جرجي زيدان أنه أول من ألف في تاريخ الأدب العربي
9	تاريخ الأدب العربي	للرافعي	3	1911م 1329م	مصر	–
10	المنتخب في تاريخ آداب العرب	محمد عطية الدمشقي	–	1913م 1331م	مصر	–
11	تاريخ الآداب العربية منذ نشأتها إلى أيامنا	أحد إخوة مدارس الفريز	–	1914م 1332م	مصر	–
12	الوسيط في الأدب العربي وتاريخه	أحمد الإسكندر ومصطفى عناني	–	1919م 1336هـ –	مصر	–
13	الخلاصة الأدبية في تاريخ الآداب المصرية	حمدان مصطفى	–	1924م 1342هـ –	مصر	–
14	المذكرات الحامدية في تاريخ آداب اللغة	علي حامد	–	1924م 1342هـ –	مصر	–
15	معجم المصنفين	محمود التونكي	4	1925م 1344هـ –	مصر	–
16	تاريخ الأدب العربي	أحمد حسن الزيات	–	1925م 1323هـ –	مصر	–

17	المنتخب في تاريخ الأدب العربي	مصطفى بدر الدين الحنفي	–	1925م 1347هـ	مصر	
18	مجمل في تاريخ الأدب العربي	محمد بهجت الأثري	–	1929م 1347هـ		
19						مباحث في الحياة السياسية و العقلية الأدبية في صدر الإسلام إلى آخر الدولة الأموية
20	ضحى الإسلام	أحمد أمين	3	1933م 1352م	بغداد	–
21	دروس في تاريخ آداب اللغة العربية	معروف الرصافي	–	1928م 1347م	بغداد	–
22	المجمل في تاريخ الأدب العربي	طه حسين وجماعة	–	1934م 1353هـ	مصر	قرر في السنة الثالثة بالمدارس الثانوية المصرية
23	المفصل في تاريخ الأدب العربي	طه حسين وجماعة	2	1934م 1353هـ		–
24	الآداب العربية وتاريخها	جرجس كنعان	–	1934م 1353م	مصر	–
25	تاريخ الأدب العربي في مصر من العهد الفاطي إلى العصر الحاضر	محمد أمين النواوي	–	1938م 1357هـ	مصر	–

وبالاطلاع على بعض هذه الكتب يتضح أن ملامح مفهوم المنهج تبدت بأشكال متفاوتة في العمق و الشمول ، وكلمة منهج نفسها لم ترد صريحة بلفظها إلا عند "طه حسين" فنجد أن زيدان استعمل كلمة " خطة" التي لم تكن واضحة المعالم في بادئ الأمر، فيقول " ترددنا كثيرا في الخطة التي نتخذها في تقييم هذا الكتاب بين أن نقسمه حسب العلوم أو حسب العصور"[1].

وهذا الإقدام المحفوف بالحذر نجده أيضا عند "الرافعي" الذي وقف على زلات سابقيه الذين ألفوا في هذا الباب [2]. أما منهجه في تسطير كتابه فقد أطلق عليه مرة"الطريقة التي انتهجتها" و مرة أخرى"الخطة "[1].

---

[1] – جرجي زيدان ، آداب اللغة العربية ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ط2 ، 1978 ، ص 9.

[2] –الرافعي ،م س ،ص

ولم يستعمل الزيات كلمة منهج لرسم طريقة وضع الكتاب إلا بعد مضي خمسة و أربعين عاما على ظهور الطبعة الأولى [2]

وكون تاريخ الأدب علم جديد فقد شد انتباه مؤرخي الأدب العرب في العديد من القضايا منها :أن المستشرقين كانوا السباقين إليه ليقتدي بهم العرب ،ومن أوائل مؤرخي الأدب العربي" جرجي زيدان" في كتابه "تاريخ آداب اللغة العربية " ،ويمكن اعتماد هذا الكتاب للنظر في مسألة انتقال التحقيب السياسي إلى العرب بناء على جملة من الاعتبارات سنأتي على ذكرها.

2-3-انتقال التحقيب السياسي إلى الأدب العربي .

قد يقول قائل أن التحقيب السياسي انتقل إلى الأدب العربي مع المستشرقين الذين أرّخوا للأدب العربي، و الحقيقة أن المستشرقين مثل " ب"و " نلينو" و"بلا شير" أرخوا الأدب العربي لكن بلغات أخرى ،فالمقصود هنا ما كتب عن الأدب العربي باللغة العربية من طرف مؤرخي الأدب العرب ، وسيكون النموذج المناسب لبيان آلية هذا الانتقال كما سبق ذكره كتاب جرجي زيدان تاريخ آداب اللغة العربية ، لأنه أقر بأنه مقلد للمستشرقين كما أنه من أوائل الذين كتبوا في هذا الحقل ، ويمكن الوقوف على حيثيات انتقال التحقيب السياسي إلى تاريخ الأدب العربي من خلال المقدمات التي وضعها زيدان في كتابه.

فبداية أقر جرجي زيدان أن تاريخ الأدب العربي علم جديد ، وأن المستشرقين كانوا السباقين إليه ،ليلتحق بهم العرب مقتفين آثارهم في أكثر مؤلفاتهم ، ويذهب زيدان إلى أن المشهور أن العرب لم يؤلفوا في تاريخ آداب لسانهم ،غير أن هذا الحكم يصطدم بالعدد الكبير من المؤلفات التي تؤرخ للأدب العربي ، فقد وضع العرب تراجم الرجال و ما خلّفوه من كتب.

وعمدوا في هذه الكتب إلى وصف موضوعاتها كما فعل" ابن النديم" في الفهرست إذ قدم آداب العرب مرتبة حسب الموضوعات .. و مع هذا تتعذر التسوية بين كتب تاريخ الأدب الحديثة و كتب التراجم و الطبقات عند العرب ، ومن هذا المنطلق اعتبر جرجي زيدان أن هذه المؤلفات القديمة لا يصح تسميتها تاريخا للأدب بالمفهوم الحديث -على الرغم من أن "ب" فعل ذلك - ويعود ذلك بالأساس إلى أنها تفتقر إلى منهج نظري مسطر مسبقا ليتم وفقه تنظيم موضوعاتها على أساس من الحركة، و التحول و التطور [3].

---

[1]- الرافعي نم س، ص 13.

[2] - حسين الواد م س.

[3]- جرجي زيدان ، م س1 / 7-8

و إن كان زيدان- وغيره كثير- قد أقر بأسبقية المستشرقين في هذا الفن فإن مسألة هامة في هذا الباب لم تأخذ حظها من النقاش، وهي تقسيم العصور الأدبية أو التحقيب الأدبي وفق معايير سياسية ، وما يمكن أن يفرزهذا المسار من قضايا كتحديد هذه الحقب وتسميتها ومعالمها ، و الحكم على أدب كل عصر أنه يقوم على خصائص تجعله أدبا متجانسا ، وكافة الانشغالات المتعلقة بالتقسيم .

وما يدعو إلى الغرابة أن تقسيمات المستشرقين أخذها العرب المحدثون كمسلمات ، وقد وجد مؤرخو العرب متسعا لإمكانية الاختيار بين تقسيمات المستشرقين، فمنهم الذي يختار تقسيم" ب" ، ومنهم من يأخذ بتقسيم " نلينو" أو " هوار" أو " نيكلسون" أو " بلاشير" ،ومنهم من يمزج بين هذه العروض دون إمعان النظر في مبدإ التقسيم كإجراء يصلح لترتيب المادة النصية العربية ،أوإخضاعه للمناقشة و المساءلة ، فضاعت الإجابة عن أهم سؤال يطرح وهو جدوى تقسيم تاريخ الأدب العربي إلى عصور [1]

وكان قُصارى ما فعله زيدان -باعتباره يتحمل جزء ا من مسؤولية نقل هذا الإجراء إلى الأدب العربي- أنه عرض مبررات أخذه بمبدإ التقسيم إلى عصور وينطلق في ذلك من مفهومين:
- ويتمثل الأول في تبني المفهوم الإنساني الذي كان سائدا في القرن التاسع عشر ، والذي يرى أن الأمم تتشابه بطبائعها ومداركها، مع تباين في كل أمة لذا جاءت آدابها متشابهة سواء في القديم أو الحديث، فتقوم على الشعروالنثرولو دونت الأمم القديمة آدابها لكان التشابه أكثر وضوحا ، واعتبر أن اليونان هم أقدم الأمم التي دونت تاريخ أدبها.

-أما المفهوم الثاني فهو إيمانه بمبدأ النشوء و الارتقاء ، إذ تتكرر التعبيرات الدالة على هذا المنحى كقوله: فالعلم نشأ في الشرق وأثمر أولا في وادي النيل... ظلت الآداب زاهرة في الشرق ...حتى كان تقهقره على مقتضى سُنة العمران...وكيف نشأ كل علم وارتقى وتفرع عملا بسنة النشوء و الارتقاء... [2]

ومعروف أن النشوء و الارتقاء مفهوم بيولوجي وليد الفكر الداروينى الذي يؤمن بتدرج الجنس البشري في التطور،إلى أن وصل إلى وضعه الإنساني المتقدم ، و لا يتوقف هذا المبدأ على " البيولوجيا" فحسب بل شمل المعارف الإنسانية أيضا فهيمن على كافة المجالات ، وتولدت عنه مفاهيم عرقية استُغلت

---

[1]-لقد كان حماس زيدان كبير المنهج التقسيم إلى عصور و الذي سنه المستشرقون و لا نجد الحماس نفسه عند الرافعي الذي يعتقد بان تاريخ الآداب ليس من آداب اللسانية ماهي إلا مواضعات يتواطأ عليها أهل كل لسان ، فتاريخ الآداب عند كل أمة ينبغي أن يكون منفصلا عن جوادتها الأدبية بإعتبارها مفاصل عصوره المعنوية ، فلايمكن الوقوف إلا عند الحوادث التي تلحق تغييرا محسوسا بمادته الأدبية الرافعي ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ص

[2] م ن ، ص 14 – 15- 16- 17- 18 - 19

أحسن استغلال لتكريس المركزية الأوربية لإحكام السيطرة على الشعوب الأخرى التي لم تصل بعد إلى درجة التطور التي وصلها الغرب .

ووفق هذا التصور تمر الآداب الإنسانية عبر مراحل النشوء و الارتقاء ، ويستعرض زيدان النموذج اليوناني الذي مر بأطوار

1-العصر الخرافي "الميثولوجي":ولم يبق منه إلا القصص الخرافية عن الآلهة ونحوهم ،ويبدأ قبل زمن التاريخ وينتهي إلى القرن التاسع قبل الميلاد ،وأسماء رجاله وشعرائه خرافية
2-عصر الأبطال و الحروب(900-700ق م) الذي ظهر فيه أقدم الشعر الوصفي أو القصصي ممثلا في منظومات "هوميروس"-
3-العصر الثالث(700-500ق م) وفيه تحضر اليونان ن ووضعوا الشرائع وأنشؤوا المستعمرات وتنازعوا على السلطان وظهر مثل هذا التنازع في الأدب، فنشأ فيه الأدب التمثيلي و الغنائي.
4- العصر الذهبي الأثيني(500-323ق م)وفيه نضج الشعر التمثيلي و الفلسفة والخطابة و التاريخ.
5-العصر الإسكندري(323-146ق م) أين انتقل العلم من أثينا إلى الإسكندرية.
6-العصر اليوناني الروماني:(146-550م) بعد سقوط دولة اليونان يد الرومان فضعفت الآداب
7- العصر البيزنطي:(550-1453م) وكانت القسطنطينية مركز الآداب اليونانية إلى أن قضى عليها العثمانيون[1].

2-3 -1-المقايسة في نقل التحقيب السياسي إلى الأدب العربي :

لما فرغ زيدان عرض أطوار الأدب اليوناني شرع في بيان آلية انتقال هذا التحقيب إلى الأدب العربي بقوله " هذه خلاصة تاريخ آداب اللغة اليونانية، فقس عليها تواريخ آداب سائر اللغات الأوربية .... فإنها كثيرة الشبه بها فأقدم الآداب دائما الشعر الديني يليه القصصي و التمثيلي ، فالغنائي ثم ينشأ الأدب و الخطابة و التاريخ وتضبط اللغة وقواعدها، ثم الفلسفة ، و العلم الطبيعي ثم تستغرق الأمة في المبالغات و التفاصيل الخارجية عن المعقول، فيقل الاستنباط وتضعف القرائح[2].

فزيدان بعد عرضه لتاريخ الأدب اليوناني رأى أنه نموذج تقاس عليه سائر الآداب ، و بهذا يكون تصور الفكر المقارن حاضرا في تقسيمه لتاريخ الأدب العربي، و تتمثل عناصر المقابلة في آداب اللغات الأوربية و الأدب اليوناني يقابله الآداب السامية و الأدب العربي.

---

[1]- جرجي زيدان ، ص 21-22-23
[2]- م ن، ص 23

و التصور القائم على المقابلة جعله يقسم تاريخ الأدب إلى أطوار ، فنموذج الغرب هو اللغة اليونانية ،و الآداب السامية أو الشرقية عموما نموذجها اللغة العربية وآدابها.. ويسعى من حين إلى آخر إيجاد جسور بين تاريخ الأدب الإغريقي، وتاريخ الأدب العربي ،فشبه ماحدث في العصر الثالث الذي عرف نبوغ الشعراء ،ونصرة كل شاعر لقومه والتعبير عن شعائرهم فيتمادحون ويهاجون ويتفاخرون بما كان يفعله شعراء العرب في العصر الجاهلي.

والمقايسة Anathologie التي اعتمدها جرجي زيدان تعني التشابه مع وجود الاختلاف وبشكل خاص تشابه العلاقات[1].

ومن هذا المنطلق يرى أنه ثمة تشابه بين تاريخ الآداب اليونانية ، وتاريخ الآداب العربية ، فالأول يمثل نموذج الآداب الأوروبية و الثاني نموذج اللغات السامية ، ومن العناصر المتشابهة هي أنه مثلما عرف الآداب اليوناني تطورات متتابعة كذلك شهد الأدب العربي بأدبه الغزير تغيرات وتطورت، وعنده أن آداب الأمم تتشابه كما تتشابه النفس الإنسانية ،ولو أن بعض الشعوب لها امتيازات خاصة في مجال معين أو علم خاص، فكما أن الحكمة و الخطابة تنسبان إلى اليونان، فإن الخرافة تنسب للهنود، و البيان للعرب، و الإنشاء للفرنسيين ،والفلسفة لليونان.. [2].

ويظهر اعتماد زيدان على النموذج اليوناني الجاهز الذي يجب قياس الأدب العربي عليه في الكتب التي استند إليها ،ومن أهمها :كتاب "دلتور" Deltour تاريخ الأدب الإغريقي في نسخته الفرنسية ، الصادر في باريس بتاريخ 1896 ، إلى جانب كتب تاريخ الأدب العربي للمستشرقين وأبرزها كتاب " بروكلمان" الذي طبعه في فيمار 1902 م. [3]

2-3-2-تقسيم العصور بين بروكلمان وزيدان:

بداية يأخذ "زيدان"التاريخ الأدبي بمعناه العام مثل "ب" وبالنسبة لتقسيم العصور فقد سبق البسط في تقسيم "ب" الذي يقوم على قسمين :

الأول من أدب اللغة العربية من أوليته إلى سقوط دولة بني أمية

والثاني هو الأدب الإسلامي باللغة العربية والممتد من العصر العباسي إلى العصر الحديث.

---

[1]- محمد مفتاح ، التلقي والتأويل ، مقاربة نسقية ، المركز الثقافي العربي - بيروت ، ط 2- 2001 ، ص 91- 100 - 10 - 188.

[2]- جرجي زيدان ، م س، ص 23

[3]- م ن ،ص12-13.

أما زيدان فيجاري " ب" في فكرة تقسيم تاريخ الأدب إلى قسمين رئيسين، والاختلاف هو في الحد الفاصل بين القسمين فعند "ب" هو سقوط الدول الأموية وقيام الدولة العباسية ،أما عند زيدان فهو ظهور الإسلام . ويقسم "جرجي زيدان" تاريخ الأدب العربي إلى أعصر حسب التقلبات السياسية كما يلي1:

1-آداب قبل الإسلام وقسمها إلى ثلاثة عصور:

1-1-عصر الجاهلية الأولى(...- ق الخامس ميلادي)واعتمد على التاريخ القديم للعرب والأمم المجاورة وحاول إيجاد علائق تثبت اطلاع العرب على الحضارات المعاصرة ،كما اعتمد على نصوص مقدسة يهودية مثل"سفر أيوب" في أصله العربي الضائع قبل ترجمته إلى العبرية ،والغريب أنه أعرض عن نصوص القرآن الكريم التي تمنح إضاءات عن الجاهلية الأولى ،بل إن التسمية "الجاهلية الأولى "لم تعرف قبل القرآن !

1-2-عصر الجاهلية الثانية :(ق5 م-إلى ظهور الإسلام)

2- أدب الإسلام و قسمه إلى ستة عصور:

2-1-عصر صدر الإسلام

2-2- العصر الأموي.

2-3- العصر العباسي.

2-4- العصر المغولي.

2-5- العصر العثماني.

1-نفسه ،ص25

2-6-العصر الحديث

ونظرا للتقلبات السياسية التي عاشها العصر العباسي فقد قسمه إلى أطوار .

وما يميز هذا التحقيب يرجع هو تقسيم العصر الجاهلي إلى قسمين ويرجع "زيدان" ذلك إلى ما بلغته لغة العرب من نضج في عصر الجاهلية ،فقد كانت هذه الأمة من أعرق الأمم ،ولغتها راقية في أساليبها ومعانيها وتراكيبها .

و إذا كانت اللغة هي مرآة عقول أصحابها فإن المتكلمين باللغة العربية -كما جاءتنا في القرآن والشعر الجاهلي والأمثال- يتعذر أن يكون أصحابها قد دخلوا المدنية من قرن أو قرنين ، فلا يتأتى للغة من لغات المتوحشين أن تدرك لغات المتمدنين إلا بعد دهور طويلة [1]

---

[1]- جرجي زيدان ،ص 26.

واعتمد في إثبات هذا الاعتقاد على التاريخ القديم للعرب، والأمم المجاورة ،وحاول إيجاد علائق بين رقي لغة العرب، و الحضارات التي عاصرتها، وذلك بناء على الحفريات المكتشفة حديثا، و على نصوص مقدسة يهودية مثل"سفر أيوب" في أصله العربي الضائع قبل ترجمته إلى العبرية.[1]

و الغريب أنه أعرض عن نصوص القرآن الكريم التي تتيح إضاءات عن الجاهلية الأولى ،بل إن تسمية "الجاهلية الأولى "لم تعرف قبل القرآن !

ولعل الباعث على البحث في المجهول بالنسبة " لزيدان" هو اعتماده مبدأ المقايسة ،فيحاول جهده إيضاح كل ما من شأنه إثبات علاقة التشابه.

وإذا كانت المقايسة تهتم بتشابه العلاقات بدقة مما يؤدي إلى نتائج علمية دقيقة ، فإنها عند "جرجي زيدان " لم تأخذ بهذا المفهوم إلا بشكله العام وذلك بجعل النموذج الأوربي خلفية يقيس عليها الأدب العربي، فعنده أن العرب كانوا يقتفون خطوات اليونان و السريان و الرومان ، ولم تصل المقايسة – بالنظر إلى تشابه العلاقات– إلى الدقة التي تؤدي إلى نتائج علمية ، فلم تكن عنده المقايسة إلا وسيلة لإعطاء تاريخ الأدب مفهوما يعتمد في تقسيمه على العصور السياسية ، ليصبح نموذجا يحتذى بعده من خلال مقايسة سطحية كانت نتائجها العلمية أن رهنت الإبداع العربي بالسياسة [2].

2-4- القراءة التاريخية للأدب عند للعرب :

اتصفت القراءة التاريخية للعرب في مرحلتها الأولى، وحتى المراحل اللاحقة بأنها ظلت منحصرة في التاريخ ولم تتعداه كثيرا إلى المناهج الغربية كما عند "غوستاف لانسن" و اعتمدت على الانتقائية، و ابتعدت عن الروح العلمية التي يسعى إليها تاريخ الأدب في القرن التاسع عشر، خاصة أن أوائل المؤلفات قد فرضت على أجيال لا كتب لهم سواها ، وكما قال أحد الدارسين " أخشى أن أقول إنهم حين أقبلوا على هذا التاريخ ابتعدوا عن الصلة الحميمية بإيقاع النصوص الأدبية على الوجه الصحيح[3]".

وإذا كان الغربيون قد أخذوا وقتا بين التنظير باستيعاب منطلقاته الفكرية وبين القراءة التاريخية لآدابهم، فإن العملية عندنا كانت متزامنة تسير في الوقت نفسه ، مما تكشف عن مفارقات منهجية بسبب عدم تمثل الجانب النظري

---

[1]- جرجي زيدان ،م س،ص27-28.

[2]- أحمد بوحسن ، م س، ص 122

[3]- عبد الرحمن ياغي ، في النقد النظري ، دار العربية للنشر و التوزيع ، عمان 1984 ، ص 6 عن حبيب مونسي القراءة و الحداثة من منشورات إتحاد الكتاب العرب 2000.

بالقدر الكافي، إضافة إلى غلبة تصورات قبلية أملتها أسبقية كلمة تاريخ على كلمة أدب .

وقد كان لهذا السلوك من جانب العرب المحدثين أثرا سلبيا عطل القراءة الجادة للأدب العربي ، وأدى بها إلى مزالق خطيرة بسبب الاستقراء الناقص ؛فالقراءة التاريخية عندنا اعتمدت على الانتقائية بالوقوف عند الحوادث التاريخية البارزة، وتعميم أثرها على العصر برمته ، وأبرز مثال على ذلك تركيز" طه حسين" على شعر المجون في العصر العباسي، ليجعل بعد ذلك شعر المجون ممثلا لروح العصر في كتابه حديث الأربعاء ، ومثل هذا الحكم كان يقتضي دراسة سائر فنون القول في هذا العصر مع دراسة تاريخية شاملة عن كل ملابسات تلك الفترة [1].

ويؤخذ أيضا على القراءة التاريخية إطلاقها الأحكام الجازمة، بينما الحكم في القراءة التاريخية ينبغي أن يسبق بترو، و لا يكون إلا بعد استقصاء للوثائق ويبقى بعد ذلك قابلا للنقد والتبديل لكن القراءة العربية جنحت إلى الجزم .

ويسوق" سيد قطب" عددا من الأحكام الجازمة من كتابات طه حسين-باعتباره رائدا للقراءة التاريخية- الذي قطع بأن الترجمة من الهندية في عصر النهضة الإسلامية قد أوجدت شعر الزهد في الدولة العباسية ، وأن اتساع نفوذ الفرس كان وراء انتشار شعر المجون ، و الخمريات وكثرة الجواري تسبب في انتشار الغناء، وعزلة الحجاز عن السياسة خلقت الغزل هناك ، وغيرها من الأحكام التي هي عرضة للخطإ خاصة إذا كان يعتمد على سبب واحد ليجزم بتعميم الظاهرة الأدبية أو الاجتماعية ، و المعروف أن هذه الظواهر تتعاضد أسباب عدة لإيجادها [2].

والجزم غالبا ما يرتبط بالتعميم ، ولعل المسؤول عن هذه الظاهرة هو انتصار طرق البحث العلمي في كشف الحقائق الطبيعية ، و امتداد تأثيره إلى البحث الأدبي، لتستخدم نظرياته، فتعامل الظواهر الأدبية معاملة الأحياء المتطورة من حال إلى حال ، وكان لهذا الاتجاه خطره على البحوث الأدبية ، فطبيعة الأدب غير طبيعة العلم، فقد لا يتناغم الأدب بما فيه من أحاسيس ورواسب الشعور مع تطور الأحياء ، وقد يكون فيه من الانحناءات و الانعكاسات أكثر مما فيه من الخط المستقيم .

والملفت للانتباه في هذه القراءة هو التغاضي عن خصوصية الأديب الذي أنتج النص ،فلا وجود للشاعر إلا من خلال الظروف التي تواجد في ظلها، وكثيرا

---

[1]- سيد قطب ، النقد الأدبي ، أصوله ومناهجه ، دار الشروق ، بيروت ، ط 8 ، 2003 ، ص 168.

[2]- م ن ،ص 168-169.

ما يجرف سيل الملابسات التاريخية و الاجتماعية أصحاب هذه القراءة فيضيع منهم النص .

وكل هذه المآخذ المحاذير تتضاءل أمام تبعية الأدبي للسياسي ، و لا يعني هذا إنكار العلاقة التي تربط السياسة بالأدب في سياق تأثير متبادل لكن أيهما المثير وأيهما المثار ؟

ففي ظل تقسيم تاريخ الأدب وفق عصور خاضعة لتبادلات السياسة من جانب المستشرقين ، والعرب ، اعتبرت السياسة هي المثير، والأدب هو المثار فخلقت بهذا تبعية أحادية الاتجاه ، فغالى هذا المنهج في تمجيد السياسة ،وجعل الأدب تابعا لها بتسمية العصور الأدبية بأسماء سياسية ، غير أنه في أحيان كثيرة يَسبق المخاضَ السياسي مخاض فكري وأدبي.

ويطلعنا التاريخ أنه في مرات عديدة مهد الأدب والفكر للثورات اللذان يسبقانها بحقب قد تتجاوز أعمار مفجّريها ، فانتهاء مرحلة سياسية لا يقتضي بالضرورة تحول خصائص أدب ما إلى خصائص أخرى ، وتعد هذه التبعية أي الأدب للسياسة عظيمة الخطر على الأدب ، فالدارس يتجه للنتاج الأدبي وهو محمل سلفا ببعض الآراء التي قد لا يشعر بتسللها إليه وسلطانها عليه[1].

وبذكر هذه المآخذ و المزالق التي وقعت فيها قراءة الدارسين العرب لتاريخ أدبهم ،فهل تقع مسؤولية هذا الزلل عليهم أم أن للمستشرقين وفي مقدمتهم "ب" نصيب منها؟ .

في حديث" ب" عن قوالب طبيعة الشعر العربي في العصر الجاهلي، يرى أن أقدم القوالب الفنية العربية هو السجع الذي ترقى إلى بحر الرجز، وقد كان في الجاهلية من أجل تلبية حاجة الارتجال عندهم ،ولم يكتسب صفة الوزن العروضي إلا في زمن الأمويين ويعتقد أنه من الرجز نشأت بقية أبحر الشعر [2]

وقريب من كلامه قد ذكره بعض النقاد العرب القدامى كما في كتاب العمدة لابن رشيق إذ يقول " وزعم الرواة أن الشعر كله إنما كان رجزا،أو قطعا، وأنه إنما قصد على عهد هاشم بن عبد مناف" [3].

غير أن الفرق بين المقولتين هو الجزم عند" ب" فقد قال « ينبغي أن يكون أقدم ا لقوالب الفنية العربية هو السجع ..وترقى السجع إلى بحر الرجز المتألق

---

[1]- شكري فيصل ، مذاهب الدراسة الأدبية ، دار العلم للملايين ط3 ، سنة 1973 ، بيروت ص 34.

[2] - ب ، م س، 51/1.

[3]- ابن رشيق ، م س -189/1.

من تكرار سببين ووتد ليسهل على السمع ، ويبلغ أثره الـنفس» وإذا قابلنـا بـين عبـارة "ينبغي أن يكون"عند "ب" و"زعموا" عند "ابـن رشـيق" ...يتضـح كيـف أن الإلـزام و الجبر يخص الحكم الأول دون الثاني.

وفي حديث"ب" عن علاقة الشاعر بالمستمعين بـيّن أن التـأثير فـي المسـتمعين لـم يقتصر على التوسع في اسـتخدام الثـورة اللغويـة باسـتعمال الغريـب ،و الإتيـان بالصور التي لا تتبادر إلى الأذهان وكـذا اسـتعمال المـؤثرات السـطحية المعتمـدة على الرنين و الموسيقى اللفظية ، إلى جانـب التـزام وحـدة القافيـة وهنـا ينبـه" ب" بقوة إلى أهمية المتلقي العربي، فيعتبـر إجـادة الشـعراء بالتوسـع فـي اسـتخدام الثروة اللغوية ، وإثارة التعجب بالإتيان بالغريب كانـت اسـتجابة لرغبـة المسـتمعين في الإجادة من طرف الشعراء.

وتشهد حقيقة بعض النصـوص أن الشـعراء فـي الجاهليـة سـعوا لإيجـاد المعنـى المبتدع الذي لم يسبقهم إليه أحـد ، فهـذا " عنتـرة بـن شـداد"يعتـرف بـأن الشـعراء السابقين لم يتركوا موضوعا إلا طرقوه فيقول[1]:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

فيكون "ب" محقا في أن الشاعر الجاهلي كـان حريصـا علـى الإبـداع ،والإتيـان بالجديد ،لكن قد لا يكون مصيبا في اعتبـار الشـعراء القـدامى يلهثـون وراء الغريـب من الألفاظ ،فهناك فرق بين استشعار غرابة اللفظ في زمـن متـأخر لهجـران النـاطقين بلغته له ،وبين أن يكون اللفظ غريبا في زمانه ،فما يـراه "ب"غريبـا مـن الألفـاظ فـي زمانه كان مألوفا لدى السامعين في عصر الشاعر .

وعن الفن الكلامي عموما يعتقد "ب"أنه لا يكتسـب قيمتـه الكاملـة إلا إذا ظهـر فـي وحدة أطول وأكبر وهي وحدة القصيدة ،وبأن أفضل مـن حـاول تفسـير اشـتقاق كلمـة "قصيدة" –رغم مغالاته–كـان "لانـدبرج"ت(1924م) فالقصـيدة العربيـة عنـده تعنـي "شعر الغرض والقصد "وذلك لأن "كـل مسـاومة واتجـار بالشـعر القـديم والحـديث ،وكل جشع لا يعرف الشبع في الفطرة العربية ،وجـد التعبيـر عنـه فـي لفـظ قصـيدة وهذه عبارته الفرنسية كما أوردها "ب" :

Toute la vénalité de la poésie Arabe ancienne et moderne,toute la cupidité insatiable du caractère Arabe à trouvé son expression dans le mot 1"Qassida"

وأخْذ "ب" برأي "لاندبرج" يوقعه مجددا في التنـاقض، وذلـك أنـه اسـتبعد تفكيـر الشاعر العربي القديم في الجائزة الرنانـة التـي –حسـب زعمـه–قـد نزلـت بمكانـة

[1]-الزوزني ، م س،ص137.

شعراء المديح المحترفين في بعض الأحيان منذ عهد النبي [صلى الله عليه وسلم]إلى درك المتسولين بالغناء[1].

والذي جرّ "ب" إلى هذا التناقض هو حرصه على تحميل عصر النبي عليه الصلاة والسلام وزر انحراف الشعر إلى التكسب، ليُكرّس فكرة تنافس الشعراء في مدح النبي صلى الله عليه وسلم رجاء الجوائز،ومثل هذه المزاعم مألوفة عند المستشرقين ،وقد يكون "ب"أقلهم تحاملا .

وبهذا يتضح أن "ب "–كغيره من المستشرقين –يميل في الكثير من القضايا التي تحمل إمكانات تفسيرية مختلفة إلى حصرها والجزم عليها بحكم واحد، على الرغم من وفرة المادة النصية عنده، لكنه يُعرض عن الاستقصاء، ويعمم أحكامه ،وهذا النهج جعله يخلع ما يسمى بروح العصر– الذي يعتبر إسقاطا لتداعيات السياسة – على النتاج الأدبي لعصر من العصور ؛ومن ذلك أنه يعتبر الأزمنة الأولى من سيادة الأمويين كانت حافلة بالحروب والفتن ،فلم تترك مجالا لنمو الشعر وازدهاره.[2]

غير أن الحركة الأدبية لهذه المرحلة لم تتأثر سلبا بهذه الاضطرابات السياسية،فالصراع على السلطة في العصر الأموي أفرز نضالا سياسيا لعب فيه الشعراء الأدوار الأولى فانحازعدد من الشعراء إلى الأحزاب المعارضة وغالبا ما كان ذلك عن عقيدة وإخلاص، وكان بعضهم قادة لهذه الأحزاب فعملوا على استقطاب الأنصار بتأجيج مشاعر الناس وتأليبهم على الحكام ودعوتهم لاعتناق مذاهبهم ،فهذا "الطرماح بن حكيم "ت(100هـ) الخارجي يروج لمذهب الشراة فيقول[3]:

لقد شقيت شقاء لا انقطاع له إن لم أفز فوزة تنجي من النار
والنار لم ينج من روعاتهاأحد إلا المنيب بقلب المخلص الشاري

أما دور الشعر في توجيه السياسة فما أكثر الأمثلة عليه! ومن ذلك تحريض عبيد الله بن قيس–وقد كان شديد الإخلاص لآل الزبير– مصعب بن الزبير على غزو الشام معقل حكم بني أمية فيقول[4]:

---

[1]– ب ، م س ،59/1.
[2]– م ن، 187/1
[3]– المثالية في الشعر العربي،موهوب مصطفاي،ص129 الشعر والشعراء 2 /590
[4]– ابن قتيبة ،م س 539/2.

إنما مصعب شهاب من اللـ ـه قد تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك رحمة ليس فيه جبروت يخشى ولا كبرياء
يتقي الله في الأمور وقد أ ف لح من كان همه الاتقاء
كيف نومي على الفراش ولمّا تشمل الشأم غارة شعواء

وقد كان شعر الموالي في العصر الأموي أسبق ظهورا من نفوذهم في العهد العباسي الأول.

3- مراجعة تاريخ الأدب :

شهدت مرحلة ما بين الحربين العالميتين موجة من السخط على التاريخ الأدبي في الغرب ،وانصب السخط عموما على ما يسمى بالوقائعية الذرية للدراسة الأدبية، والنزعة نحو العراقة القديمة ،وعلى توطيد العلاقات السببية بتقديم الشرح المعلل من خلال سرد تماثلات بين المؤلفات الأدبية، وبالتواشج بين الأحداث في حياة الشاعر مع موضوعات أعماله ، فضلا عن اتهام تاريخ الأدب بأنه يعاني من قلة التركيز ،وعلة ذلك أن اهتمامه الأول كان بالتاريخ العام[1].

ويأبى الرافضون للتاريخ الأدبي أن يكون العمل الأدبي حلقة في سلسلة ، فهناك فرق بين الأدب باعتباره مادة حاضرة، والتاريخ السياسي الذي يعيد بناء الماضي المتلاشي .

وقد ناقش "كروتشيه" هذه الإشكالية في مقالة له عام 1917 م ورأى بأن الأعمال الفنية تتسم بالفردية ولا توجد استمرارية بينها إذ يقول"يمكن للمرء أن يكتب فقط موضوعات ومقالات نقدية ،وإذا طالب أن توضع في شيء من الترتيب فالجواب أن أيّ إنسان يمكن أن يرتبها وفق النظام الذي يسره " وأن"أدب الماضي لا يمكن أن يحتفظ بالحياة إلا برؤيته أدب الحاضر أو ربما اضطررنا إلى القول أن أدب الماضي يعيش في أدب الحاضر "[2]

وفي ظل هذه الثورة العارمة أعلن العديد من الدارسين ومنهم "رينيه ويليك"سقوط تاريخ الأدب[3]

---

[1]- رينيه ويليك ،الهجوم على الأدب ، ص112 وقد وصل الأمر إلى حد أن "رومان جاكبسون" شبه المؤرخ الأدبي بالبوليس المكلف باعتقال شخص معين فيعتقل أي شخص ،ويصادر أي شيء يجده في البيت وكل الناس الذين يمرون بالشارع مصادفة ،فمؤرخو الأدب يقدّرون كل شيء: الوضع الاجتماعي ،وعلم الفلسفة..

[2]- م ن،ص114

[3]- م ن ،ص128.

ولايعني هذا أن الدارسين قد فرغوا من تاريخ الأدب ،ونفضوا أيديهم منقاش قضاياه، وما هذه الثورة إلا تمهيد لمراجعة تاريخ الأدب الذي خضع لإعادة القراءة في ضوء المستجدات التي عرفتها نظرية الأدب المعاصرة ،وكذا الأطروحات والأبحاث التي صارت مرشحة لتطعيم حقل تاريخ الأدب بمفاهيم جديدة مستوحاة من حقول تتعالق مع اهتمامات نظرية الأدب نظرا للتداخل الذي ما انفكت تدعو إليه المقاربة النسقية Approche systémique ،ولبلوغ هذه الغاية كانت المنطلقات الأولى تقوم على التحديد والتعريف بالمفهوم وبيان موضوعه الحقيقي والخاص، وبشكل أساس تخليصه من شوائب علقت به من خلال الطروحات التقليدية لتاريخ الأدب[1] .

وفي هذا السياق ،أفضت مراجعة الأدب إلى العديد من الأسئلة استدعت ظهور العديد من الأسئلة أدت إلى ظهور بدائل منهجية مثل تصور الشكلانيية ،وجمالية التلقي لتاريخ الأدب.

3-1-تاريخ الأدب والأنساق عند "تينيانوف":

أسست الشكلانية لمرحلة جديدة من البحث الأدبي باعتبار الأدبية غاية في ذاتها لا مجرد ذريعة لغايات خارجية إلا أنه سرعان ما رأى روادها أن الرفض الشامل المستقبلي للماضي لا يمكن الدفاع عنه ،وهذا ما يفسر إعادة فتح "تاريخ الأدب" بمصطلحات جديدة ،وافترضوا وجود تطور داخلي في الأدب ،رافضين بذلك التصور القديم لتاريخ الأدب الذي ينظرون إليه كأنه خليط من الوقائع غير المنسقة ،وطرحوا مسألة التاريخ الأدبي القائم على ديناميكية داخلية.[2]

اجتماعية فينتفي عن هذا الفهم إدراك العمل الأدبي في سيرورته التاريخية "التطور الأدبي " الذي أصبح عنده تعاقبا للأنساق والوظائف ،فيرى أن مبحث تاريخ الأدب تتنازعه مقاربتان : المقاربة السيكولوجية الفردانية التي تستبدل الظواهر الأدبية بالتطور الأدبي ،والمقاربة السببية التي يراها ضيقة الأفق بحيث أنها تعزل الصيرورة الأدبية بناء على موقع الباحث.[3]

وأبرز ما في هذا الطرح هو تعاقب الأنساق بدل تعاقب الحقب أو العصور ،والبحث في النسق وليد الدراسات العلمية الحديثة وغالبا ما يعتمد الفكر الغربي على المفهوم اللساني والنصي الأدبي لكلمة "نسق"[4].

---

[1]- كليمان موزان ، التاريخ الأدبي باعتباره خطابا علميا ،من مقدمة المترجم ، تقديم وترجمة حسن طالب ، مراجعة عبد الغني ذاكر ، مجلة فكر ونقد .ع28

[2]- رينيه ويليك ،الشكلانية الروسية ،مقال ضمن الهجوم على الأدب ،ص213.

[3]- هاشم الأسمر ،تاريخ الأدب من منظور الشكلانية وجمالية التلقي ،مجلة علامات ع13 -2000،المغرب.

[4]- التعريف البنيوي للنسق هو "مجموعة من العناصر المتفاعلة فيما بينها "ومن المفاهيم التي وضعت للنسق هو أنه "وحدة كلية منظمة لعلاقات داخلية بين العناصر التي قد تكون أفعالا أو أفرادا " MorinEdgard,La Méthode,1:Lanature de la nature,Paris 1987,p202.

وبالنسبة "لتينيانوف" العمل الأدبي مرتبط بالنسق الأدبي ولايمكن للعمل الأدبي أن يجد هويته خارج ذلك النسق، ومن هنا يكون قد طبق على الأدب ما طبقه"دي سوسير"على اللغة وبتمييز "تينيانوف" بين الأدب والحدث الأدبي يتراءى لنا تمييز "دي سوسير" بين اللغة والكلام.

وفي سياق عرض طروحات جديدة في حقل تاريخ الأدب يعتقد "تينيانوف" أنه إذا أراد تاريخ الأدب أن يكون علما فيجب أن يستجيب لمقتضيات الأصالة ،وذلك بفحص كل المفاهيم من جديد، بداية بمفهوم تاريخ الأدب الذي يحيط به الالتباس ،فيقدّم على أنه ضمن "التاريخ الثقافي "

وفي واقع الأمر أن نمط الدراسة التاريخية تتحدد حسب وجهة النظر المتبناة، والتي تتمفصل عادة في اتجاهين هما: دراسة تكَوَن وتَشَكَل الظواهر الأدبية ،ثم دراسة التطور الأدبي بطريقة يتم فيها تجنب نظريات التخمين الساذجة، التي تأخذ المعايير الخاصة بنسق ما باعتبار أن لكل عصرنسقه الخاص ، ثم تقيس وتحاكم بها ظواهر نسق آخر مختلف، بينما كان الأولى النظر إليها باعتبارها "دلالة وميزة تطورية"

وتبعا لهذا ينبغي إعادة النظر في بعض المفاهيم التي تفترض حكم القيمة مثل "أدب الجماهير".و"التقليد"الذي يؤدي إلى تصور حلقات وهمية تقدم المظهر الذي يبتعد عن الجوهر.[1]

ولحل هذا الإشكال المفهومي يرى"تينيانوف " أنه لامناص من الاعتراف بأن العمل الأدبي يحتوي على نسق ، كما أن الأدب أيضا يتضمن نسقا ،وبهذا الإجراء يتم الإبقاء على السلسلات غير الأدبية من أحداث(اجتماعية وسياسية وثقافية)، بل ويتم طرحها بشكل حقيقي .

والنسق عنده يقتضي الانطلاق من "فرضية عمل "تقوم على عزل العناصر الشكلية للعمل الأدبي –تجريدياعلى الأقل–، والتي تدخل في علاقات تفاعل وارتباط متبادل .وفي دراسته للأدب الروسي توصل إلى أن الوظيفة التي يمكن أن يقوم بها عنصر ما يمكن أن تكون وظيفة مستقلة إذا كانت تجمعها علاقة مع عناصر من النسق نفسه،كما يمكن أن تكون وظيفة ترادف وتشابه مع عناصر من نسق آخر.

وزيادة على ذلك فإن وظيفة العنصر لاتكون دائما واحدة ،فمن الخطإ

---

[1] - De L'évolution Littéraire", in Théorie de la littérature, Textes desformalistes Russes- Réunis, présentés et traduits par Tzvetan Todorov, Préface de Roman Jakabson, collection"Tel quel" aux édition du seuil, paris, 1965p , 121 -122,

عن م س.

استخلاص عناصر معينة من نسق خاص وربطها بالسلسلات المشابهة لنسق آخر دون أخذ وظيفتها البنيوية بعين الاعتبار،ومن جهة أخرى فإن وجود واقعة أدبية يتوقف على ارتباطها سواء مع السلسلة الأدبية أو خارج الأدبية أي يتوقف على وظيفتها.[1]

ويرى" تنيانوف" أن من أكثر مواضيع تاريخ الأدب صعوبة هو موضوع الأجناس الأدبية، فقد اعتبرت في السابق الرواية-مثلا- بأنها جنس أدبي منسجم ومتطور بطريقة مستقلة عبر قرون لكنها في الواقع جنس متغير باستمرار لذا يستحيل دراسة الأجناس خارج النسق الذي تدخل فيه ومعه في علاقة ارتباط متبادلة ،فنجد أن الرواية التاريخية ل "تولستوي" تدخل في علاقة ارتباط مع الرواية التاريخية ل "زاكوسكين" وأيضا مع النثر المعاصر لها .

ويرى" تنيانوف" أن من أكثر مواضيع تاريخ الأدب صعوبة هو موضوع الأجناس الأدبية فقد اعتبرت في السابق الرواية-مثلا- بأنها جنس أدبي منسجم ومتطور بطريقة مستقلة عبر قرون لكنها في الواقع جنس متغير باستمرار لذا يستحيل دراسة الأجناس خارج النسق الذي تدخل فيه ومعه في علاقة ارتباط متبادلة ،فنجد أن الرواية التاريخية ل "تولستوي" تدخل في علاقة ارتباط مع الرواية التاريخية ل "زاكوسكين" وأيضا مع النثر المعاصر لها .

وأهم ما يحمله هذا الكلام هو رفض فكرة دراسة تطورالأجناس الأدبية عبرالزمن بشكل مستقل، والنظر إليه في إطار النسق الذي تربطها به علاقات تبادلية ،ومن هنا يرى أنه من سوء الفهم اعتبار العمل الأدبي -الذي يأخذ وظيفة خاصة انطلاقا من نسق أدبي سكوني - جزء من التطور الأبدي خاصة أن نسق السلسلة الأدبية هو بالأساس نسق وظائف السلسلة في حد ذاتها.[2]

ولا يأخذ" تينيانوف" بالدراسات التي تهتم بالمعطيات خارج نصية ،ويرى بأن الدراسة المباشرة لسيكولوجية المؤلف من أجل إيجاد سببية بين وسطه وحياته وطبقته الاجتماعية وبين أعماله الأدبية يعتبر منهجا غير فعال ورغم اعترافه بوجود تأثيرات عميقة بين هذه الأطراف لكنها لا تمتد إلى الأدب وبالنسبة إليه فإن مشكل "التأثير " من بين المشاكل المعقدة ،وقد توجد تأثيرات تغير الأعمال الأدبية دون أن تكون لها دلالة تطورية ،وهكذا فإن التطور هو تغير في العلاقة بين عناصر النسق أي تغير في وظائف العناصر الشكلية ،فيكون التطور بهذا المعنى هو تغير الأنساق.[3]

---

1 Ibid pp 123-124 عن م س

2 - Ibid,p:130 عن م س

3 -Ibid,p134 عن م س

ويكون"تينيانوف" بهذا قد أقدم على تصور جديد لتايخ الأدب معتبرا إياه سلسلة من التطورات البنيوية والوظيفية التي تطال الأدب في ذاته قبل كل شيء.

3-2-التاريخ الأدبي من منظور جمالية التلقي:

اعتبر" ياوس" -وهو من رواد جمالية التلقي- أن النظرية الشكلانية حاولت بناء نسق للتطور الأدبي ،و بأن الفضل في تجديد الفهم التاريخي للأدب يرجع إلى الشكلانيين، وإن كان هذا الفهم لايتم في إطار إدراك العمل الأدبي في سيرورته التاريخية المتمثلة في وظيفته الاجتماعية، والتأثير الذي يمارسه القراء باستمرار ،بيد أن هذا التصورلم يسلم من الضعف ذلك أن التعارض الشكلي البسيط .

،والتنوع الجمالي لا يكفيان لتفسير تطورالأدب ،فقد نص "ياوس" أن تاريخية الأدب لا تنحصر فقط في التطور الداخلي للأشكال ،بل تشمل السيرورة العامة للتاريخ أيضا.[1]

وفي مقاله التأسيسي لنظرية جمالية التلقي الموسوم " بتاريخ الأدب تحد للنظرية الأدبية "والذي ألقاه في صورة درس افتتاحي بجامعة كونستانس عام1967 بيّن "ياوس" أن الغاية من وراء إثارة مشكلات التلقي هي السعي إلى كتابة جديدة لتاريخ الأدب الذي وقع في مأزق ،فلم يعد يحظى بالمكانةالتي كان يشغلها في الماضي ،فيجدر إذن تجاوز حدود النشأة وما يخامرها من ملابسات وظروف وأوضاع سيكولوجية واجتماعية ومعرفية إلى حدود التلقي .

وفي سياق تعقيبه على رؤية الشكلانيين التي تعتمد على الأنساق ، والمدرسة الماركسية التي تعتمد على مبدإ الانعكاس أنه إذا فُسّر التطور الأدبي بوصفه تعاقبا سرمديا للأنساق من جهة ،وفسّر التاريخ العام أو تاريخ العمل الإنساني بوصفه تسلسلا مستمرا لحالات متعاقبة للمجتمع من جهة أخرى ،ألايسمح هذا بإقامة علاقة بين السلسلة الأدبية والسلسلة غير الأدبية ؟وذلك أن تكون علاقة محددة للروابط بين التاريخ والأدب دون التعرض للتفرد الجمالي للأدب ،ودون اختزاله في وظيفة الانعكاس.[2]

وعلى الرغم من اعتراف "ياوس" بفضل الشكلانيين في تجديد الفهم التاريخي للأدب، لكنه يرى بأن هذا الفهم ينظر إلى العمل الأدبي باعتباره كائنا لغويا يتسم

---

[1]- محمد القاسم ،القراءة والتأويل في النقد الأدبي الحديث ،ع67،مجلة فكر ونقد ،نسخة الكترونية ،الموقع **http://www.aljabriabed.net**

[2] -Jauss, Hans Robert: Pour une esthétiqu de la reception, Traduit de L'allemand par Claud Maillard, Préface de Jean starobinski, Paris, Gallimard, 1978, p39

عن هاشم الأسمر ،م س .

بانغلاق كونه اللغوي وعدم إحالتـــه علـــى أي مرجـــع واقعـــي ،وانفصـــال أنســـاقه عـــن الذات المنتجة، فلا ترتبط بعاملي إنتاج العمل الأدبي وتلقيه، وتجريـــده مـــن كـــل وظيفـــة .

ويعتبر "ياوس" أن تاريخية الأدب لا تقوم علـــى علاقـــة الانســـجام بـــين الوقـــائع الأدبية ،بل على التجربة التي يأخـــذها القـــراء مـــن الأعمـــال الأدبيـــة ،وهـــذه العلاقـــة الجدلية تُعتبـــر المعطـــى الأول لتـــاريخ الأدب،فمـــؤرخ الأدب ينبغـــي أن يكـــون قارئـــا ،وحكمه يتأسس من خلال إدراكه لموقعه ضمن السلسلة التاريخية للقراء المتعاقبين.

لقد تجاوزت جمالية التلقي نظرة تـــاريخ الأدب للعمـــل الأدبـــي الـــذي كـــان يعتبـــر وثيقة ،ووجهت الاهتمام إلى العلاقة الحواريـــة بـــين الـــنص وقرائـــه المتعـــاقبين ،وهـــذا يعني أن الجمال لم يعد قيمة مطلقة مادامت الأدبية لم تعـــد ســـمة ملازمـــة لـــنص معـــين في كل زمان ومكان بل صارت قيمة نسبية تتحدد بتلقي القارئ النص .[1]

وبهذا الإجراء تكون جمالية التلقي قـــد أعـــادت الاعتبـــار لـــركن هـــام فـــي عمليـــة الإبداع الأدبي لطالما أهمله تاريخ الأدب وهـــو القـــارئ،فتكون قـــد فتحـــت آفاقـــا جديـــدة لتاريخ الأدب الذي كان يهتم بتخليـــد مـــآثر القـــدامى، لتطلـــع الأجيـــال اللاحقـــة علـــى تجارب الأجيال السابقة، وتستفيد منها، بينما في إطـــار جماليـــة التلقـــي صـــارت مهمتـــه متمثلة في تعميق الوعي بالهوية، عن طريق إبـــراز جـــزء مـــن التعـــدد الـــذي تتشـــكل منه ،ولم يعد مطلوبا منه إعادة تشكيل الوقائع الماضية كما حـــدثت فعليـــا، وإنمـــا إعـــادة تشـــكيل إدراك لتلـــك الوقـــائع، باعتبـــار أن الـــوعي يتطـــور، وأفـــق الانتظـــار يتغيـــر ،وبدورها مدلولات الوقائع الماضية تتجدد ،فلم يعد الماضـــي فتـــرة زمنيـــة توجـــد خلـــف الحاضر كما كان يعتقد رواد المنهج التاريخي ،وإنما هـــو امتـــداد فـــي الحاضـــر كونـــه يتشكل من خلال وعينا به .

فالواقعة التاريخيـــة كامنـــة ولا تكتســـب وجودهـــا الفعلـــي إلا مـــن خـــلال وعـــي المؤرخ بها.[2]

ومؤرخ الأدب تحت مظلة جمالية التقي يعتمـــد علـــى مجموعـــة مـــن الآليـــات التـــي تمكنه من تتبع ردود أفعال القراء لاستخلاص تباينـــات وعـــيهم بـــالنص المحـــدد ،وبهـــذا يبرز دينامية فعل القراءة ،ويتجاوز الاعتقاد الذي يعتبر التـــاريخ ســـيرورة مـــن الفـــراغ إلى الامتلاء.

3-2-1-جمالية التلقي والتحقيب الأدبي:

---

[1] - Ibid,p46-

[2]- محمد مساعدي ،من المنهج التاريخي إلى جمالية التلقي ،مجلة فكر ونقد ،الرباط العدد 67.

معلوم أن التحقيب الأدبي يقوم على تأطير الظاهرة الأدبية بالنظر إلى المؤلّف والمؤلَّف والبيئة وفق تعاقب للعصور ،فالتحقيب الأدبي ترى جمالية التلقي أنه يستند على معطيات خارج أدبية بالاعتماد على السياسة أو الأقاليم في تقسيم الأدب،فلم يتمكن بهذا من رسم صورة مقنعة للتطور الأدبي ،أما التطور في جمالية التلقي فيقوم على تتبع أشكال التفاعل التاريخي بين الأدب والجمهور ،فيتم التخلي عن التصنيف التعاقبي للمؤلفين عبر العصور ليصبح صيرورة متواصلة الحلقات بتتبع ردود أفعال القراء تجاه نص من النصوص منذ نشأتها إلى اللحظة التي يكتب فيها المؤرخ الأدبي ،ومن خلال هذه السيرورة تتضح المسافة الجمالية بين أفق كل نص وأفق انتظار كل نص داخل السلسلة الأدبية التي ينتمي إليها ،وبهذا نكون أمام تجميعات للنصوص قد تتباين زمنيا أوإقليميا حسب استجابتها أو تخييبهاأو تغييرها لأفق الانتظار.[1]

والسؤال المطروح هو ما الذي يجنيه المؤرخ من هذه التجميعات النصية ؟
والإجابة هي تمييز الأعمال التي كان تأثيرها حاضرا ومستمرا ،والأعمال التي انقطع تأثيرها في حقبة معين ،ومن ثمة فيمكن لمؤرخ الأدب أن يعمل على بعثها من جديد إذا تمكن من اكتشاف قدرتها على الإجابة عن أسئلة جديدة كمكا يمكن إهمال أعمال أخرى استمر تأثيرها لزمن طويل إذا تبين له عدم قدرتها على الإجابة عن أسئلته النابعة من وضعيته التاريخية.

وبهذا تجاوزت جمالية التلقي تلك النظرة الشمولية التي هيمنت على التاريخ الأدبي بالتوقف عن إصدار أحكام عامة ،وحاولت ردم الهوة بين البعد التاريخي والبعد الجمالي ،وهي مشكلة لطالما عانى منها تاريخ الأدب.

3-3-التاريخانية الجديدة والجماليات الثقافية:

يعود الفضل في طرح مصطلح "الجماليات الثقافية" Cultural Poetics إلى" ستيفن قرين بلات" ،مُطوّرا به مصطلح أسبق هو التاريخانية الجديدة " New Historicism الذي أطلقه قرين بلات عام 1982م ،ولقد لاقى المصطلح رواجا وشكل إحدى الإفرازات النقدية لما بعد البنيوية 2

---

[1]- محمد مساعدي ،م .

2-عبد الله الغذامي ،النقد الثقافي ،قراءة في الأنساق الثقافية العربية،المركز الثقافي العربيالمملكة المغربية ،ولبنان،ط 3 ،2005 ،ص42

وقد كان لمفهوم الخطاب عند "فوكو"،ومقولاته حول الحقب الابستمولوجية ،والنقطاعات المعرفية دور كبير في ظهور التاريخانية الجديدة ،ونعتها بالجديدة تمييزا لها عن التاريخية التقليدية التي ظهرت في القرن التاسع عشر ،ومع ذلك تلتقي المدرستان في مفهوم روح العصر،فتؤمنان بأن الأدب هو جزء من السياق التاريخي العام للمجتمع ،وبأنه بإمكان النصوص امتصاص ذلك السياق والاحتفاظ به ليشكل جزءا من بنيتها الداخلية ،ومن ثم إعادة إنتاجها من خلال عمليات القراءة المتكررة[1]

لقد استطاعت التاريخانية الجديدة أن تستوعب الكثير من طروحات "فوكو"وبلورت رؤيتها الخاصة لمجموعة من المفاهيم الأساسية التي تقاطعت فيها مع التاريخاية التقليدية ،ومن ذلك:

1-رفضت التاريخانية الجديدة مفهوم الحقيقة التاريخية ،وإمكانية استعادتها ،كما هي من خلال النصوص الأدبية ،وغير الأدبية ؛لأن الحقيقة التاريخية تلاشت مع تلاشي اللحظة التاريخية التي ولدت داخلها ,فما تبقى لنا من سرديات وروايات عن التاريخ والثقافة ،و تلك التمثلات للحقيقة التاريخية لا تؤدي إلى الفهم الموضوعي؛ لأن هذه السرديات والروايات لم تكتب بصيغة موضوعية بريئة، بل صيغت وكتبت ضمن خطاب إيديولوجيومؤسساتي ،وكانت عناصرها الشكلية والمضمونية مسايرة لاشتراطات ذلك الخطاب بما يتلاءم ومنظومة القيمة المعيارية.

2-لا تنظر التاريخانية الجديدة للتاريخ على أنه كيان موحد ،ومتجانس يتمتع بخاصية التطور الجدلي التاريخي ،لكنها تتبنى مقولة "فوكو " فيما يتعلق بالحقب الابستمولوجية والانقطاعات المعرفية، وترى بأن النمط الثقافي السائد الذي توصف من خلاله حقبة تاريخية لا يمكن أن يكون إلا تمظهرات للخطاب الذي تبنته الطبقة الحاكمة في ذلك العصر ،وأن هناك خطابات أخرى مضادة وغير رسمية تم قمعها وإسكاتها وتهميشها ،والخلاصة أنه لا وجود لثقافة متجانسة منسجمة مع ذاتها بشكل نقي .

3-وتنفي التاريخانية وجود قراءة بريئة وموضوعية للتاريخ مخالفة بذلك التاريخية التقليدية؛لأننا أنفسنا واقعون تحت تأثير خطاب ثقافتنا السائدة ،ولا مفر من القراءة الانتقائية والمتحيزة سيؤدي ذلك حتما إلى تجاوز خطابات أخرى لا تتلاءم ومعتقداتنا .

4-تتبنى التاريخانية الجديدة مبدأ الانفتاح على على جميع أشكال النصوص ،دون أن يكون للنصوص الأدبية الإبداعية أي تفوق فكتابات المحامين والصحف

---

[1] - معن الطائي،ميشيل فوكو بين التاريخية الجديدة والمادية الثقافية ،الحوار المتمدن ،العدد1467،20-20-2006.

اليومية ،الأطباء والأدب الشعبي كلها تشكل جزءا من سياق تاريخي واحد خاضع لسلطة خطاب اجتماعي وسياسي وديني واحد[1]

5-لاتنظر التاريخانية الجديدة إلى النص الأدبي كوثيقة تاريخية كما كان الحال في الأدب،حيث أن السياق لاينظر لا يؤثر فقط في طبيعة الموضوع إنما يحدد بشكل حاسم البنية الشكلية للنص الأدبي ونمط التشكل اللغوي الدلالي،وآليات القراءة والتأويل ولايكتفي الناقد بالمقاربة السطحية لظاهرة النص بل يفكك بنيته سعيا وراء ما يخفيه النص وذلك بأن تقف على كل كلمة عابرة كقول "نيتشه" "لقد فقدت مظلتي" ،فتعيد قراءتها لكن بطريقة كاشفة متخذا من الأشياء الحقيرة مؤشرا للكشف عن علامات السلوك الاجتماعي ،وعن القوى المؤثرة في ذلك المجتمع والمتحكمة فيه ،وفي منطق حركته وكل ذلك من خيط صغير يجر وراءه بناء كاملا [2].

وهكذا تأتي التاريخانية الجديدة كنظرية للقراءة والتأويل ،من حيث انها تسعى إلى أرخنة النصوص historicity of texts وتنصيص التاريخ textuality of history[3].

---

[1] - See Roman Selden ,Areader's guide to contemporary literary theory,pp103-105-عن م س

[2] - الغذامي ،م س،ص43.

[3] - S.Geenblatt,towwards apoetics of culture.45ص، عن م س

قائمة المراجع

I. المراجع باللغة العربية :

❖ القرآن الكريم برواية حفص

1) إبراهيم الطيب ، الاستشراق و تعدد مهامة خاصة في الجزائر ، دار المنابع ، الجزائر ، د ط ، 2004
2) إبراهيم عبد الرحمن محمد ، النظرية و التطبيق في الأدب المقارن ، دار العودة ، لبنان ، د ط ، 1982 .
3) إبراهيم عوضين ، الأدب العربي بين البادية و الحضر ، مطبعة السعادة ، مصر ،د ط ، 1983
4) ابن رشيق ،العمدة في محاسن الشعر ،و آدابه ،و نقده ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، ط5 –1981 .
5) ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، دط ، د ت
6) ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله ، الشعر و الشعراء ، تحقيق احمد محمود شاكر ، د ط ، د ت .
7) ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق يوسف خياط ، دار لبنان العرب بيروت مجلد مجلد 1،د ط ، د ت
8) أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، تحقيق أحمد عبد الستار فراج ، دار الثقافة ، بيروت ، ط6 ، 1983م.
9) أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، ديوان الحماسة برواية الجواليقي ، تحقيق عبد العظيم أحمد صالح ، دار الرشيد مطبوعات وزارة الثقافة العراقية ،د ط ، 1980م.
10) إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، الأردن ، طبعة جديدة مزيدة و منفتحة ، 1993م
11) أحمد أمين ، النقد الأبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط4 ،1967.
12) أحمد أمين ضحى الإسلام ،مكتبة النهضة المصرية،ط7،1933.
13) أحمد بوحسن ، العرب و تاريخ الأدب ، نموذج كتاب الأغاني ، دار توبقال للنشر ، المغرب ،ط1 ، 2003م
14) أحمد سمايلوفتش ، فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة د ط ،1998 .

15) إدوارد سعيد ، الاستشراق ، المعرفة ، السلطة ، الإنشاء، ترجمة كمال أبو ديب ، مؤسسة الأبحاث العربية بيروت ، لبنان ، ط4، 1995 .
16) إدوارد سعيد ، الإستشراق ، المفاهيم الغربية للشرق ، ترجمة محمد عناني ، رؤية للنشر و التوزيع ، القاهرة ط1 ،2006م .
17) أفلاطون،الجمهورية ،تقديم جلالي اليابس،موفم للنشر ،الجزائر،دط ،1990،
18) الجاحظ (عمرو بن بحر) ، الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط2 ، دت .
19) الجرجاني (أبو الحسن عبد العزيز) ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق أحمد عارف الزين ، مطبعة العرفان ، صيدا لبنان، 1331 هـ.
20) الحسن بن أحمد بن الحسن ، الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، دار صادر ، بيروت ، د ط ، د ت
21) السيوطي (عبد الرحمن جلال الدين) ، المزهر في علوم اللغة ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، د ط 1987م .
22) المتنبي ، الديوان ، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د ط ، د ت ،
23) المرزباني ، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، عنيت بنشره جمعية نشر الكتب العربية ، المطبعة السلفية ، مصر ، د ط ، 1343 هـ.
24) النابغة الذبياني،الديوان،مطبعة الهلالية بالفجالة ،مصر ،د ط ،1911.
25) إياد عبد المجيد إبراهيم ، الأصمعي و النقد الأدبي ، الوراق للنشر والتوزيع ، الأردن طبعة جديدة و منفتحة ، 1993 .
26) برجستراسر ، أصول نقد النصوص ،و نشر الكتب ، ترجمة حمدي البكري ، دار المريخ ، الرياض ، د ط ، 1982
27) برجستراسر ، التطور النحوي للغة العربية ، ترجمة رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط2 ، 1994 .
28) بطرس البستاني،في أدباء العرب في الجاهلية والإسلام،مكتبة صادر،بيروت،ط6 ،1953

29) توماس أرنولد ، تراث الإسلام ، ترجمة جرجيس فتح الله دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ، ط2 ، 1972 م
30) جوزيف شاخت و كليفورد بوزورث ، تراث الإسلام ، ترجمة محمد زهير السمهوري و آخرين عالم المعرفة ، الكويت ، 1985م
31) حسان بن ثابت ، الديوان ، شرح يوسف عيد ، دار الجيل بيروت ط1 ، 1992
32) حسان بن ثابت،الديوان ،شرح يوسف عيد دار الجيل ،بيروت،د ط،د ت.
33) حسين الواد ، في تاريخ الأدب ، مفاهيم و مناهج ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، ط2 ، 1993 .
34) رمضان عبد التواب ، مناهج تحقيق التراث بين القدماء و المحدثين ، 35- ريجيس بلاشير ، تاريخ الأدب العربي ، ترجمة ابراهيم الكيلاني دار التونسية للنشر – المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر خ ، د ط ،1986 .
35) ريجيس بلاشير ، جان سوفاجيه ، قواعد تحقيق المخطوطات العربية و ترجمتها ، نز محمود مقداد ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط1 ، 1988 .
36) رينيه ويليك ، أوستن وارين ، نظرية الأدب ، ترجمة محي الدين صبحي ، مراجعة حسام الخطيب ، المؤسسة العربية للدراسات النشر بيروت ، د ط ، 1987 م.
37) رينيه ويليك ، الهجوم على الأدب ، ترجمة حنا عبود ، الأهالي للطباعة و النشر و التوزيع ، دمشق ، ط1 ،2000 .
38) رينيه ويليك ، مفاهيم نقدية ، ترجمة محمد عصفور ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1987.
39) زكي مبارك، الموازنة بين الشعراء،دار الجيل،بيروت،ط 1،1993
40) ساسي سالم الحاج ، الظاهرة الاستشراقية و أثرها في الدراسات الإسلامية ، الجزءان الأول و الثاني ، الجامعة المفتوحة ، طرابلس ، ليبيا ط3 ، 1997 .
41) ساسي سالم الحاج،نقد الخطاب الاستشراقي ،دار المدار الإسلامي ،بيروت ،ط1 ،2002.
42) سالم المعوش،القواعد المعرفية الإسلامية في صدر الإسلام،دار النهضة العربية،بيروت

43) سالم يفوت ، حفريات الإستشراق ،المركز الثقافي العربي بيروت ط1 ، 1989 .
44) سمير سعيد الحجازي ، النقد العربي و أوهام الحداثة ، مؤسسة طيبة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، د ط ، 2005 .
45) سيد قطب ، النقد الأدبي ، أصوله و مناهجه ، دار الشروق بيروت ، ط2 ، 2003 م.
46) شكري فيصل ، مذاهب الدراسة الأدبية ، دار العلم للملايين ط3 ، 1973
47) شوقي ضيف ،الأدب الجاهلي ،دار المعارف ،مصر،ط24.
48) شوقي ضيف، البحث الأدبي ، طبيعته و مناهجه و أصوله ومصادرته ، دار المعارف ، مصر ، ط6 ، 1986 م.
49) شوقي ضيف ،النقد الأدبي دار المعارف ،مصر،ط3،1965م.
50) صبري حافظ ،أفق الخطاب النقدي ، دار الشوقيات للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط1 ،1996
51) صلاح الدين المنجد ، المستشرقون الالمان ، دار الكتاب الجديد بيروت ، ط1 ،1978
52) طرفة بن العبد،ديوان طرفة،اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي،دار المعرفة لبنان،ط1،2003.
53) طه حسين ، في الأدب الجاهلي ، مطبعة فاروق ، مصر ، ط3 1933 م.
54) عادل الألوسي ، التراث العربي و المستشرقون ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط1 ، 2001 م.
55) عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط3 ، 1993 م.
56) عبد الرحمن بدوي،دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي،دار العلم للملايين ،بيروت،ط2،1979 م.
57) عبد الستار الحلوجي ، المخطوطات و التراث العربي ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط1 ، 2002 م.
58) عبد السلام المسدي ،في آليات النقد الأدبي ،دار الجنوب للنشر ،تونس،دط ،1994 م.
59) عبد العزيز بن محمد المسفر ، المخطوط العربي و شيئ من قضاياه ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، د ط ، 1999

60) عبد العظيم ديب ، المستشرقون و التراث ، دار الوفاء للطباعة و النشر والتوزيع ، المنصورة ، ط3 ، د ت .
61) عبد المتعال الصعيدي،زعامة الشعر بين امرئ القيس وعدي بن زيد،،المطبعة المحمديةالتجارية ،الأزهر مصر،ط1،1934 م.
62) عبد المجيد دياب ، تحقيق التراث العربي ، منهجه و تطوره ، دار المعارف ، القاهرة ، ط2 ، 1993 م.
63) عدنان ، عبيد العلي ، الأدب بين الدلالة و التاريخ ، منشورات آل البيت ، د ط ،2000 م.
64) عماد حاتم ، مدخل إلى تاريخ الآداب الأوروبية ، الدار العربية للكتاب ، ط2 ، 1984 م.
65) عمر موسى،تاريخ الأدب العربي،العصر المملوكي ،دار الفكر،دمشق،ط1،1989 م.
66) فايز الترحيني،الإسلام والشعر ،دار الفكر اللبناني،ط 1،1990 م.
67) فرحات الأخضري ، نظرية المحاكاة عند حازم القرطاجني ، مذكرة ماجيستير ، جامعة باتنة ، 2004 –2005 .
68) فريد بن سليمان ، مدخل الى دراسة التاريخ ، سلسلة علوم إنسانية ،مركز النشر الجامعي ، تونس ، د ط ، 2000 م.
69) كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي،ترجمة عبد الحليم النجار،الجزء :الأول ،الثاني ،الثالث،دار المعارف،مصرط4،دت.
70) كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ترجمة رمضان عبد التواب ، سيد يعقوب ، الجزء ، الرابع،الخامس، السادس، دار المعارف ط2 ، د ت.
71) كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، الإشراف على الترجمة لمحمود فهمي حجازي، و عدد من المترجمين ،القسم الأول الجزء 1–2) القسم الثاني (الجزء3 –4) القسم الثالث (الجزء5 –6) القسم الرابع(الجزء7–8) القسم الخامس (الجزء9–10) القسم السادس (الجزء10–11) القسم السابع (الجزء 12) القسم الثامن (الجزء12–13) القسم التاسع (الجزء13–14) القسم العاشر (الجزء15)،الهيئة المصرية للكتاب ،بين 1993 – 1999 م.

72) كارل نالينو ، تاريخ آداب العربية حتى عصر بني أمية ، تقديم طه حسين ،دار المعارف القاهرة ، ط2 ، 1970 م.
73) لبيد بن ربيعة العامري،شرح الديوان ،تحقيق إحسان عباس،سلسلةالتراث العربي،رقم 8،الكويت،دط،1962 م.
74) لويس شيخو ،شعراء النصرانية ،مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين ،بيروت،د ط،1890 م.
75) مجموعة من الكتاب ، مدخل إلى مناهج النقد ، ترجمة رضوان ظاظا عالم المعرفة ، الكويت 1997 .
76) مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العربية ، مكتبة الإيمان ، مصر د ط ، د ت .
77) مصطفى عبد الرازق ، تمهيد التاريخ الفلسفة الإسلامية ، مكتبة الأسرة ، مصورة عن طبعة الثقافة الدينية)
78) محمد التونجي المنهاج في تأليف البحوث و تحقيق النصوص ، دار الملاح للطباعة و النشر ، ط1 ، 1986 م.
79) محمد بلوحي ، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2004 .
80) محمد بن علي الهرفي،عبد الرزاق حسين،نيل المحسن،النص الإسلامي والأموي ،مؤسسة المختار القاهرة ،ط1 ،1998 م.
81) محمد زكريا عناني ، سعيدة محمد رمضان ، في مناهج البحث و تحقيق النصوص ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، ط1 ، 1991 م.
82) محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن ، دار النهضة ، مصر ، ط3 1977 م .
83) محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، دار العودة ، بيروت د ط ، 1987 م.
84) محمد عابد الجابري التراث و الحداثة ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1 1995 م.
85) محمد عبد السلام هارون ، تحقيق النصوص و نشرها ، مكتبة الخانجي
i. 85-محمد عبد المنعم خفاجي ، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي ، دار الجيل ، بيروت لبنان ، ط1 ، 2003 .

86) محمد عبد المنعم خفاجي ، الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام ،دار الكتاب اللبناني،د ط،1987 م.
87) محمد مفتاح ، التلقي و التأويل مقاربة نسقية ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط2 ، 2001
88) محمد مفتاح ، المفاهيم و معالم ، نحو تأويل واقعي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1 ،1999م.
89) محمد مندور،الأدب ومذاهبه ،نهضة مصر للطباعة ،دط ،1996 م.
90) محمد مندور ، النقد المنهجي عند العرب ، منهج البحث في الأدب واللغة ، مترجم عن الأستاذين لانس و ماييه ، نهضة مصر للطباعة والنشر و التوزيع ، د ط ، 1996 م.
91) محمد مندور،في الأدب والنقد،نهضة مصرللطباعة والنشر،القاهرة،د ط ،د ت.
92) محمود أحمد الطناحي ، مدخل الى تاريخ نشر التراث ، مكتبة الخانجي القاهرة ، ط1 ، 1984 م.
93) محمود أحمد المراغي،دراسات في المكتبة العربية وتدوين التراث،دار العلوم العربية،بيروت،ط 1 ،1991 م.
94) محمود حمدي زقزوق ، الإستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، دار المعارف ، مصر ، د ط ، د ت
95) محمود حمدي زقزوق ، الإسلام في تصورات الإسلام في تصورات الغرب ، مكتبة وهبة ، ط1 ، 1987 م.
96) مصطفى صادق الرافعي،تاريخ آداب العرب،مكتبة الإيمان ،مصر،دط ،د ت.
97) موهوب مصطفاي : المثالية في الشعر العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، د ط ، 1982 م.
98) نجيب العقيقي ، المستشرقون ، ج 1 ، دار المعارف ، القاهرة ط4 ،د ت
99) نديم نجدي ، أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر ، دار الفرابي ــ بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2005م
100) هملتون جب ، الاتجاهات الحديثة في الإسلام ، ترجمة هاشم الحسيني ، دار مكتبة الحياة ، د ط ، 1966 م .
101) هملتون جب ، علم التاريخ ، كتب دائرة المعارف الإسلامية ترجمة إبراهيم خورشيد ، عبد المجيد يونس ، حسن عثمان ، دار الكتي اللبناني بيروت ، ط1 ، 1981 م.

102) هيغل ، محاضرات في تاريخ الفلسفة ، ترجمة خليل احمد خليل ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، ط1 ، 1986 .
103) و لتربيت جاكسون ، تعريفات باتجاهات نقدية ،ضمن كتاب مقالات في النقد الأدبي ، ترجمة إبراهيم حمادة ، دار المعارف القاهرة ، د ط ، د ت
104) وليد محمد الخالص ،النقد الأدبي في كتاب الأغاني ،دار أسامة للنشر والطباعة ،الأردن ،،ط1 ،2000 م.
105) يوهان فوك ، تاريخ حركة الاستشراق ، الدراسات العربية و الإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين ، ترجمة عمر لطفي العالم ، دار المدار الإسلامي ،بيروت لبنان، ط2 ، 2001 م.

المجلات و الدوريات :

106) ادموند كاري ،الترجمة الأدبية ،ترجمة عبد النبي ذاكر ،مجلة المترجم ،جامعة وهران ،دار الغرب للنشر والتوزيع ، سنة 2005،العدد 1.

107) أوسكار تاكا ، تاريخ الأدب قضايا المنهج ، مجلة علامات المغرب ، 1994 السنة 1 ، العدد 2 .
108) حسين جمعة ،طه حسين والأصول المنهجية،مجلة المةوقف الأدبي،اتحاد الكتاب العرب،دمشق ،كانون الثاني ،1992 م.العدد249.
109) رضوان السيد ،نشوء الاستشراق الألماني وتطوراته المبكرة ،جريدة الشرق الأوسط . لندن ،2004 م،العدد9458.
110) سعيد بوخليط ، العلم القصيدة كيف قرأ باشلار عالم العقلانية في الفلسفة و الأدب ؟ العرب الأسبوعي لندن ، 24 ثقافة ، 2007/11/24 م.
111) عباس بن يحي،تحولات المكون الديني في الشعر العربي،مجلة حوليات التراث، الجزائر ،العدد 1 ،السنة 2004،
112) عبد الرحيم الوهابي ، متى بدأ الاستشراق ، مجلة المشكاة المغرب ، سنة 1418– 1419 ، المجلد 7 ،العدد 28/27.

113) كليمان موزان ، التاريخ الأدبي ، باعتباره خطايا علميا ، تقديم و ترجمة حسب طالب ، مراجعة عبد النبي ذاكر مجلة فكر و نقد العدد 28 .
114) محمد السيد الدغيم ، واقع التجزئة العربية و انعكاساتها على فهرسة التراث العربي و الإسلامي جريدة الحياة اللندنية ، صفحة التراث يوم 2005/02/05 م،العدد 15285
115) محمد القاسم ، القراءة و التأويل في النقد الأدبي الحديث ، مجلة فكر ونقد الرباط، العدد 67
116) محمد مساعدي ،من المنهج التاريخي إلى جمالية التلقي، مجلة فكر و نقد ، الرباط ، العدد 7 6.
117) معن الطائي،ميشيل فوكو بين التاريخية الجديدة والمادية الثقافية ،الحوار المتمدن ،العدد1467،20-20-2006.
118) موسى سامح ربايعة ،الأنواع الأدبية في الشعر الجاهلي،العدد 11،السنة التاسعةن1416 هـ-1955 م ،جامعة اليرموك، الأردن .
119) ميشيل تريكس،سانت بيف بانوراما الأفذاذ،المكتبة العامة الفرنسية باريس 2004،عن البيان 25-4-2005 م سنة 22 ،العدد9077 www.a ljameah. Com
120) هاشم الأسمر ، تاريخ الأدب من منظور الشكلانية و جمالية التلقي ، مجلة علامات ، السنة 2000 ، العدد 13 .
121) وليد صالح ،المخطوطات العربية ،مكتبة الاسكوريال ،جريدة الزمان العراقية،العدد1950،25-10-2004 م

II. المراجع باللغة الفرنسية

122) Alphonse de Lamartine , voyage en orient vol3 copie de l'exemplaire Bibliotheque cant ,et univ Lausane .
123) Ferdinand Brunitiaire L'Evolution des genres dans l'histoire de la littérature ,Hachette Paris 6eme ed.
124) G de plinval ,Histoire de la littérature Française ,Libraire Hachette .
125) Grand Dictionnaire Anyclopedique ,Larousse.
126) Gustave lonson ,Methode de l'histoire Litteraire ,les belle lettre , paris

127) HippolyTe Adolphe taine , de l'inteligence tome 2 ,Introduction de serge Nicolas et ettude de theodule Ribot ,harmattan 2005.
128) Monique Gadant ,parcours d'une intellectuelle en Algerie , Harmattan ,1995.
129) Valérie Berty , Litterature et voyage an 19eme siecle , Harmattan ,2001 .

المواقع الالكترونية:

130) منتديات التاريخ altareekh.com آخر تعديل 12-11-1428.
131) الويكيبيديا الموسوعة الحرة آخر تعديل 26-10-2008.
132) **http://www.aljabriabed.net**

فهرس الموضوعات

مقدمة
مدخل 8-36
1-الاستشراق 9
1-1-تعريف الاستشراق 10
1-2-مراحل الاستشراق 12
1-2-1الاستشراق اللاهوتي 12
1-2-2-الاستشراق الاستعماري 13
1-2-3-الاستشراق لأغراض علمية في اللغة والأدب 15
2-المنهج التاريخي في دراسة الأدب 17
2-1-عند الغرب 17
2-2-عند العرب 28
2-2-1-الزمن في الشعر العربي القديم 28
2-2-2-ملامح المنهج التاريخي في النقد العربي القديم 30

الفصل الأول المستشرقون وتاريخ الأدب 37-88
تمهيد. 38
1- المبحث الأول :عناية المستشرقين بالتراث 38
1-1-التراث بين العرب والمستشرقين 39
1-2-جمع المخطوطات 45
1-3-فهرسة المخطوطات 47
1-3-1-فهرس دير الاسكوريال 48
1-3-2-فهرس مكتبة باريس الوطنية. 49
1-4-تحقيق المخطوطات 50
1-5-طباعة التراث 57
2- المبحث الثاني :عناية المستشرقين بتاريخ الأدب 60
2-1-التاريخ. 60
2-2-الأدب 62
2-3-تاريخ الأدب 71
2-4-تأسيس المستشرقين تاريخ الأدب العربي 74
2-5-تاريخ الأدب والتطور 76
3- المبحث الثالث :العصور الأدبية 79
3-1-تقسيم المستشرقين العصور الأدبية 81
3-1-1-مفهوم الانعكاس 85

الفصل الثاني : إجراءات "بروكلمان"في تقسيم العصور الأدبية 89-134
تمهيد 90
1-النموذج. 90
2-المستشرقون الألمان 91
1- المبحث الأول :كتاب تاريخ الأدب العربي 93
1-1-قراءة في النسخة الألمانية 93
1-2-ترجمة الكتاب إلى اللغة العربية 99
1-3-منحى تاريخ الأدب العربي عند "بروكلمان" 103
1-4-اللغة العربية 104
2-المبحث الثاني :منهج بروكلمان في تحقيب تاريخ الأدب. 106
2-1-معالم التحقيب عند"بروكلمان" 109
2-2-العصور وحركية الأدب 110
2-2-1-الحدود بين العصور 110
2-2-2-الفراغ بين العصور 113
2-2-3-خصائص العصور الأدبية 114
3-المبحث الثالث :منهج "بروكلمان" في التقسيم السياسي وحركية الأدب 116
3-1-الأدب والحياة الجاهلية 118
3-1-1-خصائص الشعر الجاهلي عند "بروكلمان" 120
3-2-الاسلام و الشعر 124
3-2-1-موقف الإسلام من الشعر 125
الفصل الثالث تاريخ الأدب بين بروكلمان ومؤرخي الأدب العرب 135 - 173

1-المبحث الأول:مشاكل التحقيب عند "بروكلمان" 136
1-1-مبدأ الملابسات المتشابهة 137
1-2-التحقيب وأدبية الأدب 141
1-2-1-المنهج الذري أوالتحليل الجزئي 143
1-2-2-المنهج الدينامي أو التفاعلي 144
1-3-3-منهج السيرورة 144
1-4-التاريخ الأدبي باعتباره خطابا علميا 144
2:المبحث الثاني:"بروكلمان" ومؤرخو الأدب العربي 147
2-1-العرب القدامى والعمل بالمنهج 148
2-2-الوعي بالمنهج عند العرب المحدثين 151
2-3-انتقال التحقيب السياسي إلى الأدب العربي 155
2-3-1-المقايسة في نقل التحقيب السياسي إلى الأدب العربي 157

2-3-2-تقسيم العصور بين "بروكلمان" وزيدان 158
2-4-القراءة التاريخية للأدب عند العرب 160
3-المبحث الثالث:مراجعة تاريخ الأدب 165
3-1-تاريخ الأدب والأنساق عند "تينيانوف" 166
3-2-التاريخ الأدبي من منظور جمالية التلقي 169
3-2-1-جمالية التلقي والتحقيب الأدبي 170
3-3- التاريخانية الجديدة و الجماليات الثقافية 171
الخاتمة 174
قائمة المصادر والمراجع 178-186
فهرس الموضوعات 187-189
ملحق عن حياة "بروكلمان" وبعض آثاره

ملحق

ملحق :حياة بروكلمان وآثاره

ولد "كارل بروكلمان" في السابع عشر من عام 1868م،لعائلة ميسورة في مدينة روستوك(Rostock)، وكان أبوه تاجرا فيما يسمى سلع المستعمرات ، أما أمه فكانت سيدة خصبة الفكر، وموهوبة روحيا، ومنها ورث ميوله العلمية، وهي التي فتحت له آفاق الأدب الألماني وعرفته كنوزه.

بدأ "كارل بروكلمان" تعليمه في مسقط رأسه واستمر فيه حتى وصل إلى المرحلة الثانوية، وهنا ظهرت موهبته في اللغات وتجلت فيه الميول التي سيطرت على حياته بكل وضوح، وكان يهتم بالمجلات الجغرافية ويطلع عليها مرتين في الأسبوع، وكان ذلك العصر عصر الاكتشافات الجغرافية العظيمة في آسيا وأفريقية، ومن هنا زاد اهتمامه بالعالم الشرقي، وعن هذا الطريق ارتبط خياله بالمشرق، فكان من أكبر أمانيه أن يعيش وراء البحار، ويجوب العالم سواء كطبيب بحري أو مترجم أو مبشر ديني، فبدأ يحضر دروس الأستاذ " نيرغر" معلم اللغة العبرية في تلك المدرسة الثانوية، وأتقن العبرية إلى درجة أنه استطاع أن يترجم في امتحان الشهادة الثانوية النهائي نصا عبريا من سفر عاموس (العهد القديم) ترجمة شفوية فورية دون أي إعداد سابق لها، كما بدأ يدرس اللغة الآرامية (لغة الكتاب المقدس)، واللغة السريانية وهو لا يزال طالبا في الثانوية.

وكان الطالب حاد الذكاء نابها فهيما سريعا في القراءة وكثير الدراسة والمطالعة، وكانت ذاكرته قوية تحفظ كل ما كان يقرأ، ويضاف إلى ذلك أنه كان يملك قدرة فائقة على التنظيم والتنسيق.

ثم التحق "كارل بروكلمان" بجامعة روستوك في عام 1886م، ودرس إلى جانب الاستشراق اللغات الكلاسيكية (اليونانية، واللاتينية)، والتاريخ، فأخذ اللاتينية عن الأستاذ "ليو"، ودرس العربية والحبشية عند الأستاذ "فريدرش فيلهم مارتن فليبي"، وبناء على توجيه "فيلبي" انتقل "بروكلمان" إلى جامعة برسلا، في عام 1887 م، وفيها درس اللغات الشرقية على يد الأستاذ "فرينكل"، وأخذ العلوم الشرقية طوال فصلين دراسيين على يد" بريتوريوس"، كما حضر دروس "هلبرنت" في اللغات الهندية الجرمانية.

وفي عام 1888م سافر "بروكلمان" إلى (ستراسبورغ) بناء على توجيه فيلبي وبريتوريوس للدراسة على يدي "تيودور نولدكه"، وتعلم منه كثيرا وأفاد منه إفادة كبرى في

الشرقيات، كما كان يحضر دروس "هوبشمن"، في اللغة السنسكريتية والأرمينية، ودروس "دومشن" في اللغة المصرية القديمة، كما كان يحضر دروس "أوتينج" في النقوش العربية والخط العربي .

واستمر "كارل بروكلمان" الطالب النبيه النجيب الذكي في تعليمه الجامعي بجد ونشاط، وقطع خطوات كبيرة فيها وأنجز إنجازات عظيمة ،حتى استطاع هذا الشاب الغض ذو الاثنين والعشرين عاما فقط أن يحصل في منتصف عام 1890م على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة(استراسبورغ)برسالة موضوعها (علاقة كتاب الكامل لابن الأثير بتاريخ الطبري)

أما الأساتذة الآخرون الذين أخذ "كارل بروكلمان" عنهم العلم في استراسبورغ هم: ليو، وكايبل، وعالما اللغات الكلاسيكية ميشائيل والمؤرخ ك. ي . نويمان، وباول شيفربويشورست، وباومغارتن، والفيلسوف فندلباند.

وفي سنة 1890م جرى تعيينه كمدرس في المدرسة الثانوية البروتستنتية في (استراسبورغ) أولا تحت التمرين وبعد ذلك مدرسا مساعدا، ولكنه رأى أنه لا مستقبل له في هذه المدرسة، ورغب في التدريس الجامعي وعزم على ذلك، ولأجل هذا غادر إلى(برسلاو) في نوفمبر 1892م،و حصل على دكتوراه التأهيل للتدريس في 28يناير1893 م برسالة عنوانها: (أبو الفرج ابن الجوزي: تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار) .

ويبدو من دراسة حياته أنه بعد ذلك قام بالتدريس الحر في جامعة (برسلاو)مقابل راتب زهيد لا يتجاوز مائة مارك شهريا لأعوام عديدة ،وإلى جانب ذلك واصل دراساته العربية واشتغل بالتأليف والتصنيف، ثم انتقل إلى معهد اللغات العربية، وفي صيف العام نفسه خلا منصبان أحدهما: منصب أستاذ مساعد في جامعة(إيرلنجن)، والثاني: منصب أستاذ مساعد في جامعة (برسلاو)، وعرض المنصبان على" بروكلمان" فاختار (برسلاو)، وانتقل إليها وبقي فيها إلى غاية عام 1903م، ثم انتقل إلى جامعة (كينجزبرج) في العام نفسه، وأصبح أستاذا ذا كرسي فيها، ومكث فيها إلى عام 1910م، ثم أصبح أستاذا في جامعة (هله) وعمل فيها إلى عام 1922م، وكان سعيدا فيها من أي مكان آخر؛ لأن تلاميذه هنا كانوا أوفر موهبةواهتماما.

ثم شغل منصب الأستاذية في جامعة (برلين) وكان يعتقد أنها أفضل جامعة في ألمانيا لتحقيق آماله العلمية لأنه أراد أن يستخدم مكتبة جمعية المستشرقين الألمانية لأبحاثه

،وخاصة لمواصلة عمله في (تاريخ الأدب العربي) ،وتحسين ظروفه الاقتصادية، ولكن آماله لم تتحقق، ولذا ترك جامعة برلين بعد عام واحد فقط، وعاد مرة أخرى إلى جامعة(برسلاو) وحل محل أستاذه "يريتورس"، وبقي فيها مدة طويلة حتى تم انتخابه كرئيس للجامعة في صيف عام 1932م، ولكنه اضطر إلى الاستقالة من منصبه في شهر مارس 1933م بعد أن استولى النازيون على السلطة.

وتقاعد" بروكلمان" في خريف عام 1935م، وانتقل إلى(هله) ثانية في عام 1937م؛ لأنه أراد استخدام مكتبة جمعية المستشرقين لأبحاثه وخاصة لمواصلة العمل في كتابه الرئيس(تاريخ الأدب العربي) ومكث فيها إلى عام 1945م مواصلا تأليفه وتصنيفه، وظهرت له كتب عديدة في هذه الفترة، ثم ذهب إلى جامعة(برسلاو) وعمل فيها كأمين مكتبة جمعية المستشرقين الألمانية، وصرف كل همه لإعادة تنظيمها واستعادة ما نقل من كتبها ومخطوطاتها

.

وفي منتصف صيف عام 1947م جرى تعيينه كأستاذ فخري، وحصل في العام نفسه على مقعد الأستاذية في اللغة التركية، وكان يلقي الدروس في اللغات المختلفة، وأحيل "بروكلمان" للمرة الثانية على التقاعد في صيف عام 1953م، ولكن مع ذلك استمر في نشاطاته العلمية وواصل التدريس والتأليف.

وأصيب "بروكلمان" في ليلة عيد الميلاد في ديسمبر 1954م بنزلة برد لم يستطع أن يتخلص من مضاعفاتها فيما بعد، ولكنه على الرغم من ذلك استمر في عمله التعليمي ومتابعة أبحاثه بالقدر الذي كانت تسمح به ظروفه الصحية، واستعان بواحد من أواخر تلاميذه حتى استطاع إتمام كتابه الأخير نظم اللغة العبرية وقد طبع هذا الكتاب بعد وفاته . وتوفي هذا المستشرق الألماني الكبير في السادس من مايو عام 1956م.

ومن أهم مميزات بروكلمان أنه كان يجيد 11 لغة شرقية ويتقنها (تحدثا وقراءة وكتابة) وهي: العربية، السريانية، العبرية، الآشورية، البابلية، الحبشية، الفارسية الوسطى، الفارسية الحديثة، الأرمنية، التركية، القبطية، إلى جانب إتقانه اليونانية، واللاتينية، والفرنسية، والإيطالية، والإنجليزية، والأسبانية.

وكان يأخذ" بروكلمان" أثناء المحاضرة والتدريس بعين الاعتبار رغبات مستمعيه، وكان يقيم حلقات دراسية كثيرة لتعليم اللغات المختلفة، وكان في المحاضرات يجيب بكل طيب

خاطر على جميع الأسئلة التي كان طلابه يوجهونها له، ولم يكن يتقدم في المحاضرة إلا بعد التأكد من زوال أي غموض أو صعوبة، أما خارج محاضراته فقد كان منغمسا في أبحاثه وأعماله العلمية، بحيث قلما تجرأ طلابه على توجيه أي سؤال له وإذا ما حدث وسأله أحد ، فإن بروكلمان كان يلقي عليه الجواب فورا بكل ما يتعلق بالموضوع وبكل دقة بحيث يمكن أن يرسل جوابه للطبع فورا

.

وكان "بروكلمان" يتمتع بالذاكرة الممتازة، وقدرة خارقة على التنظيم والتنسيق، وموهبة للفهم السريع، وقدرة على حسن تقدير أبعاد عمل أو بحث معين، بالإضافة إلى إرادة حديدية ،وطاقة خارقة على العمل والإنتاج، وقد عرف مقدراته خير معرفة وكان يستخدمها خير استخدام، وكان عمله اليومي منظما بكل دقة وصرامة، وفي أعوام حياته الأولى كان يسافر كثيرا في الإجازات وكان يحب البحار ويستمتع بالتجوال.

آثاره:

أما إنجازاته العلمية والأدبية فهي أكثر من أن تستوعب في هذا الملخص،فقد اعتبر أكبر باحث عرفته الجامعات الأوروبية في النصف الأول من القرن العشرين في مجالات الدراسات السامية وتاريخ التراث العربي، حيث عاش حياة عامرة بالبحث والدراسة العلمية، وحياة علمية حافلة بالتأليف والتصنيف الأكاديمي، وظل يؤلف أكثر من 66عاما، وبسبب تمتعه بالذاكرة القوية والممتازة والجلد والتوجيه العلمي والصفات الأخرى كما مر ذكرها ،وقد أنجز في حياته وحيدا ما تنوء بإنجازه العصبة القوية حتى بلغ عدد مؤلفاته (555) مؤلفا ما بين تأليف وتحقيق وبحوث ومقالات وتقارير وغيرها، ومما يبعث على الدهشة والإعجاب أنه لم يكن هذا الإنجاز في مجال علمي واحد أو في لغة واحدة بل تنوعت اهتماماته العلمية وبحوثه الفكرية في لغات عديدة. ومن هنا أكتفي في السطور القادمة بذكر بعض مؤلفاته القيمة:

1ــ علاقة كتاب الكامل لابن الأثير بتاريخ الطبري، ألفه كرسالة دكتوراه كما مر، وهو أول باكورته العلمية

.

2ــ تاريخ الأدب العربي: وهو كتابه الرئيسي والأهم، ومرجع أساسي إلى يومنا هذا في كل ما يتعلق بالمخطوطات العربية وأماكن وجودها، ولا غنى عنه لأي باحث في مجال المخطوطات والأعلام.

3ــ ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق وترجمة ودراسة.

4ــ طبقات ابن سعد: دراسة وتحقيق ونقد الجزء الثامن.

5ــ فهرست المخطوطات العربية والفارسية والقبطية والتركية والسريانية والحبشية المحفوظة في هامبورج.

6ــ تاريخ الشعوب الإسلامية: لم يقتصر فيه بروكلمان على التاريخ العربي بل تناول تاريخ كل الدول الإسلامية حتى العصر الحديث، ووضع في آخر الكتاب دليلا زمنيا يضم حوالي 400تاريخ، تعد أهم معالم الطريق في التاريخ الإسلامي، طبع عام 1939م.

7ــ المعجم السرياني: لم يكتف بروكلمان في هذا المعجم بإيراد اللفظ السرياني ومقابله اللاتيني بل جعله معجما تأصيليا مقارنا، حيث إنه يذكر اللفظ السرياني مع المقابلات السامية الأخرى في العربية والعبرية وسائر اللغات السامية

.

8ــ الأساس في النحو المقارن للغات السامية: تناول المؤلف في القسم الأول اللغات السامية وتوزيعها الجغرافي والتاريخي في مقدمة علمية، ثم درس الأصوات في اللغات السامية دراسة مقارنة، ثم عقد لبناء الكلمة في اللغات السامية، أما القسم الثاني فقد تناول بناء الجملة في اللغات السامية، إذن يعد هذا كتابا مهما في علم اللغة المقارن من جوانبه الصوتية والصرفية والنحوية التركيبية.

9ــ النحو السرياني: وهو كتاب ما يزال إلى يومنا أفضل ما ألف في بابه.

10ــ دراسة في الآشورية.

11ــ نظرية أصوات الحلق في الآشورية.

12ــ التاء نهاية للتأنيث في اللغات السامية.

13ــ حول الأصوات في اللغة العبرية.

14ــ اللغة السامية.

15ــ النحو العربي: ألفه عام 1925م على أساس كتاب المستشرق سوسين.

16ــ بناء الجملة في اللغة الأجريتية، وهي لغة سامية اكتشفت سنة 1992م، ومع هذا تحدث عنها علميا في هذا المقال.

17ــ الآداب الشرقية: اشترك في تأليفه مع المؤلفين الآخرين.

18ــ تاريخ الآداب المسيحية: اشترك في تأليفه مع المؤلفين الآخرين.

19ــ اللغات السامية وآدابها: تأليف مشترك أيضا.

20ــ عيون الأخبار: تحقيق.

21ــ قواعد الصرف العبري، هو آخر كتاب ألفه في حالة مرضه وطبع بعد موته.

22ــ ديوان لغات الترك الذي ألفه محمود بن الحسين الكاشغري، قام بشرحه وتحقيقه ودراسته، طبع عام 1928م.

23ــ قواعد اللغة التركية الشرقية للغات الأدبية الإسلامية لأواسط آسيا.

24ــ تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار لعبد الرحمن أبي الفرج بن الجوزي دراسة وتحقيق، ألفه كرسالة ونال بها شهادة دكتوراه التأهيل للتدريس كما سبق ذكره.